الجامع في علوم البلاغة

المعاني البيان البديع

تأليف

الدكتور محمد ألتونجي





الجامع في علوم البلاغة

المعاني البيان البديع

بسم الله الرحمن الرحيم



لدار العزة والكرامة للكتاب

وهران – الجزائر

الطبعة الأولى

2013 م - 1434 هـ

92- شارع صام بوعافية المقري – وهران

هاتف: 02 52 20 61 213 00 — تلفاكس: 89 16 46 41 213 00

هاتف: 38 63 98 70 213 00 — تلفاكس: 31 42 23 21 213 00

E-mail: dar_el_izaa@hotmail.com
dar_el_izaa@yahoo.fr

الجامع في علوم البلاغة

المعاني البيان البديع

تأليف
الدكتور محمد ألتونجي

دار العزة والكرامة للكتاب

المقدمة



تعدُّ علوم البلاغة من أهمِّ العلوم الأدبية، وأساسَ فهمنا للنصوص الشعرية والنثرية. فالأديب يعتصرُ فكره ليقدِّمَ لنا صوراً جمالية، يعبِّرُ من ورائها عمّا يريد. فيأتي النقاد ليوضِّحوا لنا هذه الصور البيانية والبديعية، ويبذلوا ما في وُسعهم كي يبيِّنوا لنا مواضع الجمال في علم البيان، ويشرحوا مقاصدَهم الأسلوبية التي استخدمها الأدباء إيجازاً وإسهاباً، خبراً وإنشاءً، وقصراً وحصراً.. لنفهم الصيغ التي اختاروها لفهم المطلوب، عن طريق علم المعاني، والإبداعات اللفظية التي زينوا بها جميلَ قولهم، وحُسن اختيارهم بما وهبهم الله من مقدرة لغوية فنية في علم البديع.

بل إننا لا نفهمُ آيات الله المُنزلة، ولا نتوصَّل إلى فحواها إن لم ندرس علوم البلاغة كلها وعلوم النحو والصرف. فاقرأ معي هذه الآياتِ المحكمات، وقل: أوَ تستطيع فهمها من غير هذه الثقافة البيانية:

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾ [يوسف: 36].

﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ.. ﴾ [المائدة: 89].

﴿ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ﴾ [الحشر: 14].

﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ ﴾ [الكهف: 11].

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: 13- 14].

فلهذا الإعجاز الرباني والتعبير الأدبي والفني نهَدَ العلماء لدراسة علوم البلاغة منذ القرون الإسلامية الأولى، وحرصوا على تشريح هذه العلوم فرعاً فرعاً.

وإننا في الكتاب نُدلي بِدَلونا خدمةً لهذا العلم الجليل، والذي يعدُّونه تاج العلوم الأدبية، ومفتاحَ فهم القرآن ومقاصد الشعراء والكتاب. وحاولنا أن نبسِّط التعريفاتِ رعايةً لمستوى طلابنا، وأن نكثر من الشواهد القرآنية والشعرية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة والجملِ البسيطة كي تتوضح لهم الصورةُ المنشودة.

وأكثرنا من النماذج المحلولة كي يتدرَّبوا عليها ويقلدوها في دراستهم، كما أكثرنا من الشواهد والأمثلة من غير حلّ كي تكون سبيلاً إلى العمل الشخصي الذي هو هدفنا.

وقسمنا الكتاب إلى أربعة فصول؛ بسطنا في الفصل الأول معنى الفصاحة، والبلاغة، وأهمية فهمها، وكيفية استخدامها، والفرق بينهما، وميزة كل معنى منهما. وبيّنا الأسلوب المتَّبع في الكتابة والنظم، وشرحنا أنواع الأساليب الفنية: الأدبية والعلمية. ووضعنا لذلك كله نماذج مختارة من النصوص.

وبسطنا في الفصل الثاني «علم المعاني»، لأن عليه معوَّل الأدباء لفهم أصول الجملة والقواعد التي يُعرف بها أحوال الكلام العربي. وذكرنا في الفصل الثالث علم البيان، ووضَّحنا فيه التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، كي نفهم الصور التي رسمها لنا الشاعر. فبِعلم البيان نكتشف جمال الصورة وأسلوب بيانها، وطريقة أدائها.

وفي الفصل الرابع فصلنا في علم البديع، أي الجديد في الاستخدام اللفظي كالجناس، والطباق، والتورية. ومع أنَّ فروع هذا العلم واسعة جداً فإننا آثرنا الاختصار وشرحَ ما يلزم طالبنا العزيز، حتى لا نُغرقه في متاهات يندرُ استخدامها.

وختمنا الكتاب بمعجم مختصر للمصطلحات البلاغية المهمة، التي قد تعترض الطالب، فيتوقف عندها، يريد لها تعريفاً. وهدفُنا جعلُ الكتاب جامعاً ومُغْنياً معاً.

آملين بأن يؤديَ كتابنا هذا رسالته في إيصال المعرفة لكل محب للبلاغة[1].

محمد ألتونجي

(1) الأحاديث الشريفة الواردة في الكتاب هي من منقولات المؤلف، ولم يتمّ تخريجها من مظانّها في كتب الحديث.

الفصل الأول

الفصاحة، البلاغة، الأسلوب

الفصاحة

يُطلق هذا المصطلحُ على عدة معانٍ في اللغة، كالبيان والظهور، وحسنِ النطق، وحسن الأداء. ويقال: أفصح الصبيُّ في منطقه: إذا أبانَ وظهر كلامه. وأفصحَ الصبحُ: إذا أضاءَ الدنيا. وأفصح الأعجميُّ: إذا أبان كلامه وأفهمه بعد أن كان لا يحسن الإفصاح[1].

والفصاحة عند أهل المعاني عبارةٌ عن الألفاظ البيِّنة الظاهرة المتبادرة إلى الذهن من غير غرابة في الألفاظ أو تنافر في الحروف، أو مخالفة للقياس، أو ضعف في التأليف.

والفصاحة: هي الإبانةُ عن فكرة بكلام خالٍ من التعقيد، واللفظةُ الفصيحة هي السليمة من تنافر الحروف، ومن غرابة الاستعمال. والجملة الفصيحة هي التي تَسلم من ضعف التركيب، وتنافر الكلام، والتعقيد، وكثرة التكرار، والإطناب المملّ، وتَتابع الإضافات والأوصاف إلى مضاف واحد وموصوف واحد.

ويُطلق مصطلح «الفصاحة» على: الكلمة، والجملة، ومجمل الكلام، والمتكلم، والتركيب، والحرف.

فصاحة الحرف:

وهو أن تُستخدم الحروفُ من غير تنافر، ممّا يُثقل نطق الكلمة ويثقل سمعها، مثل: القَعَنفس، القَرَنبوس، والظَّش[2]، والهطَلّع. لأن توالي هذه الحروف المتنافرة تمجّهُ الأذن، كقول الأعرابي:

---

(1) جواهر البلاغة: 16.

(2) الظش: الموضع الخشن. الهطلع: الجماعة من الناس.

تركـــتُ نـــاقتي ترعَـــى الهُعْقُـــع[1]

ومثله قول امرئ القيس يصف شعر ابنة عمه من معلقته:

غـــدائرُه مُسْتَـــشْزِراتٌ إلى العُـــلا تـضِلُّ العِقـاصُ في مثنَّـى ومُرْسَـلِ[2]

فصاحة الكلمة:

تعدُّ اللفظة فصيحة إن كانت مألوفةَ المعنـى، بَيِّنـة المـؤدَّى، غـير مخالفـة للقياسـين النَّحْوي والصَّرفي، مأنوسةً في الأذن. كقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾، وكقول الشاعر عبد الكريم الكرمي في حبه لدمشق:

خلعـــتُ علـــى ملاعِبهـــا شـــبابي وأحلامـــي علـــى خُـــضر الروابـــي
ولـــي في الغـــوطتينِ هـــوًى قـــديمٌ تغلغَـــلَ في أمـــانيَّ العِـــذابِ

وممّا يخالف القياس الصرفي ويسيء إلى فصاحة الكلمة قـولُ الرَّجّاز أبي الـنجم، وهو يذكر «الأَجْللِ»، وفصيحها «الأجـلّ»، لكـن الـضرورة دفعـت الـشاعر إلى فـك الإدغام، في قوله:

الحمـــدُ لله العلـــيِّ الأجْلَـــلِ الواحـدِ الفـردِ القـديمِ الأوَّلِ[3]

وممّا يستكره نطقه مع غرابةٍ في معناه قولُ عيسى بن عمرٍو النَّحْـوي، وقـد زلقـت رجله فوقع أرضاً، فتجمَّعَ عليه الناس: «ما لكم تكأكَأْتُم عليَّ كتكأكُئِكم على ذي جِنَّة؟ افْرَنْقِعـوا عنـي»[4]. أو قـول بعـضهم في عـدم وضـوح المـؤدَّى: «رآني أبي فنُقلـت إلى المستشفى». ويريد ضربني على رئتي.

---

(1) الهعقع: نبت ترعاه الإبل.

(2) مستشزرات: مرتفعات. العقاص: ج العقيصة وهي الخصـلة مـن الـشعر المنحنيـة. المثنـى: المفـتول، وضده المرسل.

(3) الرجز في ديوان أبي النجم من قصيدة: 204.

(4) تكأكأتم: تجمعتم. ذو جنة: مجنون. افرنقعوا: انصرفوا وتفرَّقوا.

فصاحة التعبير:

ويسمونه كذلك فصاحةَ الكلام، وهو أن يكون كلُّ ما سبق مجتمعاً. والمراد بفصاحة التعبير مجيءُ الكلمات فصيحة، سهلة على النطق والفهم. وهو الكمال في التعبير السليم من الخطأ النحوي أو الصرفي، والحسنُ الأداءِ والسبكِ. ولا يُحسن ذلك إلا صاحبُ الذوق الدقيق، المؤتلف كلامُه لفظاً ومعنى. والرسول ﷺ أفصح العرب، كقوله: «المؤمنُ للمؤمن كالبُنْيان يشدُّ بعضُه بعضاً»، وقوله: «أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم».

فصاحة المتكلم:

هي مَلكة تمنحُ صاحبَها قدرة على التعبير عن مقصوده في كل فنون القول، والخطابة، بأي نوع من المعاني التي يريد كالمدح، والغزل، والحكمة، والهجاء. ولا يقال لفلان: فصيحٌ إلا إذا كانت فصاحته سائدة في كل الموضوعات. ولا يقال له: فصيح، إذا كان يجيد القول في فن ولا يجيد في فنون أخرى.

وتتمثل فصاحةُ المتكلم بعلمه، وفكره، وسليقته، وتمكُّنه من قواعد النحو والصرف، وحفظه لمأثور الكلام، ومقدرته على استنباط المفردات المناسبة للموضوع الذي سيطرقه؛ وهو الذي يقال له: «لكلِّ مقال مقام»؛ فموضوع الغزل يحتاج إلى مفردات رقيقة، سلسلة، أثيرة. وموضوع الهجاء والذم يتطلب ألفاظاً عنيفة، قاسية، ساخرة. أما المديح فيحتاج إلى تخيُّر للألفاظ الجزلة، الرزينة، التي تناسب مقام الممدوح.

وتأتي فصاحةُ المتكلم من ابتعاده من اللفظ المرذول، والاستعارة العامية، والكلمة الأعجمية. ومن ابتعاده من الحروف المتنافرة، والمفردات المتوعِّرة. ومن قدرة المتكلم على إخراج الحروف من مخارجها الحلقية، كي تدخلَ الآذان بسهولة. وهذا ما يُطلب من المذيعين، وإلاّ ضاع المعنى بغمغمة الحروف.

ومّا توصف به الفصاحة عند المتكلم قولُ محمد بن داود الأصفهاني: «الهوى هوانٌ، وما خُلق الفراقُ إلا لتعذيب العشاق». وقول الشاعر كُشاجم: «لو أنَّ المخمور يعرف قصته لقدَّم وصيَّته».

ومن جوامع كلام النابغة قوله:

فلستَ بمستَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ   على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذَّبُ؟

وعلى عظمة المتنبي وفصاحته وملكته وبداهته، فإن له سقطاتٍ أُخذت عليه، من ذلك بدؤه القصيدةَ بدءاً ثقيلاً على الأذن، يُبعد السامعَ من تجاوبه معه. فقد مدح كافوراً في لقائه الأول له بما لا يدل على فصاحة ولا على سليقة، فقال:

كفَى بك داءً أنْ ترى الموتَ شافيا   وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

فلا يجوز لشاعر أن يجابه ممدوحه، وهو أمير مصر، بألفاظ الداء والموت. ولهذا لم تطب نفسُ كافور للمتنبي منذ اللقاء الأول.

وكذلك قوله مادحاً بما لا يجوز مدح الملوك به:

خفِ الله واسترْ ذا الجمالَ ببرقُعٍ   فإنْ لُحْتَ ذابت في الخدور العواتقُ[1]

ويجمع الفصاحةَ مع الإعجاز والتعبير آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185]، وقولِه: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:14]، وقولِه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164].

---

(1) العواتق: ج العاتق، وهي الجارية.

التعقيد الكلامي

هو ألا يكون الكلام ظاهرَ الدلالة على المعنى المراد. ولذلك سببان: أحدهما يرجع إلى خلل في النظم والتركيب، وهو التعقيد اللفظي. وثانيهما يرجع إلى المعنى، وهو التعقيد المعنوي. والتعقيد بنوعيه يُخرج الكلام عن الفصاحة.

أولاً: التعقيد اللفظي: وهو أن تكون الألفاظ غير مرتبة وَفْق ترتيب المعاني، فيفسد نظام الكلام وتأليفه بسبب التقديم والتأخير. كقول الفرزدق:

إلى ملكٍ ما أمُّه من مُحاربٍ ... أبوه، ولا كانت كليبٌ تُصاهرُهْ

والمراد: «إلى ملكٍ أبوه ليست أمُّه من محارب»، فقدَّم وأخَّر حتى أبهمَ المعنى. وقوله أيضاً:

وما مثلُه في الناس إلا مُملَّكاً ... أبو أمِّه حيٌّ أبوهُ يُقاربُهْ

والمراد: وما مثلُ هذا الممدوح في الناس حيّ يشبهه في الفضائل إلا مملَّكاً أبو أمِّ ذلك المملَّك أبو الممدوح (أي إن الممدوح خال الملك). والمقصود أنه لا يماثله إلا ابنُ أخته.

ومن التعقيد اللفظي استخدام الشاعر ألفاظاً متنافرة فتسبِّب ثقلاً على السمع. علماً أن استخدام ألفاظ البيت منفردة مقبول، ولكنها إذا جُمعت في بيت نفرَ السمع منها، وتعذر نطقها إلا بعسر، كقول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفْرٍ ... وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ

ثانياً: التعقيد المعنوي: هو خفاءُ دلالة الكلام على المعنى المراد، من أجلِ ما عاقها من المعاني البعيدة، والكنايات المفتقرة إلى وسائط، أو اللوازم القريبة الخفيَّة العلاقة، مع عدم ظهور القرائن الدالَّة على المقصود، فيعجز الكلام عن أداء المعنى، نحو قول العباس بن الأحنف:

سأطلبُ بُعدَ الدار عنكمْ لتَقْرُبوا وتسكبُ عينايَ الدموعَ لتجْمُدا

والمراد: إنه يحتمل الفراق وآلامه، ويوطِّن النفس على الحزن والأسى علَّه يحظى بوصلٍ يدوم وسرورٍ لا ينقطع، فطالما نال الصابرون أمانِيَّهم.

وقد يقع في التعقيد المعنوي فحولُ الشعراء وجهابذة النثر حين تخونهم آليَّة التعبير السليم. وكم من بيت للبحتري أُغلق على النقاد، ووقفوا دون شرحه عاجزين! وكذا أستاذه أبو تمام وقع في تعقيدات معنوية كثيرة، من ذلك قوله، وقد عيبَ عليه:

جذبَتْ نداهُ غُدوةَ السبتِ جذبةً فخرَّ صريعاً بين أيدي القصائدِ

ففي البيت عيبان عقَّدا المعنى؛ فالأول قوله: (جذبت نداه) أراد أنه قسر نفسه على الكرم. وهذا لا يصحُّ أن يوصف به أمير كريم. والعيب الثاني قوله: (فخرَّ صريعاً) إذ جعل أبو تمام كرم ممدوحه إنساناً يموت إذا تكرَّم، وهو لا يريد هذا، إنما أراد أن يقول إنه شديد الكرم، فأساء التعبير، وعقَّد المعنى المطلوب، فدُعي قوله هذا تعقيداً معنوياً.

ومن التعقيد في المعنى، ويُخرِج المتكلمَ عن فصاحته إرجاعه الضميرَ على متأخر، كقول أحدهم: «أعطى عاملُه زيداً هديةً». وهذا أسلوب غير سليم ولا فصيح.

نماذج للتدريب

بَيِّن الفصيح من الكلام من غير الفصيح، واذكر السبب:

1- قال المتنبي:

جَفَخَتْ وهم لا يجفخونَ بها بهمْ ... شِيَمٌ على الحسبِ الأغرِّ دلائلُ[1]

الجواب: الكلام غير فصيح لأن الشاعر أتى بعويص القول، وتعقيد المعنى، وإتباع الجملة العوراء (في الشطر الأول) بالكلمة الغرّاء (في الشطر الثاني).

2- وقوله:

أنَّى يكونُ، أبا البرايا آدمٌ ... وأبوك، والثَّقَلانِ أنتَ، محمدُ

الجواب: جاء البيت - وهو في المديح - معقَّد المعنى والتركيب. فمعنى «أنّى» هنا: كيف؟ أبوك محمد: مبتدأ وخبر. أنت: مبتدأ. والثقلان: خبر مقدم لأنت، والجملة معترضة.

3- قال النابغة الذبياني:

ألم ترَ أنَّ الله أعطاك سُورةً ... ترى كلَّ مَلْكٍ دونَها يتذبذَبُ

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ[2]

الجواب: البيتان من قلائد الشعر العربي، فيهما الفصاحة في الحروف، والكلمات، والتعبير، والمعاني مفهومة سائدة تدخل إلى القلب بسهولة.

---

(1) المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس: 277، محمد ألتونجي. الجفخ: الفخر والبذخ.

(2) ديوان النابغة: 78. كل مَلك: كل جمال. يتذبذب: يضطرب.

تدريبات

اقرأ وتدرَّب بنفسك على الفصيح من الكلام، وغير الفصيح منه، واذكر سبب ذلك:

1- قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: 179].

2- قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾ [البقرة: 228].

3- قال رسول الله ﷺ: «تهادَوا تحابُّوا».

4- قال رسول الله ﷺ: «ابدأ بمن تَعولُ»[1].

5- قال المتنبي:

كُفِّي! أراني، ويكِ، لومَكِ الْوَما ... هَمٌّ أقامَ على فؤادٍ أَنْجُما[2]

6- شكتِ امرأةٌ صمعْمَعةُ الرأس، مُتعَثكلة الشعر، درْدَبيساً حلّت بها[3].

7- قال أوس بن حَجَر مطلعاً لقصيدة:

أيَّتُها النفس أَجملي جَزَعا ... إنَّ الذي تحذرينَ قد وَقَعا[4]

8- قال طرفة بن العبد:

سَتُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ[5]

---

(1) من حديث النفقة، وفي النهاية: 3/ 321: «وابدأ». أي بمن تلزمك نفقته من عيالك.

(2) لومك: مفعول ثان لأراني. ألوما: مفعول ثالث. همّ: فاعل أراني.

(3) دردبيس: داهية. متعثكل: مضفور أو جعد. رأس صمعمعة: صغيرة.

(4) ديوان أوس: 53.

(5) ديوان طرفة: 57. والبيت قبل الأخير من معلقته.

البلاغة والفصاحة



البلاغة لغةً هي الوصولُ والانتهاء، وهو المعنى الحقيقي؛ من الفعل بلَغَ، أي وصل وانتهى، ومبلغُ الشيء: منتهاه. ثم تطور المعنى إلى المجاز، بقولهم: قولٌ أو أمر بالغ، أي جيد. ومن هنا كانت البلاغة في معنى البلوغ إلى جودة الكلام[1]، ومطابقته لمقتضى حال الكلام. ثم قالوا: إن الكلام البليغ هو الذي يؤثر في السامع لأنه يناسب حال المخاطب بما يناسب مقتضى الحال من غير إطناب يُملّ، ولا إيجاز يُخلّ. ومقتضى الحال هو الأمر الذي يحمل المتكلمَ على إيراد كلامه بصورة مناسبة.

على أن بعض علماء اللغة لا يفرقون بين البلاغة والفصاحة. ولعل أبا الهلال العسكري خير من عرَّف الفصاحة والبلاغة، فقال[2]:

«البلاغةُ من قولهم: بلغتُ الغايةَ، إذا انتهيتَ إليها وبَلَّغْتَها غيرك. ومبلغ الشيء: منتهاه، والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته. فسميتِ البلاغةُ بلاغةً لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه». ويقال: بَلُغَ فلان بلاغةً؛ صار بليغاً. ويقال: أبلغتُ في الكلام، إذا أتيتُ بالبلاغة فيه.

فأما الفصاحة فقد قال قوم: إنها من قولهم: أفصحَ فلان عمّا في نفسه، إذا أظهره.. ويقال: أفصحَ اللبنُ، إذا انجلت عنه رغوتُه فظهر..».

---

(1) المعجم المفصل في الأدب: 1/ 191 لمحمد ألتونجي.

(2) كتاب الصناعتين: 5-8.

ويخلص العسكري إلى القول: «وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما؛ لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له.. والألثغ والتَّمتام لا يُسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف. وقيل (للشاعر) زياد الأعجم (وهو عربي) لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف. وكان يعبِّر عن الحمار بالهمار، فهو أعجم، وشعره فصيح لتمام بيانه».

ويُنهي العسكري مقارنته بقوله: «فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين؛ وذلك أن الفصاحة تمامُ آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى. والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنها مقصورة على المعنى».

ظهور علوم البلاغة:

كان العربي منذ الجاهلية يتباهى بفصاحته وبلاغته، وإذا انتقد أحدهم قولاً لشاعر تعرض لبلاغته في المعنى من غير أن يكون عِلماً. وقد تأخرت دراسة البلاغة عن القرآن والحديث والنحو والصرف والعروض. ويُعزى إلى أبي هلال العسكري (ت 395هـ) السبقُ في التأليف عن البلاغة. ولكن ربما سبقه بعضهم، ومنهم خاله أبو أحمد العسكري (ت 382هـ).

وسرعان ما غدت البلاغة علماً. وتفرعت البلاغة حتى غدت علوماً هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع. ثم كثر المؤلفون والمبدعون في علوم البلاغة عامةً، أو في أحد علومها.

وارتقى مقام علوم البلاغة لارتباطها بالأدب والنقد، حتى غدت أجلَّ العلوم الأدبية قدراً، وأرسخها أصلاً، وأكثرها فرعاً، لأن العرب كانوا وما زالوا يحبون جميل القول، وجوامع الكلم، ويَتباهَون بالصورة الجميلة، والتشبيه الحسن، واللفظ المصنوع ضمن حدود جماله.

وقد استولت البلاغة على القلوب، لأن صاحبها يستخرج الدررَ وينفرد بنظمها، وينفث بها سحر البيان وحلو الكلام. وممّا زاد من قيمة البلاغة وأهميتها تتبُّعُها كلامَ الله، وحديث رسوله ﷺ، وروائع الشعر العربي، ونثره الفني. ولكننا إذا درسنا بلاغة القرآن وإعجازه، لا يحق لنا أن نصفَ الله تعالى بأنه بليغ، لأن صفة البلاغة بشرية، ينزَّه عنها، لأن قوله عظة لنا وأمثولة.

وهكذا غدت البلاغة عِلماً على أساس بلاغة القرآن. ثم كان لبعض الكتّاب أثر في البلاغة كابن المقفع، وقدامة، وابن شيث القرشي، وابن الأثير، والعسكري، والقلقشندي. ثم نظر الشعراء والنقاد إلى محاسن الكلام، وأوجُه جماله، يلتمسونها في الشعر والنثر، ليستكثروا منها، وسَمَّوها «البديع». فاحتاجوا إلى جمع هذه التعابير، وضبط قواعدها.

ويعدُّ الجاحظ (ت 255هـ) أول من تكلم على البلاغة في كتابه «البيان والتبيين»، وتوقف عند نقاط أساسية في علمي المعاني والبيان. ثم توالى النقاد في دراساتهم حتى جاء ابن المعتز ووضع كتابه «البديع»، وخصَّ فيه خمسة أبواب هي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، وردُّ الأعجاز على ما تقدَّمها، والمذهب الكلامي. وتعرض لعدد من محاسن الكلام، أخذت دورها في علوم البلاغة فيما بعد. فكان كتابه هذا أول كتاب يؤلف في البلاغة. لكنَّ خير من درس البلاغة هو عبد القاهر الجرجاني، فدرس بالتفصيل علمي المعاني والبيان، من دون علم البديع. وخلف ابنَ المعتز «العسكري»، فألف «ديوان المعاني».

وأخذت الدراسات الفنية تتميز، فاستقرت على سبعٍ (زيادة على ما ذكره ابن المعتز) آخرها «علم صنعة الشعر» الذي يُعلم معرفة الجيد من القول وصناعته.. فسميت الفنون البلاغية، كما سميت نقد الشعر، ونقد الكلام. وانتهوا إلى أن علم البلاغة ذو ثلاثة فروع هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع. وأنزلوا دراساتِهم البلاغية بحسب مفهوم هذه الفروع.

وجعلوا «علم المعاني» يبحث في أنواع الجمل المختلفة واستعمالها. وجعلوا «علم البيان» لتعليم الإنسان صناعة الكلام الفصيح من غير إبهام، ومباحثه: التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية. وأدرجوا في «علم البديع» بحوثَ محسنات الكلام والألفاظ، ويتناول عدداً كثيراً من صور القول كالإطناب، والسجع، والطباق، والجناس، والقلب، والاستخدام. ومن الجدير بالذكر أن علم البديع أقدم العلوم الثلاثة وأكثرها فروعاً[1].

وقد كان الدافع الأول للتأليف في البلاغة هو إبراز عظمة إعجاز القرآن لغةً وبياناً، كي يبرهنوا على أنه كلام الله، ويعجز الخلق عن تقليده مهما بلغت براعتهم؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88].

وأحسب أنه لو لم يكن للعرب هذا الكتاب السماوي لما عرفوا البلاغة، ولا ارتقت لغتهم وآدابهم. وأول من أشار إلى ما ذكرنا أبو عبيدة مَعمر بن المثنَّى (ت 210هـ) في كتابه «مجاز القرآن». ولهذا ألف الجرجاني كتابه «دلائل الإعجاز» أي إعجاز القرآن، وكتابه «أسرار البلاغة»، ولم يقل: «أسرار الفصاحة» لأنهم يعلمون أن البلاغة أعلى مرتبة من الفصاحة.

ثم انتقل النقاد بالبلاغة إلى تقييم الشعر والنثر عند العرب، وأكثروا من التأليف فيها، والاستشهاد بالأقوال المأثورة والأبيات المشهورة. وهكذا أقبلوا على دراسة البلاغة لفهم إعجاز القرآن وبلاغة الأدباء.

---

(1) المعجم المفصل في الأدب: 1/ 191- 192، للمؤلف.

علوم البلاغة:

قسم العلماء علم البلاغة إلى ثلاثة علوم، من كثرة الاهتمام بها، ودراسة فروعها. وقد أطلق العلماء المتقدمون مصطلح «علم البيان» في بادئ الأمر للنظر في علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، من باب تسمية البعض بالكل، ولأن البيان كان يعني الفصاحة في الأدب. ثم رأوا تقسيمه إلى:

1- علم يُحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع، وسمَّوه **«علم المعاني»**.

وهو العلم الذي تُعرف به أحوال اللفظ التي بها يُطابق اقتضاء الحال. وله أصول وقواعدُ يُعرف بها أحوال الكلام العربي، بحيث يكون وفقَ الغرض الذي سِيق له، ويطابق مقتضى الحال، وسعي الأديب نحو إيصال كلامه إلى المتلقِّي ببراعة تعبير وجودة تركيب. ولا يجوز فيه الإيجاز في موضع الإطناب، ولا العكس. وموضوعه اللفظ.

2- علم يُحترز به عن التعقيد المعنوي، أي قليل الفصاحة والبيان للمعنى المراد، وسمَّوه **«علم البيان»**.

وعلم البيان هو معرفة مقصد الأديب من كلامه، إذا أدّاه بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة. فالمعنى الواحد يُستطاع أداؤه بأساليب مختلفة، ويستفاد من هذا العلم في كشف أسرار العرب بكلامهم المنثور والمنظوم، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة وتَبايُن في درجات البلاغة. وطرقُ هذا العلم: التشبيه، المجاز، الاستعارة، الكناية.

3- علم يُراد به تحسينُ الكلام وتزيينهُ، وسَمَّوه **«علم البديع»**. وهو متأخر عن العِلمين السابقين، وتابع لهما.

ويعتمد الأديب فيه على تزيين كلامه وترصيعه وتحسينه بنوعين من المحسنات: محسنات معنوية كالطباق، والتوجيه، ومراعاة النظير، والتورية،.. ومحسنات لفظية كالجناس، والسجع، ولزوم ما لا يلزم.. ولهذا العلم فروع عديدة سندرس أهمها وأشهرها في مكانه من الكتاب.

فإذا جُمعت هذه العلوم في شخص سُمي «فصيحاً». وإن جُمع فيه اللفظ والمعنى سمي «بليغاً». وقد قال القدماء «كلُّ كلام بليغٍ فصيح، وليس كلُّ كلام فصيح بليغاً».

أنواع البلاغة

تُطلق البلاغة على وصف الكلام المُعْجِب، كما تُطلق على المتكلم بها. والكلام البليغ: ما يلفظه الشاعر أو يكتبه الناثر بما يناسب المخاطبَ ويرضيه، شريطة أن يناسب عقول السامعين وأحوالهم وطبقاتهم. ولهذا كانت مراتب البلاغة متفاوتةً، بقدر تفاوت الاعتبارات والمخاطبين.

واشترطوا في بلاغة الكلام المساواةَ، من غير إطناب أو إيجاز، ما لم يكن مقتضى الحال يتطلب الإطناب كما في «البيان والتبيين» للجاحظ، أو الإيجاز كما في الأمثال، والحكم، والأقوال المأثورة، وجوامع الكلم، كقول الرسول الكريم: «جنةُ الرجل داره» و«صدقةُ السر تطفئ غضب الرب» وقوله: «المستشيرُ مُعان والمستشار مؤتمن»، وقول عمر رضي الله عنه: «مَن كتمَ سرَّه كان الخيار في يده»، وقول الإمام علي: «قيمةُ كل امرئ ما يُحسن».

أما بلاغة المتكلم فهي ملكة تمكِّن صاحبها من أن يعبِّر عن خَلَجات نفسه بعبارات بليغة رصينة، مراعياً من يخاطب. ويتَّسم البليغ برصانة القول، وسلامة النظر، والابتكار، وتنسيق المعاني في عرضها، وقدرته على تأليف كلام بليغ.

أقوال في البلاغة

للقدماء أقوال مأثورة في البلاغة، وأقوالهم هذه هي البلاغة عينُها:

- قال ابن المعتز: «أبلغُ الكلام ما حسُنَ إيجازه، وقلَّ مَجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صُدوره وأعجازه»[1].
- قال المفضل الضبيّ: قلت لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: «الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خَطل»[2].
- سئل جعفر بن يحيى البرمكي: ما البيانُ؟ فقال: «أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك، كاشفاً عن مغزاك، وتخرجَه من الشِّرْكة، ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكونَ سالماً من التكلف، بعيداً من سوء الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأمل»[3].
- سمع خالد بن صفوان رجلاً يتكلم، ويكثر الكلام، فقال له: «اعلمْ – رحمك الله – أن البلاغة ليست بخفة اللسان، وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى، والقصدِ إلى الحُجَّة»[4].

---

(1) نهاية الأرب: 7/ 11.

(2) البيان والتبيين: 1/ 97. والخطل: الخطأ.

(3) نهاية الأرب: 7/ 8.

(4) مختار العقد الفريد: 98. الهذيان: التكلم بغير معقول لمرض أو لغيره.

أنواع الأساليب الفنية



يحسُن بطالب المعرفة للبلاغة أن يدرس «الأسلوب» الذي هو الوسيلةُ الوحيدة للتعبير عن بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم. وبهذا الأسلوب يُصاغ ما يراد وصفه وشرحه والتعبير عنه.

والأسلوب طريقة يستخدمها الكاتب ليبين رأيه، أو يعبر عن موقفه بألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأدّى فعلاً في نفس قارئه أو سامعه. فتعرف شخصية صاحب هذا الأسلوب، واتجاهه الفني، وتميُّزه باختيار المفردات، وانتقاء التراكيب لأداء أفكاره حقَّ أدائها. وهل يميل إلى البلاغة والفصاحة، أو إلى العامية والركاكة، وهل أسلوبه علمي أو أدبي؟

والأسلوب إما سهل واضح، وإما معقد ووعر. أما الأسلوب المعتدل فهو الذي يجمع بينهما. وتتغير سمات الأسلوب تَبَعاً لكل عصر، تماماً كما تتغير من شخص إلى آخر. ومن هنا قالوا: الأسلوب هو طريقةُ الكاتب في التعبير عن موقفٍ ما، والإبانة عن شخصيته المتميزة عن سواها.

وكما أن لكل عصر أسلوباً، فإن لكل موضوع أسلوباً. والأديب الجيد هو الذي يُحسن إلباس موضوعه الثوبَ الأسلوبي المناسب. وقديماً قالوا: « لكل مقام مقال». فهو يعرف بأيِّ أسلوب يوضح فكره، أو يعرض تجربته الشعورية، أو يتفاعل مع انفعالاته التي يمرُّ بها، وينتقي الألفاظ والتراكيب المناسبة، ويختارها من مكنوزه اللغوي لتؤديَ الغرض والهدف، وليتمكن من التأثير في قارئه أو سامعه.

فالأسلوب هو شخصية الأديب كأسلوب الجاحظ، والهمذاني، وابن العميد، وطه حسين، وعلي الطنطاوي. وإن تبديل أسلوبه بحسب المعاني التي يعرضها يكشف عن رجاحته وتمكُّنه، وبالتالي تقديرهِ معادلةَ الأسلوب بالنسبة إلى الموضوع.

ويقودنا هذا بالتالي إلى استعراض أنواع الأسلوب. لكننا في هذا المطاف لا يسعنا أن ندرس الأساليب كلها، غير أننا سنتوقف عند أهمها، ونضع النماذج الأسلوبية لكل نوع:

1- **الأسلوب الأدبي:** هو الأسلوب الذي يتصف بالجمال، وحسن صياغته الفنية، واستعماله للمفردات والتراكيب. ويتميز الأسلوب الأدبي بالتصوير الدقيق، والخيال الرحيب، وتلمُّس وجوه الشبه البعيدة الأفق، ويُلبس المعنويَّ ثوب المحسوس، أو يظهر المحسوس منها في صورة المعنوي. وهدفُ صاحبه أن يجذب انتباه القارئ إليه، ويحثَّه على مطالعة ما يقرأ.

وهذا النوع من الأساليب الرشيقة كتب به خيرة أدبائنا المتميزين القدماء كابن المقفع وعبد الحميد الكاتب والجاحظ، وخيرة أدبائنا المحدثين كالرافعي والزيات والمنفلوطي. والأسلوبُ الأدبي يختلف كلياً عن الأسلوب المتكلَّف المفعم بألوان الصنعة البديعية، والمحشوِّ بالألفاظ الغريبة والحوشية.

وفيما يلي نص للأديبة «ميّ زيادة»، تتحدث فيه عن بلبلٍ جميل الشكل، حلو الغناء. استخدمت فيه أرقَّ المفردات، وأسلس التراكيب، واستلهمت فيه الخيال الممتزجَ بروحها الإنسانية، وربطت فيه الصور المحسوسة بالصور المعنوية السامية، بأداء فني ينمُّ على حسن أسلوبي وحسٍّ بياني:

ظلمات وأشعة

«طائرٌ صغير نسجتْ الشمس ذهبَ جناحيه، وانحنى الليلُ عليه، فترك من سواده قُبلة في عينيه. ثم سطت عليه يدُ البشر، فضيَّقَت دائرة فضائه، وسجنته في قفص كان عشَّه في حياته ونعشَه في مماته.

طائر صغير أحببتُه شهوراً طوالاً، غرَّد لكآبتي فأطربها، وناجى وحشتي فآنسها، وغنى لقلبي فأرقصه، ونادم وحدتي فملأها ألحاناً وامتزج ذكرُه بحياتي، فحلَّ عندي محلَّ صديق لا تصلني به اللغة، ويعزِّزُه إليَّ حضورُه الدائم، وإنْ لم يبالِ بحضوري، وصوتُه الرخيم، وإن لم يغرد إلا لأنَّ التغريد من طبعه..».

2- **الأسلوب البلاغي:** هو أسلوب الكاتب المرموق الذي يُدخل فيه شتى الفنون البلاغية التي من شأنها أن ترفع من أسلوبه، ويتفوّق به على غيره شريطةَ ألا يبالغ بالصور البيانية، والخيالات المجنحة، وأفانين الصنعة اللفظية والمعنوية، حتى لا يؤثر في جمالية الأسلوب وجاذبيته.

فالأسلوبُ البلاغي شبيه بالأسلوب الأدبي، مع إضفاء روح البلاغة وآلاتها عليه. وهو أسلوب كبار الأدباء والشعراء كعبد الوهاب البيَّاتي، وبدر شاكر السياب، ونزار قباني.

يقول نزار قباني في حرب تشرين الظافرة، مخاطباً وطنه دمشق الشام:

جاء تشرينُ، إنَّ وجهكِ أحلى ... بكثيرٍ.. ما سرُّه تشرينُ؟

يا دمشقُ البسي دموعي سِواراً ... وتمنَّي.. فكلُّ صعبٍ يهونُ

وضعي طرحةَ العروس لأجلي ... إنَّ مَهرَ المناضلاتِ ثمينُ

اسحبي الذَّيلَ يا قنيطرة المجـ ... ـدِ، وكحِّلْ عينيك يا حَرَمونُ

3- **أسلوب الحكيم:** هو الأسلوب الذي يتلقَّاه المرءُ بغير ما كان يترقَّب؛ إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، لأهمية الآخر. وإمّا بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد، ويريد تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ ﴾ [البقرة: 215].

4- **الأسلوب الخطابي:** يختلف الأسلوب الخطابي عن الأسلوب الكتابي في الموضوع، والأسلوب، وطريقة الأداء. وتبرز فيه قوة المعاني، والعناية المتميزة في عرضها، وفي قوة الحجة، والشواهد المؤيِّدة، وقوة العقل الخصب. ويستخدم الخطيبُ في أسلوبه التعابير المثيرة للعزائم. ولجماله ووضوحه شأن كبير في تأثيره بالسامعين[1].

وللأسلوب الخطابي مميزات في انتقاء المفردات الواضحة، والحروف الموسيقية ذات النَّبر، وعدم تنافر الحروف، حتى يسهل على الخطيب لفظها، ويسهل على السامع تلقِّيها. ومن أظهر مميزات الأسلوب الخطابي: التكرارُ، والمترادفات، وضرب الأمثال، واختيار الألفاظ الجزلة الرنّانة. ويجب أن تتعاقب ضروب التعبير من خبر وإنشاء، ومن توكيد وتعجب واستفهام لإشراك السامع نفسياً. وتُرفض المفردات العويصة والغريبة، والجمل الطويلة.

1- نموذج قرآني خطابي في الترغيب والترهيب

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ[2] ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ[3] ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ[4] ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ[5] ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ[6] ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ[7] ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ[8]﴾ [يس: 51-58]

والسورة مكية.

---

(1) فن الكتابة والقول: 101.

(2) الصور: القرن ينفخ فيه. ينسلون: يسرعون. والمضارع على ما سيحدث مستقبلاً.

(3) قالوا: هم الكفار. مرقدنا: قبرنا. ما وعد: ما اسم موصول بمعنى الذي.

(4) إن: نافية بمعنى ما. صيحة: نفخة. محضرون: نحضرهم للحساب.

(5) في شغل: مشغولون بنعيم الجنة. فاكهون: فرحون.

(6) في ظلال: في الظل. الأرائك: واحدها أريكة وهي السرير الفاخر.

(7) يدّعون: يتمنّون ويسألون.

(8) سلام: خبر لمبتدأ محذوف، سلام من الله عليهم. قولاً: مفعول مطلق.

2- نموذج خطاب للحجاج بن يوسف الثقفي في مسجد الكوفة

أنـا ابـنُ جَـلا وطـلاَّعُ الثنايـا   متـى أضـع العمامـةَ تعرفـوني [1]

«يا أهلَ الكوفة، إني لأرى رؤوساً قد أينعتْ [2] وحانَ قطافُها، وإني لصاحبها.. إني واللهِ يا أهلَ العراق ما يُقَعْقَعُ لي بالشِنان [3] ، ولا يُغْمَزُ جانبي كتَغماز التين [4] .. وإن أمير المؤمنين -أطال الله بقاءَه- نثرَ كِنانَته بين يديه، فعجمَ عيدانها، فوجدني أمَرَّها عوداً، وأصلبها مَكسراً [5] ، فرماكم بي، لأنكم طالما أوْضَعْتُم [6] ، واضطجعْتُم في مراقد الضلال [7] ..»

5- **الأسلوب العلمي:** هو أهدأ الأساليب، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم، والفكر المستقيم، وأبعدُها من الخيال الشعري، والصور البيانية، والتشابيه الفنية، لأنه يخاطب العقل، ويناجي الفكر، ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخَفاء. ولعل أظهر ميزات الأسلوب العلمي: الوضوحُ، وسطوع البيان، ورصانة الحجج. ويأتي جمال الأسلوب في سهولة عباراته، وحسن اختياره لألفاظه المناسبة، وتقديره لتقليب الكلام حسب الأفهام بحيث يجعل القارئَ قانعاً بما يقرأ؛ ذلك أن الأسلوب العلمي يخاطب العقل بأسلوب منطقي هادئ. في حين أن

---

(1) البيت لسحيم بن وثيل. ابن جلا: ابن رجل جلا الأمور. الثنايا: الطرق في الجبال. أضع: أنزِل.

(2) أينعت: نضجت.

(3) القعقعة: صوت الأشياء اليابسة إذا تحركت. الشنان: الجلد اليابس، يُقعقع به للإبل فتنفر وتسرع، أي إنه لا يخاف. واحدها شنّ.

(4) يُغمز التين ليجفف، أي لا يسهل التأثير فيه.

(5) أمير المؤمنين: عبد الملك بن مروان. الكنانة: جعبة السهام. عجم العود: مضغه ليمتحن صلابته. أمرَّها: أقواها.

(6) رماكم بي: أرسلني إليكم. أوضعتم: أسرعتم.

(7) الجملة استعارة بأنكم تعوّدتم الضلال والمروق.

الأسلوب الأدبي يغلب عليه الإقناع عن طريق العاطفة والصور البيانية الساحرة، والكنايات والتشابيه.

ولهذا يجدر بالكاتب العلمي أن يتنحّى عن المجاز، وعن الصور الخيالية، وعن المحسنات البديعية إلا ما يجيء عفواً وضرورة[1].

القمر الصناعي

يتحدث عبد الرحمن الغلاييني عن «القمر الصناعي»، ساعياً إلى إثبات حقائق علمية، ومحاولاً إيصال المعلومة إلى القارئ بالبراهين العلمية، وبالأرقام، والقياسات، من غير أن يُشغل فكره بالعناية الأسلوبية. يقول:

«.. ويعدُّ التغلب على مشكلة وزن القمر الصناعي إيذاناً بفتح جديد في دنيا الاتصالات الفضائية. ذلك أنه أصبح بالإمكان حملُ مختلف أوزان أقمار الاتصالات أو المركبات الفضائية بواسطة سفينة الفضاء.

لقد صُمِّم المكوك الفضائي لحمل أقمارٍ ذات وزن يصل إلى **2000**كغ. وبدأ استخدام المكوك بدءاً من شهر نيسان (أبريل) عام **1981**، عندما قامت السفينةُ الفضائية (كولومبيا) برحلة في مدارٍ حول الأرض، استغرقت أربعاً وخمسين ساعةً، ثم عادت بسلام إلى الأرض. ثم قامت مرةً أخرى برحلة كان مقرراً لها أن تُمضي مئة وعشرين ساعة في الفضاء، إلا أنها اخْتُصرت إلى ست وخمسين ساعة بسبب خلل أصاب البطارية الأولى..».

6- الأسلوب العلمي الأدبي: يهدف كاتبه إلى إعطاء المعلومات العلمية بأسلوب أدبي. وهو حين يبسط آراءه لا ينسى أن يهتم بأسلوبه، ويلوِّن صياغته بإشراقة وتذوُّق. وخيرُ من يمثل هذا الأسلوب الجاحظ في كتابه «الحيوان»، والقزويني في كتابه «عجائب المخلوقات».

---

(1) جواهر البلاغة: 52 بتصرف وإضافة.

مفهوم التَّنمية

كتب محمد الرُّميحي مقالاً حول «التنمية»[1]. ويلاحظ القارئ أداءَ الكاتب العلمي بأسلوب مشرق هو أقرب ما يكون إلى الروح الأدبية، من غير تعمق:

«التنميةُ مفهوم أخلاقيٌّ من جهة، وغامضٌ من جهة أخرى؛ فهي تعني اطِّراداً ونموّاً مقصوراً ومحدَّداً، له وظائف وأهداف. وهو يتباين بذلك عن النموِّ العشوائيِّ الذي يصيبُ بعض المجتمعات وفقَ قانون الحركة والزمن والتراكم.

ولذلك فنحن نرى أن المقابلة بين الدول النامية والدول المتقدمة تتمُّ على أفضل وجهٍ إذا قابلنا بين الثمار الفِجَّة للأولى واليانعة للثانية التي تتمثل في نتائجِ ومحصلات التنمية وانعكاساتِها على الحياة. وتتمُّ أيضاً في الجذور، أعني المحاور الأساسية للمجتمعات والقُطَاعات الرئيسية للإنتاج».

(1) مجلة العربي، عام 1988.

الفصــل الثاني

علم المعاني

علم المعاني

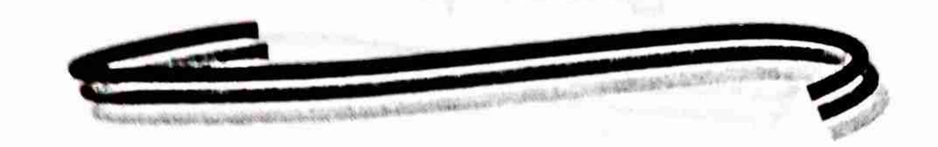
هو العلم الذي تُعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق اقتضاءَ الحال، أي ما يناسب المخاطب أو الموضوع، واعتماده على اللفظ المناسب. فالأديبُ العاقل الذي يفكر بالمعاني في نفسه، حتى إذا نضجت أخرجها بالألفاظ، واختار لها المفردات التي يقتضيها الحال. فإنْ هو أرسلَ المعاني من غير تريُّث، ولم يعتنِ بالألفاظ التي تزين معانيَه دلَّ على تسرّعه وخذلانه.

كما أن مقتضى الحال يتطلب الإيجاز في مخاطبة المرء المتنبِّه الواعي، كما يتطلب الإسهاب والإطناب مع المرء الجاهل، وهو في كلا الأمرين بليغ في أداء معانيه، فإن هو عكس الآية أساءَ التصرف، وخرج عن معنى البلاغة ومقتضى الحال.

ولعلم المعاني أصول وقواعدُ يُعرف بها أحوال الكلام العربي، بحيث يكون وفقَ الغرض الذي سِيق له؛ فلا يجوز الإيجاز في موضع الإطناب، ولا العكس. وموضوعُه اللفظ، وأساسه الإعراب ومجمل قواعد النحو. وفائدته معرفة إعجاز القرآن، والوقوفُ على أسرار البلاغة والفصاحة. وواضعه عبد القاهر الجرجاني (ت **471هـ**)، وتبعه جارُ الله الزمخشري في كتابه «الكشاف».

ولعلم المعاني موضوعات عديدة لا بدَّ من التفصيل فيها لفهمها، ومعرفة استخدامها وشرحها.

تقسيم الجمل إلى خبرية وإنشائية



الجملة الخبرية

الخبر: جملةٌ مفيدة تحتمل الصدق والكذب، كقولك: «المطرُ نازل»، فقد تكون صادقاً في إخبارك، كما قد تكون كاذباً. والجملة الخبرية تكون فعلية مثل: فاز أحمدُ، أو تكون جملة اسمية، نحو: أحمدُ فائز. والتصديق والتكذيب حاصلان في كليهما.

وقد يتمُّ الخبر ويتحقق مدلوله في الخارج ولو لم تنطق به، كقولك: القمرُ منير، والعلم نافع. فنورُ القمر ونفع العلم محقَّقان سواءٌ أتلفظت بالجملتين أم لم تتلفظ بهما، لأن الناس يعلمون هذا ويعترفون به. والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع أو قضت به الشرائع، كقولك: الصلواتُ خمس، والموتُ حق. والمراد بكذب الخبر عدم مطابقته للواقع والشرع، كقولك: لا وجودَ للشمس، والصلاة غيرُ مفروضة.

والأصل في الجملة الخبرية أن تُلفظ لأحد غرضين:

أ- إفادة المخاطب ما ورد في الجملة، إن كان جاهلاً مضمونها، كقولك لمن تخاطب: فلان بخيل، وكقول النبي ﷺ: «الدينُ المعاملة».

ب- إفادة المخاطب ما ورد في الجملة وهو عالم بها، كقولك لأخيك وقد سمعتها الأذان: قم إلى الصلاة فقد أذَّن المؤذن. وأنتَ نجحتَ في الامتحان.

أنواع الخبر

للخبر ثلاثة أنواع أو ثلاثة أضرب، هي:

أ- **الخبر الابتدائي**: ويكون السامع فيه خالي الذهن ممّا يسمع، فلا يحتاج إلى أن يؤكده المتكلم، نحو قوله تعالى:

- ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ [عبس: 1- 2].

- المرءُ يحب الخيرَ.

- وقول الشاعر أحمد شوقي:

ركَزوا رفاتَكَ في الرمالِ لواءَ ... يستنهضُ الوادي صباحَ مساءَ

ففي هذه الأمثلة لا حاجة إلى التأكيد لأنها لا تقع في ذهن السامع مع موقع التكذيب، وهي معروفة له.

ب- **الخبر الطلبي**: وهو الخبر الذي يحتاج إلى مؤكد واحد حتى يتثبَّتَ السامعُ ممّا يسمع، لأنه قد يكون متردداً بين مصدِّق للخبر ومكذبٍ له. وهو يريد أن يتأكد ليزيلَ عنه الإنكار والشك. وسُمّي هذا الضرب طلبياً لإزالة ما في نفسه. فيُكتفى بمؤكد واحد، نحو:

- ﴿ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: 36].

فالجملة خبرية طلبية لوجود «إنَّ».

- وقال أبو العتاهية واعظاً:

إنَّ البخيلَ وإنْ أفادَ غِنًى ... لَترى عليه مَخايلَ الفقرِ

الجملة (إن البخيل..) خبرية طلبية. وقد أضاف الشاعر أداة التوكيد «إنَّ» حتى لا يتوهَّم السامع أن البخيل إذا غنيَ تكرَّم، بل يظلُّ فقيراً بحياته ومظهره.

ج- الخبر الإنكاري: قد يضطر المتكلم إلى استخدام أكثر من أداة توكيد، حين يرى أن السامع يستنكر الخبر الذي يسمع، ذلك أنه قد يظن الخبر مروياً بغير هذه الطريقة، فيأتي له بمؤكدين أو أكثر لإثبات صحة ما يرويه، نحو: «والله إنك عنيدٌ». فقد لا يظن السامع أنه عنيد، فيؤكد له المتكلم عناده بوسيلتين: «إنَّ» و«القسم». فقد ذكر هنا مؤكدين.

وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ [الذاريات: 23].

فذكر الله في الآية ثلاث وسائل للإنكار هي: القسم «وربِّ السماء»، و«إنَّ» التوكيدية، و«اللام المزحلقة». فقد كان المشركون ينكرون أن يكون رزقُهم يأتي من السماء، فاحتاج الإنكار إلى إثبات وتوكيد.

أدوات التوكيد

بقي أن نذكر الأدوات والوسائل التي يؤكَّد بها الخبر، وهي حروف وأسماء، وهي كثيرة، ومنها:

إنَّ: هي حرف مشبه بالفعل، لكنها تُستخدم للتوكيد،كقول أبي العتاهية:

إنـي رأيـتُ عواقـبَ الـدنيا فتركـتُ مـا أهـوَى لِمـا أخْـشَى

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم: 30].

أنَّ: هي حرف مشبه بالفعل، يُستخدم للتوكيد، نحو:

أرى أنَّك تُكثر الكذب.

القسم: إن أسلوب القسم يعدُّ من المؤكدات، نحو:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾ [البروج: 1- 2] [1].

---

(1) ذات البروج: ذات الكواكب. اليوم الموعود: يوم القيامة.

فالله تعالى يقسم بالسماء في الآية الأولى، وبيوم القيامة في الآية الثانية، والواو: حرف قسم وجر، وقوله: «والسماء» أي أقسمَ الله بها وبما بعدها، لأنها من مخلوقاته.

نون التوكيد الثقيلة: وتدخل على الفعل المضارع، كقوله تعالى:

﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: 22].

ففي الآية ثلاثة مؤكدات هي: لام القسم في (لئن)، ولام التوكيد في (لنكونن)، ونون التوكيد الثقيلة. فالجملة خبرية إنكارية.

نون التوكيد الخفيفة: وتدخل كذلك على الفعل المضارع، ويكون التوكيد بها أخفَّ من الثقيلة، نحو: لأضربَنْ من سرق (الجملة خبرية إنكارية).

ألا: أداة الاستفتاح والتنبيه، كقول أبي العلاء المعري:

ألا في سبيلِ المجد ما أنا فاعلُ ... عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

فأداة التوكيد «ألا». فالجملة خبرية طلبية.

قد: حرف تحقيق، كقولك: قد فعلتُ. فالجملة خبرية طلبية. وقول الشاعر:

وإنَّ امرأً قد سارَ خمسينَ حجَّةً ... إلى منهلٍ من وِردِه لقريبُ

في البيت ثلاث مؤكدات هي: إنَّ، قد، اللام. فالجملة خبرية إنكارية.

الباء الزائدة: كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]. وهذه الباء تقع زائدة إذا اتصلت بخبر ليس وأخواتها، وهي من أدوات التوكيد.

أمّا الشرطية: وتقع في أول الجملة الفعلية أو الاسمية، ويجب أن يتصل خبرها بالفاء الواقعة في جواب الشرط، نحو: «أما العروبةُ فهيَ شعارُنا».

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 9- 10]؛ وقولك: أما خالدٌ فشجاع كريم.

التكرار: يعدُّ تكرار الكلمات في الجملة من أنواع التوكيد، كقولك: أنت أنت البطل، المطرُ المطرُ أغاثنا. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا

﴿ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: 9- 11] [1]. فالآيات خبرية ضربها إنكاري، لأن الفعل «جعلنا» تكرر ثلاث مرات.

لام الابتداء: هي اللام التي تقع في أول الكلام ومتصلة بالمبتدأ، نحو: لمحمدٌ رسول الله. فإذا زحلقت إلى الخبر سميت اللام مزحلقة. فالجملة خبرية ضربها طلبي.

والخلاصة:

1- إذا كان السامع خالي الذهن أُلقيَ إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد، فيسمى هذا الضرب ابتدائياً.

2- إذا كان السامع متردداً يفضَّل توكيده بأداة واحدة، فيسمى هذا الضرب طلبياً.

3- إذا كان السامع منكراً ما سمع وجب توكيد الكلام بأكثرَ من مؤكِّد، فيسمى هذا الضرب إنكارياً.

وأدوات التوكيد كثيرة، منها ما يدخل على جملة فعلية، ومنها ما يدخل على جملة اسمية، ومنها ما يجوز دخوله على الجملتين.

أ- يدخل على الجملة الاسمية: إنَّ وأنَّ (حرفا تشبيه) [2]، ولام الابتداء، وضمير الفصل، والباء الزائدة.

ب- يدخل على الجملة الفعلية: قد التحقيقية وتدخل على الفعل الماضي، ونونا التوكيد الثقيلة والخفيفة، وتدخلان على الفعل المضارع والأمر.

ج- يدخل على الجملتين الاسمية والفعلية: أدوات التنبية (ألاَ، هيا)، أمّا الشرطية[3]، إنما الكافّة والمكفوفة، القسم ظاهراً أو مقدراً، اللام الموطئة للقسم، وهي المتصلة بإنْ الشرطية (لئنْ)، الحرف المضعَّف في الاسم أو الفعل، التكرار.

(1) الليل سباتاً: قَطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم. الليل لباساً: ساتراً لكم بظلمته.

(2) إن الجملة التي تبدأ بالحروف المشبهة بالفعل كلها جمل اسمية. وجملة كان وأخواتها جميعاً جمل فعلية.

(3) حرف شرط وتفصيل وتوكيد.

نماذج محلولة من القرآن الكريم (1)

1- ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ [فصلت: 17].

2- ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ﴾ [الكهف: 79].

3- ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: 39].

4- ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ [الشورى: 42].

5- ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 23].

6- ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [سبأ: 38].

الحـــل

الآية	الجملة	المؤكدات	ضرب الخبر
1	وأما ثمود	أما	طلبي
	هديناهم	–	ابتدائي
2	وأما السفينة	أما	طلبي
	كانت لمساكين	–	ابتدائي
3	فإن الجحيم..	إنَّ. هي[1]	إنكاري
4	ولمن صبر	لام الابتداء	طلبي
	صبر	–	ابتدائي
	غفر	–	ابتدائي
5	والله... مشركين	القسم	طلبي
6	إن ربي...	إنَّ	طلبي

(1) هي: ضمير فصل ويستخدم للتوكيد.

نماذج محلولة (2)

1- قال الشاعر:

أفـــدي الـــذي قـــال، وفي كفّـــه مثـلُ الـــذي أشـــربُ مـــن فيـــهِ:

الـــوردُ قـــد أينـــعَ في وجـــنتي قلـــت: فمـــي بـــاللثم يجنيـــهِ

2- قال ذو الإصبع العَدواني:

إنـــي لَعَمْـرُكَ مـــا بـــابي بـــذي غَلَـقٍ عـن الـصديق ولا خـيري بممنـونِ

3- قال ابن الدُّمَيْنة:

تَعاللْـتِ كـي أشـجى ومـا بـكِ علّـةٌ تريـدين قتلـي، قـد ظفـرتِ بـذلكِ[1]

4- وقال ابن زيدون:

واللهِ مـــا طلبَـــتْ أهواؤنـــا بَـــدَلاً مـنكُمْ، ولا انـصرفَتْ عـنكُمْ أمانينـا

5- وقال الشاعر:

وإنـــي لـــصبّارٌ علـــى مـــا ينـــوبُني وحسبُك أنَّ الله أثنى على الصبرِ[2]

---

(1) أشجى: أحزن.

(2) ينوبني: يصيبني.

الحـــل

البيت	الجملة	المؤكدات	ضرب الخبر
1	أفدي الذي	-	ابتدائي
	قال	-	ابتدائي
	وفي كفه مثل	-	ابتدائي
	أشرب	-	ابتدائي
	الورد قد أينع	-	ابتدائي
	أينع	قد	طلبي
	قلت	-	ابتدائي
	يجنيه	-	ابتدائي
2	إني.. ما بابي بذي غلق	إن + لعمرك قسمي+ الباء	إنكاري
	لعمرك	اللام	طلبي
	تعاللت	-	ابتدائي
3	أشجى	-	ابتدائي
	ما بك علة	-	ابتدائي
	تريدين	-	ابتدائي
	قد ظفرت	قد	طلبي
	والله	القسم	طلبي
4	ما طلبت	-	ابتدائي
	انصرفت	-	ابتدائي
	إني لصبار	إن+ل+المبالغة بالتضعيف	إنكاري
	ينوبني	-	ابتدائي
5	حسبك	-	ابتدائي
	أن الله أثنى	أنّ	طلبي
	أثنى	-	ابتدائي

جملة الخبر اسمية وفعلية

أ- **جملة الخبر الفعلية**: وهي ما تركبت من فعل وفاعل، أو من فعل ونائب فاعل، أو من كان واسمها وخبرها. وهي تفيد التجدد والاستمرار والاختصار في الجملة. والفعل العربي يدل بنفسه على الزمان.

ب- **جملة الخبر الاسمية**: وهي ما تركبت من مبتدأ وخبر، وإن مع اسمها وخبرها. وهي تفيد ثبوت شيء لشيء، والقصد ثبوت المسند إليه، نحو: الأرض كروية. ولا تدل الجملة الاسمية على زمن إلا بقرينة، إذ تذكر لفظة معينة، مثل: الآن، أمسِ، غداً. وقد تفيد الاستمرار من غير قرينة، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

تدريبات على أنواع الجمل الخبرية

1- من القرآن الكريم

- ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: 62].
- ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [المائدة: 70].
- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: 117].
- ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: 76- 77].
- ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف: 53].
- ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾[1] [النبأ: 17- 18].
- ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المرسلات: 44].
- ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾[2] [النبأ: 37].

---

(1) أفواجاً: أمماً أو جماعات مختلفة الأحوال. الصور: البوق.

(2) أي خطاباً إلا بإذنه.

- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: 26].

2- من الأقوال والأشعار

- قال المعري:

رأيتُ سكوتي مَتْجراً فلزِمتُهُ   إذا لم يُفِدْ ربحاً فلستُ بخاسرِ

- قال ابن حَيّوس:

أرى ولدَ الفتى عبئاً عليهِ   لقد سعدَ الذي أمسى عقيما[1]

فإمّا أنْ يربِّيَهُ عدوّاً   وإمّا أنْ يُخَلِّفَهُ يتيما

- وقال ابن هِندو:

لا يؤيِسَنَّكَ من مجدٍ تباعُدُهُ   فإنَّ للمجدِ تدريجاً وترتيبا

إنَّ القناةَ التي شاهدتَ رِفعتَها   تَنمو وتَثبتُ أنبوباً وأنبوبا

- قال عمرو بن كلثوم:

إذا بلغَ الفطامَ لنا صبيٌّ   تخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا

- قال معروف الرُّصافي:

إنما نحنُ أمةٌ تأنفُ الذلْـ   ـلَ، وتأبى أن تستكينَ لوالِ[2]

- قال المعري:

ضجعةُ الموت رقدةٌ يستريح الـ   ـجسمُ فيها والعيشُ مثل السُّهادِ

- قال رسول الله ﷺ: «إنكم لتقلُّون عند الفزع، وتكثُرون عند الطمع».

- وقال أحمد شوقي:

---

(1) العقيم: من لا يُنجب.

(2) تستكين: تذعن.

اليــومَ أخلَفَــتِ الوعــودَ حكومــةٌ كنــا نظــنُّ وعودَهــا الإنجــيلا

- وقال رسول الله ﷺ: «عُمالكم أعمالُكم وكما تكونون يولّى عليكم».
- وقال ﷺ: «إنَّ للقلوب صدأً كصدأ الحديد وجِلاَؤها الاستغفارُ».
- وقال عمر رضي الله عنه: «أشقَى الولاةِ من شقيتْ به رعيته».
- وقال حمّاد عَجْرد:

إنَّ الكــريم لتخفَــى عنــك عُــسْرَتُهُ حتــى تــراهُ غَنيــاً وهْــوَ مجهــودُ

- وقال بشار:

أنــا واللهِ أشــتهي ســحرَ عينيــــك، وأخــشى مــصارعَ العــشاقِ

- وقال العباس بن الأحنف:

نــزورُكم لا نكــافيكمْ بجفْــوَتكُم إنَّ المحــبَّ إذا لم يُــسْتَزَرْ زارا
يقــرِّبُ الــشوقُ داراً وهــيَ نازحــةٌ مَن عــالجَ الــشوقَ لم يــستبعدِ الــدارا

الجملة الإنشائية

الإنشاء: هو الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، ولا يصحُّ أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، كقولك: اسمعْ، تعالَ، أين كنت؟ يا عمرُ..

والجملة الإنشائية مثل الجملة الخبرية تتألف من ركنين: مسند ومسند إليه، أو محكوم ومحكوم عليه.

والمسند هو الفعل، والمبتدأ المكتفي بالخبر، وخبر المبتدأ، وما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها، واسم الفعل، والمصدر النائب عن الفعل.

والمسند إليه هو الفاعل، ونائب الفاعل، والمبتدأ الذي له خبر، وما أصله مبتدأ كاسم كان. وعدا المسند والمسند إليه كالتوابع، والنواسخ، والمنصوبات من المفاعيل، والحال، والتمييز، وأدوات الشرط والنفي فتسمى **قيوداً**.

مثال على الجملة الإنشائية قول رسول الله ﷺ أو عثمان بن عفان: «اتَّقوا فِرَاسَةَ المؤمن فإنه ينظر بنور الله». فقوله: «اتقوا فراسة المؤمن» لا يمكن تكذيبه. وإن ناديت أخاك: يا أحمدُ، كذلك لا يمكن تكذيبه. والقولان لا يصحُّ أن يكذَّب قائلهما. لكن الجملة الإنشائية تحتاج إلى دراسة وتفصيل.

نوعا الجملة الإنشائية

للجملة الإنشائية نوعان: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي[1].

أ- **الإنشاء الطلبي**: هو أن يُطلب حصول شيء لم يكن حاصلاً وقت الطلب، ويراد تنفيذه حين الطلب، نحو: ما اسمُك؟ فأنا لا أعرف اسمك قبل أن أسألك،

(1) سيأتي الإنشاء غير الطلبي في نهاية الإنشاء الطلبي بعد «النداء».

وعليك أن تخبرني به، ولا يصحُّ فيه تكذيبي. وإن أنا رجوتُ الله بقولي: «اللهمَّ اغفر لي ولوالديَّ»، فإن طلب المغفرة لم يحصل قبل رجائي.

واتفق علماء البلاغة على أن الإنشاء الطلبي خمسة أقسام هي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء. وفيما يلي تفصيل هذه الخمسة:

1- **الأمر:** هو ما يُطلب به حدوث الفعل من السامع وإلزامُ تنفيذه. وصيغة الأمر تكون من المرء الأعلى إلى المرء الأدنى، كقولك: أُصْدُقني الأمر، واعمل صالحاً، وكن مهذباً، لتحضُرِ الآن. وقوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.

صيغ الأمر: للأمر في البلاغة أربع صيغ، هي:

1- فعل الأمر: وهو الفعل الذي درسناه في بناء الأفعال، ويخاطب به من هو أعلى إلى من هو أدنى، كقول معروف الرصافي:

ابنوا المدارسَ واستقصوا بها الأملا حتى نطاولَ في بُنيانها زُحَلا
جودوا عليها بما درَّتْ مكاسبُكم وقابلوا باحتقارٍ كلَّ مَن بَخلا

نلاحظ أن الشاعر يأمر الناس بأربعة أفعال (ابنوا، استقصوا، جودوا، قابلوا) وهدفه أن يقوموا ببناء المدارس والجود لها. ومقام الشاعر أعلى من الناس.

2- المضارع المجزوم بلام الأمر: فالمضارع إذا سُبق بلام الأمر صار كأنه أمر في البلاغة، كقوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق: 7] [1]. فكأن الغني أُمر بالإنفاق، أي: أنفِقْ أيها الغني.

3- اسم فعل الأمر: يقوم اسم فعل الأمر مقام الأمر، وأسماء فعل الأمر عديدة، منها: مَهْ، إيهِ، آمين، عليك، إليك، هاتِ.. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: 111].

---

(1) ذو سعة: ذو غنىً وطاقة.

أو إن أردتَ أن يكفَّ ابنك عن أذاه، فتقول لـه: «مَـهْ»، أو أردت أن يـسكت عـن حديثه فتقول له: «صَهْ» أي اسكت.

4- المصدر النائب عن فعل الأمر، كما تقول للعجول: صبراً، أي اصبر صبراً، أو تقول للمتواني عن أداء الخير: سعياً في سبيل الخير. وصبراً وسعياً كل واحدة مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: اصبر صبراً، اسعَ سعياً.

خروج الأمر عن الاستعلاء:

ذكرنا أن صيغة الأمر تكون من أعلى إلى أدنى، لكنها تخرج عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى وكلها دون الاستعلاء، وتُفهم من سياق المتكلم. وهي صيغ عديدة أوصلها البلاغيون إلى عشرين صيغةً، نذكر فيما يلي أهمها، ممّا يكثر وروده:

1- الدُّعاء: كقولـه تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [البقرة: 126]. ومن قولك في دعاء ختم القرآن: «اللهمَّ ارحمني بالقرآن واجْعَله لي إماماً وهُدًى ورحمة». فالمرء لا يأمر الله، بل يدعوه ويرجوه ويلتمس رضاه.

2- التمنّي: كقول امرئ القيس يخاطب الليل وهو في قلق:

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ   بصبحٍ، وما الإصباح منك بأمثلِ

3- التخيير: اشترِ تفاحاً أو إجّاصاً.

4- الإهانة: ﴿ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [الإسراء: 50].

5- الإرشاد: ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة: 282]، أو قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199].

نماذج محلولة على صيغة الأمر

1- قال تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: 46].

2- وقال: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ ﴾ [الأنعام: 46].

3- قال قَطَري بن الفُجاءة:

فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً فما نيلُ الخلودِ بمستطاعِ

4- قال وصفي قَرَنْفلي:

إيهِ يا شعبُ، ثُرْ بهم لا تُطأطئ بلغَ الصبرُ أفقَهُ واستجارا

5- قال الأرَّجاني:

شاوِرْ سِواكَ إذا نابَتْك نائبةٌ يوماً، وإن كنت من أهل المشوراتِ

6- قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29] [1].

حل النماذج

الرقم	الفعل	صيغة الأمر
1	ادخلوها	أمر استعلاء
2	انظر	أمر استعلاء
3	صبراً	مصدر ناب عن فعله
4	إيهِ	اسم فعل أمر
	ثر	أمر من أعلى
5	شاور	إرشاد
6	فليؤمن	مضارع مجزوم بلام الأمر
	فليكفر	مضارع مجزوم بلام الأمر

2- **النَّهي:** ضد الأمر، ويستخدم بصيغة الأمر للكفِّ عن الشيء على وجه الاستعلاء، أي ممَّن هو أقلُّ شأناً من المتكلم. ويكون النهي بالفعل المضارع مسبوقاً

(1) لام الأمر مكسورة دوماً، وتقع ساكنة إذا سُبقت بالفاء العاطفة كما جاء في الآية.

بأداة النهي الوحيدة وهي «لا» الناهية الجازمة. وليس للنهي صيغة أخرى. نحو قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 28]. وقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: 23- 24].

خروج النهي عن صيغته:

قد يخرج النهي عن صيغته الاستعلائية، ليؤديَ معانيَ أخرى يتطلبها سياق الكلام. وهذه الصيغ متعددة، نذكر أهمها:

1- الدعاء: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286].

2- الإرشاد: لا تتوانَ عن فعل الخير.

3- التمني: يا فرحة العيد لا تَنقضي.

4- التحقير: قال الشاعر:

لا تحسبوا مَن قَتَلتم كان ذا رمقٍ ... فليس تأكلُ إلا الميتةَ الضَّبُعُ

نماذج محلولة على صيغة النهي

1- قال إبراهيم ناجي:

لا تقلْ لي: ذاك نجمٌ قد خَبا ... يا فؤادي كلُّ شيء ذَهبا

2- قال معروف الرصافي:

لا تجعلوا العلمَ فيها كلَّ غايتكم ... بل علِّموا علماً يُنتج العَملا

3- قالت الخنساء:

أعينيَّ جُودَا ولا تَجْمُدا ... ألا تبكيانِ لصخر النَّدى؟

4- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: 23- 24].

5- قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف: 27].

6- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾[1] [آل عمران: 118].

حلّ النماذج

الرقم	الفعل	صيغة النهي
1	لا تقل	نهي للتمني
2	لا تجعلوا	نهي للإرشاد
3	لا تجمدا	نهي للتمني
4	لا تقولن	نهي للإرشاد
5	لا يفتننّكم	نهي للتنبيه
6	لا تتخذوا	نهي

تدريبات على النهي

استخرج صيغ النهي ممّا يلي، وحدِّد صيغها الأخرى:

1- قال تعالى: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: 1].

2- قال تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجرات: 11].

3- قال تعالى: ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ [النمل: 18].

(1) لا يألونكم خبالاً: لا يقصرون في إفساد شؤونكم.

4- قال سليمان العيسى في ذكرى الوحدة:

لا تَلُمني، فلن أعدَّ حياتي ... في دروب الضَّياع والذلِّ شَيّا

5- قال المتنبي:

لا تلقَ دهرَكَ إلا غيرَ مكترثٍ ما ... دامَ يصحبُ فيه روحَكَ البدنُ

6- قال الرُّصَافي:

يا قومُ لا تتكلموا ... إنَّ الكلام محرَّمُ

ناموا ولا تستيقظوا ... ما فازَ إلا النُّوَّمُ

7- قال أبو نواس في مدح الأمين:

يا ناقُ لا تَسأمي أو تبلغي ملكاً ... تقبيلُ راحتِهِ والركنِ سِيّانِ

8- قال أبو الأسود الدُّؤَلي، ويُروى لغيره:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثلَهُ ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

3- **الاستفهام:** هو طلب العلم بشيء لم تكن تعرفه قبل أن تسأل عنه باستخدامك إحدى أدواته، وهي:

الهمزة، هل، ما، من، متى، أيانَ، أنّى، كيف، أيّ، كم. والأداتانِ الأولى والثانية حرفان، والباقي أسماء. وتقسم بحسب الطلب إلى:

أ- ما يطلب به التصور تارةً والتصديق أخرى. وهو بهمزة الاستفهام.

ب- ما يطلب به التصديق على ما يُسأل. وهو بهل.

ج- وفي سائر الأدوات يُطلب التصوُّر فقط.

وفيما يلي التفصيل:

الهمزة: ويُطلب بها التصور، والتصديق:

فالتصوُّر: هو إدراك المفرد عدمَ وقوع النسبة. وفيه تأتي الهمزة متلوَّةً بالمسؤول عنه، وتتوسط «أم» الجملة، وهي أمُّ أدوات الاستفهام[1]، ولهذا خصُّوها بأحكام دون سائر الأدوات كتصدُّرها الجملة، وجواز حذفها. والتصور أن تعتقد بحصول أحد أمرين، وتريد تعيينه، نحو: أأبوك مسافر أم عَمُّك؟ فأنت متردد وتريد من المتكلم تحديدَ المسافر. وفي هذه الحال تعرب الهمزة: همزة التسوية، وتعرب «أم»: أم المتصلة.

وقد تدخل الهمزة في حال التصور على الفعل، نحو: أتتوقف عند هذا الحدِّ أم تتابعُ؟ وقد تسقط «أم» وما بعدها إذا كان السؤال واضحاً، نحو قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء: 62]. أي: أم غيرُك؟

والتصديق: يكون عن نسبةٍ تردُّد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها. وفي هذه الحال يمتنع ذكر «أم». ويُسمى الاستفهام عن نسبة لتحديد أحد الطلبين: فإن سألتَ: أسافرَ الأمير؟ كان شكك في السفر. وإذا قلت: آلأمير سافرَ؟ كان شكك في الأمير.

وقد تقع «أم» في الجملة المتصلة بهمزة التصديق، فتسمى عندئذ أم المنقطعة، ويكون معناها «بل»، كقول مُتَمم بن نُويرة في مقتل أخيه مالك:

ولستُ أبالي بعدَ فقدي مالكاً ... أموتيَ ناءٍ أم هو الآن واقعُ؟

هل: حرف استفهام يختص بالتصديق والإيجاب. (أي عدم النفي). فلا يجوز أن يقال: هل لم يقم زيد؟ ولأنها للتصديق لا يُذكر معها «أم»، فلا يجوز قولك: هل سعدٌ قام أم سعيد؟ بل الصواب: هل قام سعد؟ فيكون الجواب: نعم أو لا.

وهل تنقل المضارع إلى المستقبل مثل السين وسوف، فتقول: هل تصدِّق قولي؟ أي في المستقبل.

---

(1) استخدمها القرآن الكريم كثيراً، ووردت فيه 497 مرة.

ولا تدخل «هل» على: المضارع في زمان الحال، ولا على المنفيِّ من الكلام، ولا على أداة الشرط، ولا على اسم بعده، فلا يجوز أن تقول:

هل تدخلُ الآن؟ هل لم تنم؟ هل إذا درست تنجحُ؟ وهل رجلاً رأيت؟ في حين أنه يجوز ذلك كله مع الهمزة، فتقول:

أتدخلُ الآن؟ ألم تنم؟ أئذا درستَ تنجحُ؟ أرجلاً رأيت؟

من وما: من: للعاقل، وما: لغيره. مَن غزا غزة؟ من أنت؟

ما اشتريتَ؟ ما وراءَك؟

متى وأيان: اسما استفهام في محل نصب ظرف زمان، نحو: متى تسافر؟ ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾؟

وكلاهما لتعيين الزمان. على أنَّ «متى» يُستفهم بها عن كل زمان، أما «أيان» فللمستقبل.

أين: اسم استفهام في محل نصب ظرف مكان، يطلب بها تعيين المكان، نحو: أين كنت؟ أي في أيِّ مكان كنت؟

أنَّى: اسم استفهام للزمان بمعنى «متى»، نحو: زُرني أنَّى شئتَ؟

أو بمعنى «كيف»، نحو: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: 30]، أي: كيف يُصرفون عن الحق بعد وقوعه؟

أو بمعنى «من أين»، نحو: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: 47].

كم: اسم استفهام، يُستفهم بها عن عدد مبهم، نحو: كم ليرةً معك؟ بمعنى: أيُّ عدد من الليرات؟ والاسم المنصوب بعدها تمييز. قال تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: 19]. أما «كم» الخبرية فلا تردُ هنا.

كيف:اسم استفهام، يُطلب به تعيين الحال، نحو: كيف أنت؟ وقول الشاعر:

وكيف أخاف الفقرَ أو أحرَمُ الغنى ... ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ؟

وقد تأتي بمعنى التعجب، نحو: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 28]. أو للنفي والإنكار: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ [التوبة: 7].

أيّ: اسم استفهام، يُسأل بها عن كل معنىً من معاني الأدوات السابقة، ويُطلب بها تمييز أحد المشاركين في أمر يَعُمُّهما، كقوله تعالى: ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ [مريم: 73] أي أنحنُ أم أصحاب محمد ﷺ؟

نماذج محلولة على الاستفهام

1- قال تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ ﴾ [البقرة: 100][1].

2- قال تعالى: ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ ﴾ [التوبة: 124].

3- قال تعالى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: 26].

4- قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: 60].

5- قال ابن الرومي مادحاً:

ألستَ المرءَ يَجْبي كلَّ حمدٍ ... إذا ما لم يكن للحمدِ جابِ؟

6- قال الشاعر:

ما للمنازلِ أصبحتْ لا أهلُها ... أهلي ولا جيرانها جيراني؟

7- قال المتنبي:

ومَن لم يعشقِ الدنيا قديماً؟ ... ولكنْ لا سبيل إلى الوصالِ

---

(1) إذا جاءت الواو أو الفاء عاطفتان في الجملة وجبَ وصلها بعد الهمزة مع الهمزة فقط.

حلّ النماذج

الرقم	الأداة	الغرض من الاستفهام
1	الهمزة	استفهام غرضه الإفهام
2	أيُّ	استفهام غرضه التمييز بين اثنين
3	أينَ	استفهام غرضه السؤال عن المكان
4	هل	استفهام غرضه النفي
5	الهمزة	استفهام غرضه التقرير
6	ما	استفهام غرضه التحسر
7	مَن	استفهام غرضه النفي

4- **التمني:** طلبُ أمرٍ محبوبٍ لا يُرجى حصوله ولا يُتوقع، إمّا لكونه مستحيلاً، كقول الشاعر أبي العتاهية:

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأُخبرَهُ بما فعل المشيبُ

وإمّا لكونه ممكناً غيرَ مطموع بنيله أو عدم الرغبة في الحصول عليه، كقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ [القصص: 79].

أدواته: له أداة أصلية هي «ليت»، وأربع غير أصلية، استخدمت للتمني في أغراض بلاغية أحياناً، هي: لعلَّ، ولو، وهل، وعسى. وقد ينصب الفعل المضارع بعدها لدلالة التمني البلاغية، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: 1] أي ليته يفعل.

وقول صريع الغواني:

واهاً لأيام الصِّبا وزمانه ... لو كان أسعفَ بالمُقام قليلا

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 102]. والدليل على أنها للتمني أن الفعل «نكونَ» جاء منصوباً.

5- **الترجّي:** إذا كان الأمرُ المحبوب ممّا يُرجى حصوله كان طلبه ترجّياً، ويعبَّر فيه بلعلَّ أو عسى أو لو. كما قد تُستعمل فيه «ليت» لغرض بلاغي. وتستخدم هذه الأدوات لإبراز المعنى في صورة الممكن القريب الحصول للتشوق إليه والإشعار بعزّة المتمنَّى. والبلاغيون يُدخلون «الترجي» في «التمني». غير أننا فصلناهما للتوضيح.

نماذج محلولة للتمني والترجي

1- قال تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: 73].

2- قال تعالى: ﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ [الأحزاب: 20][1].

3- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: 189].

4- قال ابن الزقّاق:

عسى اللهُ أنْ يدني التزاوُرَ بيننا ... فأُنْقَلَ من عُسر الفراقِ إلى يُسْرِ

5- قال النابغة من اعتذارياته:

واحكمْ كحكم فتاةِ الحي إذ نظرتْ ... إلى حمامٍ سراعٍ واردِ الثَّمَدِ
قالت: ألا ليتَما هذا الحمامُ لنا ... إلى حمامتنا، ونصفُه فقَدِ[2]

6- قال الشاعر:

علَّ الليالي التي أمضتْ بفُرقتنا ... جسمي، ستجمعُني يوماً وتجمعه

7- قال الشاعر:

أيا منزلَي سلمى سلامٌ عليكما ... هل الأزمنُ اللائي مضينَ رواجعُ؟

---

(1) أي كانوا معهم في البادية.

(2) احكم: كن حكيماً. الثمد: الماء القليل المجمّع. إذا دخلت «ما» على ليت جاز إعمالها وإهمالها.

حلّ النماذج

الرقم	الأداة	المعنى المراد	بيان المقصود
1	ليت	التمني	مستحيل
2	لو	التمني	مستحيل مثل ليت
3	لعل	الترجي	توقع الحصول
4	عسى	الترجي	توقع الحصول
5	ليت	التمني	مستحيل
6	عل (لعلّ)	الترجي	المطلوب مطموع وصوله
7	هل	التمني	المطلوب مستحيل بمعنى ليت

تدريبات

حلل التمارين التالية، واستخرج منها أدوات التمني والرجاء، وحدد المقصود منها؛ ما يرجى حصوله، وما هو مستحيل:

1- قال الشاعر:

ليت الكواكبَ تدنو لي فأنظِمَها عقودَ مدح، فما أرضى لكم كلمي

2- قال جبران خليل جبران:

هل تحمَّمْتَ بعطْرٍ وتنشَّفْتَ بنورْ؟

3- قال خليل مطران يخاطب المستبدّ:

مولايَ يعجبُ كيف لم تتقَنَّعي؟ قالت له: أتعَجُّباً وسؤالا؟[1]

4- قال الشاعر القروي:

(1) القائلة هي ابنة مدحت باشا الذي أعدمه السلطان عبد الحميد.

أيـن الـتراثُ تـراثُ أبطـالِ الحمـى ... أيـنَ البقيـةُ مـن بـني غسـان؟[1]

5- قال العباس بن الأحنف:

أسـربَ القطا هـل مـن يعيرُ جناحَـه؟ ... لعلـي إلى مــن قـد هويـتُ أطـير؟

6- قال العَرْجي من مطلع:

أضــاعوني وأيَّ فتًـــى أضــاعوا ... ليــوم كريهـــةٍ وســـداد ثغــر[2]

7- قال أبو بكر الخوارزمي:

خليلـيَّ هـل أبـصرتُما مثـلَ أدمعـي ... نَفَـدْنَ - وحـقِّ الله - قبـلَ نفادهـا؟

6- **النداء:** هو طلبُ الإقبال من المخاطب بحرف نائبٍ مناب الفعل «أدعو» أو «أنادي». فتتحول الجملة من الخبرية، نحو: أدعو علياً، إلى الإنشائية، نحـو: يا علي. وتتحول الجملة الخبرية إلى الإنشائية بأداة نـداء تنـوب منـاب الفعـل. وأدوات النداء سبعة، هي:

يا، أيا، هَيـا، أيْ، أ، وا، آي. علـماً أن «وا» للندبـة، والهمـزة وأي لنـداء القريـب، وسائر الأدوات للبعيد.

على أن «يا» أمُّ أدوات النداء، وهي الوحيدة التي يمكن حذفها، وكثيراً ما تحذف، كقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ [يوسف: 29]، وقوله: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن: 31]. لكنهم لم يجيزوا حذفها إذا استخدمت للبعيد، لأن المراد إطالةُ الصوت.

وقد ينادى للبعيـد بـالهمزة أو أي، إذا كـان المنـادى قريبـاً إلى القلـب، وحبيباً إلى النفس، أو ذا مقام رفيع، أو لانحطاط مقامه، نحـو: أحبيبتـي ليتـك قـربي - أيْ أمي طواك القبر عني - وكقول الأحوص:

---

(1) أبطال الحمى: أبطال الوطن.

(2) يوم الكريهة: يوم الحرب.

سـلامُ الله يـا مطـرٌ[1] عليهـا ... ولـيس عليـك يـا مطـرُ السـلامُ

فهو ينادي المطر البعيد وكأنه ماثل أمامه.

كما ينادون القريب بيا، فلا يعتنون أحياناً بين القريب والبعيد. كما قد يستخدمونها للحسرة أحياناً للحسرة بيا، كقول نجيب الريِّس وهو في غياهب سجون الفرنسيين:

يـا ظـلامَ السـجن خَـيِّمْ ... إننـا نَهـوى الظلامـا

لـيس بعـد الليـل إلا ... فجـرُ مجـدٍ يتـسامى

نماذج محلولة على النداء

1- قال عمر أبو ريشة:

يـا عـروسَ المجـد تِيهـي واسـحبي ... في مَغانينـا ذُيـولَ الـشُّهُبِ

2- وقال عن فلسطين:

يـا روابـي القـدس يـا مَجلى السَّنا ... يـا رؤى عيـسى علـى جفـنِ النبي

3- وقال الشاعر:

أسـكانَ نَعْمَـانِ الأرائـكِ تَيَقَّنـوا ... بـأنكمُ في ربـعِ قلـبيَ سـكانُ[2]

4- قال أبو العتاهية:

أيـا مَـن عـاشَ في الـدنيا طـويلاً ... وأفنَـى العمـرَ في قيـلٍ وقـالِ

5- وقال أيضاً:

أيـا مَـن يؤمِّـلُ طـولَ الحيـاة ... وطـولُ الحيـاة عليـه خطَـرْ

6- هَيَا ربّاه، أفِضْ علينا من رحمتك.

---

(1) نوّن الشاعر المنادى «يا مطر» للضرورة، وحقه البناءُ على الضم.

(2) الأراك: شجر صحراوي. نعمان الأراك: وادٍ وراء عرفة.

حلّ النماذج

الرقم	الأداة	الاستعمال الأصلي	الاستعمال التقديري
1	يا	للبعيد	لقربها من القلب
2	يا	للبعيد	لأنها ذات مقام رفيع
3	الهمزة	للقريب	للبعيد
4	أيا	للبعيد	للبعيد
5	أيا	للبعيد	للبعيد
6	هيا	للبعيد	للبعيد

خروج النداء عن معناه:

قد يخرج المنادى عن معناهُ الأصلي إلى معانٍ أخرى، تُفهم من سياق المتكلم، وهي كثيرة، نذكر أهمها:

1- الاستغاثة: وهي ما طُلب إقبالُه كي يعين على شدَّة واقعة. وأداته الوحيدة «يا»، وهي مركب من مستغاث متصل بلام جرٍّ مفتوحة، ومستغاث من أجله ولام الجر فيه مكسورة، نحو: يا للهِ لِلمظلوم. وقد يجرُّ المستغاث من أجله بالحرف «من»، نحو: يا لَعمرَ من الظالم.

وقد لا يُبتدأ المستغاث باللام المفتوحة، فالأكثر عندئذ أن يختم بألف ممدودة: يا رئيسا لحقي. كما قد تتحول الاستغاثة إلى التعجب، نحو: يا لَلحرِّ.

2- النُّدبة: هي التوجع، والمندوب هو المتوجَّع عليه. وأداته «وا». وقد يستخدم «يا»، نحو: وا عُمراه، يا عمراه[1].

---

(1) وا: حرف ندبة. عمرا: منادى مندوب مبني على الضم المقدر منع من ظهوره الفتحة المناسبة للألف في محل نصب، والألف: للندبة، والهاء للسكت.

3- الزجر: كقولك: يا فؤادي، ألا تصبرُ؟

4- التحسُّر: كقول الشاعر:

فيا صاحبَيْ رحلي دنا الموتُ فانزلا ... برابيةٍ، إني مقيمٌ لياليا

وقوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: 40].

نماذج محلولة على النداء

1- قال الحطيئة:

فيا بشرَهُ إذ جرَّها نحوَ قومهِ ... ويا بِشْرَهم لمّا رأوا كلْمها يَدْمى[1]

2- قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ [يوسف: 29].

3- قال تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: 26].

4- قال تعالى: ﴿فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ [يوسف: 19].

5- قال حاتم الطائي يخاطب زوجته ماوية:

أماويَّ! إن المالَ غادٍ ورائحٌ ... ويَبقى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ

6- قال الشاعر:

يا لَلرجالِ ذَوي الألباب مِن نفرٍ ... لا يبرحُ السَّفَهُ المُرْدي لهم دينا

7- قال الحطيئة:

وقال: هَيا ربّاهُ، ضيفٌ ولا قِرَى! ... بحقّك لا تحرِمْه تا الليلةَ اللحما

8- قال الشاعر:

صادحَ الشرقِ قد سكتَّ طويلا ... وعزيزٌ علينا ألاّ تقولا

---

(1) الكلم: الجرح.

9- قالت أخت الوليد بن طريف من رثائية أخيها:

أيا شجرَ الخابورِ ما لك مُورقاً؟ كأنك لم تجزعْ على ابن طريفِ!

10- قال الشاعر:

دعوتُك يا بنيَّ فلم تُجبني فرُدَّتْ دعوتي يأساً عليّا

حلّ النماذج

الرقم	الأداة	المعنى	سبب الاستعمال
1	يا	التلذذ والفرح	إظهار السعادة
2	يا المحذوفة [1]	النصح	النداء
3	يا	التنبيه	التوجيه
4	يا	التلذذ	إظهار الفرحة
5	الهمزة	التوكيد	النداء
6	يا	استغاثة	المستغاث من أجله مجرور بمن
7	هيا	دعاء وابتهال	نداء
8	يا المحذوفة	التضجر والتحير	نداء
9	أيا	التحسر والأسى	نداء
10	يا	التحسر	نداء

ب- الإنشاء غير الطلبي:

هو ما لا يستدعي مطلوباً ولا جواباً، ولا يُسأل به. وله صيغ كثيرة، منها: صيغتا المدح والذم، وصيغ العقود، القَسم، صيغتا التعجب، أفعال الرجاء:

(1) إذا كانت أداة النداء محذوفة، فلا يقدَّر لها إلا «يا».

أ- صيغتا المدح والذم: ويتألفان من أفعال المدح والذم. وتستخدم هذه الأفعال اختصاراً لما يعبّر عنه المتكلم. وهي:

نعمَ وبئسَ: وهما فعلان جامدان، لا يأتي منهما فعل مضارع ولا أمر، كقولك: نعم العملُ الصالحُ، وبئسَ الرجلُ الكذوبُ. والمرفوع بعدهما فاعل، والاسم الذي يقع عليه المدح أو الذم هو مبتدأ خبرُه الجملة قبله.

أمثلة: قال تعالى: ﴿ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: 40] فالجملة إنشائية غير طلبية. ومثلها قوله تعالى: ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ [البقرة: 271]. فنعم: فعل ماض لإنشاء المدح، ولا يستدعي جواباً. وما: اسم موصول فاعل.

حَبَّذا ولا حَبَّذا: هما من أخوات نعم وبئس، الأولى للمدح، والثانية للذم. كقولك: حبذا خالدٌ، وحبذا سلمى. فأنت تمتدح خالداً وسلمى، من غير أن تنتظر تأييداً من السامع. وقولك: لا حبذا الكسولُ، ولا حبذا الجهالةُ. فأنت تذمّ الكسول والجهالة.

وهذا التركيبان ثابتان في الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، نحو:

حبذا الطالبة، الطالبتان، الطالبات.

لا حبذا الكسول، الكسولان، الكسالى.

حَسُنَ وساءَ: ويستخدمان كذلك في المدح والذم، ويعاملان معاملة نعم وبئس، نحو:

ساءَ العدوُّ الغاشم – حَسُنَ البطلُ حافظٌ.

نماذج محلولة

1- ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: 30] [1].

---

(1) الأوّاب: الرجّاع إلى ربه للتوبة.

حُذف هنا المخصوص بالمدح، كما حُذف في الآية السابقة. وهذا جائز.

2- ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: 79]. أي: بئسَ فعلُهم، و«ما» فاعل.

3- قال الإمام علي: «نعمَ المعينُ على المروءةِ المالُ».

فقد مدح علي المال، فهو المخصوصُ بالمدح. واستخدم الفعل «نعمَ» وهو إنشائي غير طلبي.

تدريبات

بَيِّن مِمّا يلي صيغ المدح والذم، وحدِّد المخصوص بهما:

1- بئسَ الليالي سهدتُ من طربٍ ... شوقاً إلى مَن يبيتُ يرقدُها

2- نعمَ امرأينِ حاتمٌ وكعبُ ... كلاهما غيثٌ وسيفٌ عَضْبُ[1]

3- نعمَ امرأً هرِمٌ لم تَعْرُ نائبةٌ ... إلا وكان لمرتاعٍ بها وَزَرا[2]

4- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لِهَرِم بن قُطبة: «نعمَ مستودعُ الشَّرِّ أنتَ يا هرمُ».

5- يا حبذا جبلُ الريانِ من جبلٍ ... وحبذا ساكنُ الريانِ مَن كانا

ب- **صيغ العقود**: وهي أفعال تدل على البيع والشراء والهبة، وكأن القائل أثبتَ طلبه، ولا ينتظر جواباً عليه، نحو: بعتُك رطلاً واشتريتُ كتابين. وهبتُك ألفاً، وأعتقتُك.

---

(1) السيف العضب: القاطع.

(2) النائبة: المصيبة. الوَزر: الحمل.

وهي أفعال ماضية تدل على أن الحدث جرى، ولا يُنتظر جوابه. وقد يردُ جملة اسمية إذا دلتْ على حصول الحدث في زمان مضى، كقولك لعبدك: «أنت حرٌّ» والمعنى: أعتقْتُك، أو حرّرتُ رقبتك. ومثله: عبدي حرّ.

وصيغ العقود قليلة الاستخدام في علم المعاني.

ج- **القَسَم**: وهو صيغة يُستخدم فيها فعل من أفعال القسم أو أحد حروفه: الواو، والباء، والتاء. أو بغيرها مثل: لعمر، لئن.

نماذج محلولة

1- ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: 1].

أي أقسمُ بيوم القيامة. وجاءت الباء مع القسم.

2- ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ [الفجر: 1- 2].

أقسمَ الله تعالى بهذا الوقت المعروف، وبالعَشْر الأُوَل من شهر ذي الحجة، وجاء حرف الواو مرتين للقسم والجر.

3- قال الشاعر:

لَعَمْرُك ما بالعقل يُكتَسَبُ الغنى ولا باكتساب المالِ يُكتسَبُ العقل

أي أقسمُ بعمرك، وهو تركيبُ قسَم مؤلف من لام الابتداء، ومن كلمة «عمر» بضم العين. فإذا اتصلت بها اللام المفتوحة تبعتِ العين فتحها. وهي مبتدأ.

4- واللهِ لعمرُ عادل.

فأنت تقسم بالله، بحرف الواو. وأصل كلامك: أقسمُ بالله لعمرُ عادل.

د- **صيغتا التعجب**: ويقال كذلك: «فعلا التعجب»، ويأتيان على وزن: ما أفعلَهُ! وأفعِلْ بهِ. فإن قلت: ما أجملَ الحريةَ، كأنك تقول: جَمُلتِ الحريةُ، وكذا قولك: أجملْ بالحرية. فأنت تعبِّر عن رأيك من غير انتظار جواب من السامع.

نماذج محلولة

1- ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم: 38].

أي: ما أسمعهم وما أبصرَهم!

2- قال الشاعر:

بنفسيَ تلك الأرضُ ما أطيبَ الرُّبا وما أحسنَ المصطافَ والمُتَربَّعا!

يعجب الشاعر من طيب الأرض ومن حسنها صيفاً وربيعاً، فكأنه يريد أن يقول: طابت الربا وحَسُنت مصطافاً ومتربعاً.

هـ- **أفعال الرجاء**: وهي ثلاثة أفعال (حَرى. اخلَوْلَقَ. عسى)، نحو: حَرى الجوُّ أن يصفُوَ. وقوله تعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ [المائدة: 52].

- «أحبِبْ حبيبَك هَوناً ما عَسى أن يكون بغيضَك يوماً ما».

وهي أفعال ناقصة تؤدي معنى الرجاء.

واعلمْ: أن صيغ الإنشاء غير الطلبي لا تعدُّ من مباحث علم المعاني، بل تُعَدُّ من مباحث علم النحو، لكنها تدل على أسلوب إنشائي لا خبري[1]. ولهذا أوجزنا حديثنا عنها، وكان لا بد من ذكرها.

تدريبات

مَيِّز فيما يلي بين الإنشاء الطلبي والإنشاء غير الطلبي؛ وحدِّد نوع كل من الجمل، واستخرج الجمل الخبرية:

1- ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ [المائدة: 52].

(1) ومن شاء التوسع في إعراب صيغ الإنشاء غير الطلبي فليرجع إلى كتابنا «الجامع لقواعد النحو والإعراب» نشر دار النهج.

2- ما أكثر الناسَ لا بل ما أقَلَّهم! اللهُ يعلمُ أني لم أقل فَنَدا[1]

3- ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: 105].

4- ألا ما لسيف الدولةِ اليوم عاتبا فداهُ الورى أمضى السيوفِ مضاربا[2]

5- ترفّق أيُّها المولى عليهمْ فإنَّ الرفقَ بالجاني عتابُ

6- لئن فخرتَ بآباء لهمْ شرفٌ لقد صدقتَ ولكنْ بئسَ ما وَلدوا

7- ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [غافر: 81].

8- ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ [القيامة: 10].

9- مولايَ يعجبُ كيفَ لم تتقنّعي؟ قالت له: أتعجّباً وسؤالا؟

10- فارجعْ إلى الملكِ العظيمِ وقل له: ماتَ النصيحُ وعشتَ أنعمَ بالا

11- أنقذوا الطفلَ؛ إنَّ في شِقوة الطفـ ـل شقاءً لنا على كلِّ حالِ

12- اللهُ للحِدثانِ كيف تكيدُ بردى يغيضُ وقاسِيونُ يميدُ

13- خدعوكِ يا أمَّ الحضارة فارتمتْ تجني عليكِ فيالقٌ وجنودُ

14- يا ليالي الضَّياع والقيدِ، زولي نحنُ باقون وحدةً لن تزولا

15- ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ [الطارق: 1- 2].

16- كلما قلتُ: متى ميعادُنا؟ ضحكتْ هندٌ وقالت: بعدَ غدْ

17- أجارَتَنا إنّا غريبانِ ههُنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

18- وحياةِ راسِك لا أعو دُ لمثلها وحياةِ راسِكْ

19- تاللهِ ما عَلِمَ امرؤٌ لولاكمُ كيفَ السخاءُ وكيفَ ضربُ الهامِ؟[3]

20- لَعَمْرُك ما ضاقتْ بلادٌ بأهلها ولكنَّ أخلاقَ الرجال تضيقُ

21- يأيُّها المُتحلّي غيرَ شِيمتهِ ومَن شمائلُه التبديلُ والمَلَقُ[4]

---

(1) الفند: الكذب.

(2) أمضى: اسم تفضيل بمعنى أقطع، وهو منصوب على المدح. مضرب السيف: حدُّه.

(3) الهام: الرؤوس، واحدها هامة.

(4) الشيمة: الخلق. الملق: ما يظهره المرء من ودّ ولطف.

المسند والمسند إليه



المسند إليه: هو كلُّ لفظ يدلُّ على معنى في الجملة، خليق بأن يُذكر لإكمال المعنى المقصود وبيانه، ولهذا أوجب البلاغيون ذكره. والمسند إليه يأتي:

1- مبتدأ له خبر، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: 53][1]. فضمير الرفع المنفصل مسند إليه، وهو مبتدأ.

2- فاعلاً، كقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى﴾ [الفرقان: 77]. فـ «ربي» مسند إليه وهو فاعل.

3- نائباً للفاعل، كقوله: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: 36]. و«اسمه» مسند إليه نائب فاعل.

4- أسماء النواسخ (اسم كان وأخواتها، واسم إن وأخواتها)، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]. فالضمير المتصل «نا» مسند إليه وهو اسم كان. وكقول الشاعر:

دَعيني للغنى أسعى، فإني ... رأيتُ الناسَ شرُّهم الفقيرُ

فالضمير المتصل في «فإني» مسند إليه، وهو في محل نصب اسم إنَّ.

---

(1) مرج البحرين: أجراهما في مجاريهما.

فالمسند إليه اسم مرتبط بالمسند، ولا يجوز حذفه إلا إذا دلت عليه قرينة. وقد يُذكر المسند إليه مع وجود قرينة تجيز حذفه، ويقرُّها البلاغيون.

ذكر المسند إليه: فالمسند إليه لفظ خليق بأن يُذكر في الجملة كي يؤدي المعنى المقصود. فإذا لم تردْ قرينة تمكّن حذفه وجبَ ذِكره كي يتوضح المعنى. فمن مرجِّحات ذكره:

1- **زيادة التوضيح** للسامع والقارئ، كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: 35]. ولفظ الجلالة هو المسند إليه، يُذكر للتوضيح.

2- **التعظيم**: أي إن ذكره تقدير له وتعظيم. كمن سألك «جاء الأمير؟» فتقول له: «جاء الأميرُ»، ولا تقول: «جاء».

3- **التلذُّذ**: فالمرء يتلذذ بذكر المسند إليه، وكان يمكن حذفه، كقول قيس:

بانتْ لُبَينى، فأنتَ اليوم متبولُ وإنك اليومَ بعد الحزم مخبولُ[1]

4- **الإهانة**: فقد يعمد المتكلم إلى الإهانة والاستخفاف بالمسند إليه، فتقول: المجرم محبوس، رداً على من سألك: أين المجرمُ؟

5- **التأكيد**: فقد يضطر المتكلم إلى ذكر المسند إليه لتأكيد الاسم وسماعه. فقد يُذكر اسم الشاهد أمام المحكمة حتى لا ينكره أحد، فيقول القاضي: أقرَّ الشاهد علي بالأمر.

حذف المسند إليه: الأصل في المسند إليه أن يُذكر، لكن البلاغيين أجازوا حذفه، كقوله تعالى على لسان سارة زوجة إبراهيم: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات: 29][2]. عجوز: مسند، و«أنا» المحذوفة هي المسند إليه. وقد عرفنا المسند إليه من ناحية الإعراب.

ولحذف المسند إليه دواعٍ عديدة، نذكر منها:

---

(1) متبول: ذاهب العقل، سقيم.

(2) صرة: صيحة وضجة. صكت وجهها: لطمته بيدها تعجباً.

1- إخفاءُ الأمر على غير المخاطب؛ كقولك: جاء. وأنت لا تريد أن يعرف الحضور اسمه سراً إلا على المخاطب. وكأنك تريد: جاء الضيف.

2- خشية الإطالة: كقول عمر أبو ريشة:

كم لنا من ميسلونٍ نفضتْ عن جناحَيها غبارَ التعبِ

فهو لم يذكر فاعل «نفضت» لضيق المجال وخشية الإطالة.

3- المحافظة على السجع: كقول أحدهم «مَن طابت سريرتُه، حُمِدت سيرتُه» فحافظ القائل على السجع والضم. وكان يمكنه أن يقول: «مَن طابت سريرته حَمِدَ الناسُ سيرتَهُ»، فيختلُّ السجع بتغيير الحركة الإعرابية.

4- المحافظة على القافية: فنرى الشاعر يكرر القافية في الصدر والعجز، كقول الشاعر القروي كي يحافظ على القافية، وحقُّه أن يقول: «يا سندُ»

وأنتمُ يا شبابَ العرب يا سَندا لأمَّةٍ لا تَرى في غيرِكم سَندا

5- تركُ ذكره تكريماً؛ كقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الصف: 12] فالله تعالى لم يذكر اسمه تعظيماً لمقامه في الفعلين.

6- ترك ذكره تحقيراً له: كقول المتنبي في هجاء كافور:

جَوعانُ يأكلُ من زادي ويُمسكني لكي يقال: عظيمُ القدر مقصودُ

فحذف اسم «كافور» أربع مرات: كافور جوعان، يأكل كافور، يمسكني كافور، كافور عظيم القدر.. تحقيراً لمهجوِّ الشاعر.

7- تعيُّن المسند إليه بالعهدية، كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: 44]. والجودي هو الجبل الذي وقفَ عليه فلكُ نوح. فحذف المسند إليه وهو السفينة لكونها ذكرت في الآية (37): ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[1]، فالسفينة معهودة في الكلام السابق.

(1) بأعيننا: أي بحفظنا وحمايتنا الكاملين.

نماذج محلولة

بيِّن سببَ ذكر المسند إليه، وسبب حذفه ممّا يلي:

1- قال تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ [البقرة: 18].

2- قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان: 34].

3- قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن:10][1].

4- قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ ﴾ [نوح: 27].

5- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل: 9].

6- قال أبو صخر الهذلي:

أما والذي أبكَى وأضحكَ، والذي ... أمات وأحيا والذي أمرُه الأمرُ

7- قالت ليلى الأخيلية:

أحَجَّاجُ لا يَفْلُلْ سلاحُك إنما الـ ... ـمنايا بكفِّ الله حيث تراها

8- قال الأقيشر الأسدي:

وإني رأيتُ البخلَ يُزري بأهله ... فأكرمتُ نفسي أن يقال: بخيلُ

حلّ النماذج

1-حذف لفظ «المنافقين» تحقيراً لذكرهم واستخفافاً.

2-حذف لفظ «نفس» المسند إليه للفعل «تكسب» للعهدية، وذكره مع «تدري» لقلة الثقة بالسامع.

---

(1) رشداً: خيراً وصلاحاً ورحمة.

3-حذف لفظ «شر» من نائب الفاعل «أريدَ» للعلم به، وذكر «ربهم» تعظيماً لله تعالى، وكلاهما مسند إليه.

4-حذف لفظ «المنافقين والكفار»، وهو المسند إليه للفعل «تذرهم» تحقيراً لهم.

5-حذف المسند إليه من الفعلين، وهو لفظ الجلالة تعظيماً له.

6-حذف "أبو صخر" المسند إليه من الأفعال الأربعة للعهدية.

7-حذفت ليلى المسند إليه من قولها: «تراها» لضيق المقام توجعاً. وذكرت المسند إليه «سلاحك» للتوضيح.

8-حذف الأقيشر المسند إليه للعلم به، والتقدير: أنا بخيل. وذكر «الحب» لتوضيحه وإثباته.

تدريبات عامة

حدِّد سبب ذكر المسند إليه، وسبب حذفه ممَّا يلي:

1- قال محمود سامي البارودي:

هَجرتْ «ظلومُ» وهجرُها صلةُ الأسى فمتى تجودُ على المتيَّمِ باللُّقَى
ليت الشبابَ لنا يعود بطيبهِ ومن السَّفاوِ طِلابُ عمرٍ قد مضَى

2- قال عمر أبو ريشة:

درجَ البغيُ عليها حقبةً وهَوى دونَ بلوغِ الأرَبِ
شرفُ الوثبةِ أن تُرضي العلا غُلبَ الواثبُ أم لم يُغلبِ

3- وإني منَ القومِ الذين همُ همُ إذا ماتَ منهم سيدٌ قام صاحبُهْ

4- تسائلُني: ما الحبُّ قلت: عواطفٌ منوَّعةُ الأجناسِ موطنُها القلبُ

5- قال لقيطُ بن زُرارةَ، ويروى لغيره:

وقد علمَ القبائلُ من معدٍّ إذا قُببٌ بأبْطَحها بُنينا

6- حيّوا العروبةَ في عُليا مراتبها وخيرِ فرسانها شيباً وشبّانا

7- قال إلياس فرحات في وصف المركبة:

تبينُ وتَخْفى في الربا وحيالها فيحسبُها الراؤونَ تطفو وترسُبُ

8- وما المالُ والأهلونَ إلا ودائعٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

9- يا ربِّ صبّرْ فؤادي بعد فُرقتهِ أنتَ الإلهُ وأنت الواحدُ الصمَدُ

10- بردْ حشايَ إن استطعتَ بلفظةٍ فلقد تضرُّ إذا تشاءُ وتنفعُ

تعريف المسند إليه: يرتبط تعريف المسند إليه بأنواع المعرفة في علم النحو، والتي جمعَها ابن مالك في بيت واحد من ألفيته، يقول:

إنَّ المعارفَ سبعةٌ فيها كَمُلْ: أنا صالح ذا ما الفتى ابني يارجلْ

فالمعارفُ عنده: الضمائر (أنا)، والأعلام (صالح)، وأسماء الإشارة (ذا)، والأسماء الموصولة (ما)، والمعرَّف بأل (الفتى)، والمعرف بالإضافة (ابني)، والمنادى (يا رجل). وعدا هذا فالأسماء نكرات. لكنَّ ذكر المعرفة والنكرة ضروري في الكلام، وإلا امتنع الفهم على السامع. والفرقُ بين المعرفة والنكرة، أن الأولى معلومة عند السامع، والثانية غير معلومة.

ولهذا أوجب البلاغيون أن يكون المسند إليه معرفة حتى يكون معلوماً. ويتمُّ تعريفه بسبعٍ ممّا ذكرنا في قول ابن مالك. ونذكر ذلك فيما يلي بإيجاز:

تعريفه بالإضمار: عدّوا الإضمار أعرفَ المعارف، ولهذا بدؤوا به. والضمير معرفة سواءٌ أكان بارزاً منفصلاً، أم بارزاً متصلاً، أم مستتراً، يوجَّه به بشكل خاص، أو بشكل عام.

1- قال رسول الله ﷺ: «أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابنُ عبدِ المطلب».

2- قال المتنبي:

إذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ   وإنْ أنت أكرمتَ اللئيمَ تمرَّدا

فالشاعر ذكر ضمائر منفصلة وضمائر متصلة، وكلها معارف. بينما ذكر رسول الله ﷺ ضميراً منفصلاً واحداً. والضمير «أنت» عامّ لكل سامع، والضمير «أنا» خاص بالنبي ﷺ.

3- قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: 9].

ذكر الله تعالى ضمائر رفع منفصلة (نحن)، وضمائر نصب متصلة: إنا، نزلنا، وضمائر جر متصلة: له (نا، والهاء).

تعريفه بالعَلَمية: يؤتى بالمسند إليه علماً (اسم علم) كي يحضُر التخصيص إلى ذهن السامع، دون غيره. كقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة: 198].

فقد ذكر الله تعالى ثلاثة أعلام في الآية، تخصيصاً وتحديداً في ذهن السامع، حتى لا يذهب مذهباً آخر، وهي: عرفات، الله، المشعر الحرام[1].

وقد يكون ذكر العلم للمدح والمباهاة، مثل: انتصر صلاح الدين في حطين. أو للإهانة والإذلال: جاء تأبط شراً.

تعريفه بالإشارة: أسماء الإشارة كلها معرفة، ويأتي المسند إليه منها لتعليم السامع والقارئ أن المشار إليه خاص معروف لديه. وبعض أسماء الإشارة للقريب، وبعضها للمتوسط، وبعضها للبعيد. وقد يستخدم الأدباء البعيد للقريب، أو القريب للبعيد استعظاماً أو احتقاراً.

---

(1) المشعر الحرام: المزدلفة. والمشعر: المَعْلم للعبادة.

أمثلـــة

1- قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾ [يوسف: 65].

جاء اسم الإشارة «هذه» للقريب المؤنث، لأنهم أشاروا إلى ما أمامَهم.

2- قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ [يوسف: 19].

جاء اسم الإشارة «هذا» للقريب المذكر؛ فقد أشار الذي سحب الحبل من البئر إلى «هذا» بعد أن صار أمامه، وهو سيدنا يوسف.

3- قالت سعاد الصباح:

إني كسرت رخامةَ قبري

وهذا صحيح..

استخدمت الشاعرة اسم الإشارة القريب «هذا»، وهي لا تعني أمراً قريباً، ولكنها تذكر أن ما فعلته معرفة لها ولقارئها.

4- قال عبد الباسط الصوفي:

هـذي سلاسـلُ وردنـا مـضفورةٌ مزوَّقـه

لم يعنِ الشاعـر باسـم الإشارة القريـب أن سلاله قريبـة منـه، بـل هـي بعيـدة، وقرَّبها تحبُّباً.

5- قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: 9].

جاء اسم الإشارة للقريب تعظيماً له.

6- قال الفرزدق:

أولئـكَ آبـائي فجـئني بمـثلِهم إذا جَمعتنـا يـا جريـرُ المجـامعُ

استخدم الـشاعر «أولئـك» وهـي للبعيـد، وقرَّبهـا معرِّضـاً بغبـاء المخاطـب، وهو جرير.

تعريفه بالموصولية: الأسماء الموصولة كثيرة، درسناها في كتب النحو، وكلها معرفة. أحياناً يستخدمها الأدباء عن أمر معروف، وأحياناً عن أمر غير معروف لأغراض عديدة، أهمها:

1- التشويق لفهم الغامض من القول، كقول المعري:

والذي حارتِ البريَّةُ فيه ... حيوانٌ مستحدثٌ من جمادِ

ومثله قول البحتري في وصف بِركة المتوكل:

يا مَن رأى البركةَ الحسناءَ رؤيتُها ... والغانياتِ إذا لاحت مغانيها

2- الاستغراق، كقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ [هود: 15].

3- التنبيه على خطأ المخاطب: فيأتي اسم الموصول لينبِّه على الخطأ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف: 194].

4- التوبيخ، كقولك: «الذي أحسنَ إليك قد أسأتَ إليه». فالفعل الذي تضمنه اسم الموصول غامض إلا على المخاطب، ولم يوضحه بقصد التوبيخ.

تعريفه بأل: تأتي «أل» المعرِّفة أنواعاً، أهمها نوعان: جنسية، وعهدية.

1- أل الجنسية: وهي لاستغراق الجنس وشمول الأفراد، نحو قوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 28]. فقد حَدّدت الآية جنسَ الإنسان، مع أن الحيوان كذلك مخلوق ضعيف.

وعلامة أل الجنسية أن تقع «كل» موضعها، مثل: الإنسان والحيوان، فلك أن تقول: كل إنسان وكل حيوان.

2- أل العهدية: والكلمة المعرَّفة بأل العهدية تكون:

أ- عهداً حضورياً، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: 3].

ب- عهداً ذِكرياً، وذلك بأن يردَ الاسم أولاً نكرة، ثم يأتي ثانية معرفة، كقولك: قدمَ رجل لزيارتي، فاستقبلتُ الرجلَ. ونحو قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: 15-16].

جـ-عهداً علمياً، وذلك بأن يُسبق المعرَّف بكلمة، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 12].

3- **أل الزائدة:** هي التي تقع في مقدمة الأسماء الموصولة كالذي، والتي، واللذان.. أو في مقدمة الأعلام التي وردت عن العرب ومعها أل، مثل: اللات، والعُزَّى، أو مع الأعلام المرتجلة كالسموءل. وأل فيها جميعاً زائدة زيادة لازمة.

أو كأل المتصلة باسم الزمن الحاضر كالآن، أو الواقعة مع أسماء العلم في الشعر للضرورة كاليزيد والوليد.

نماذج محلولة

بيِّن نوع «أل» وفائدتها ممّا يلي:

1- قال تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: 13].

2- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: 2].

3- قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 34].

4- قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3].

5- قال الشاعر ابن ميّادة:

رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيد مباركاً ... شديداً بأعباء الخلافة كاهلُهْ

6- قال الشاعر البَشْكُري:

رأيتُك لمّا عرفتَ وجوهَنا ... صددْتَ وطبتَ النفسَ يا قيسُ عن عمرِو

7- قال السيوطي:

عـــن المتقـــاربِ قـــال الخليـــلُ   فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن

8- قال جرير:

إذا غـــضبتْ عليـــك بنـــو تمـــيمٍ   حـــسبتَ النـــاسَ كلَّهُـــمُ غـــضابا

حلّ النماذج

الرقم	أل	نوعها	تعريفها
	الذئب	أل الجنسية	هي كالنكرة، أيّ ذئب
1	الإنسان	أل الجنسية	هي كالنكرة، كل إنسان
2	الرجال	أل الجنسية	هي كالنكرة، تفيد معنى الجنس المحض
3	اليومَ	أل العهدية	بحضوره لذاته
4	الوليد	أل الزائدة	زيادة غير لازمة
5	اليزيد	أل الزائدة	زيادة لضرورة العروض
6	النفس	أل الزائدة	للضرورة[1]
7	الخليل	أل الزائدة	الاسم منقول عن صفة
8	الناس	أل الجنسية	كالنكرة، بمعنى كل إنسان

تعريفه بالإضافة: الإضافة تركيب مكوَّن من كلمتين: الأولى نكـرة، والثانيـة معرفـة، فيُعَرَّف المضاف بالمضاف إليه. والمضاف إليه المعرفة يكون واحداً من المعارف التي ورد ذكرها قبل هذا. ولتركيب المضاف والمضاف إليه علـى أسـاس أنـه مـسند إليـه وجهـة بلاغية، لأغراض عديدة، أهمها:

---

(1) النفس: تمييز، والتمييز لا يقبل التعريف. وأصل الجملة: طبتَ نفساً.

1- **الاختصار**: فتركيب المضاف والمضاف إليه تركيب اختصاري، والإعجاز في الإيجاز، نحو: باعني تاجر القُماش ثوباً. وأصله: باعني التاجر المتخصص ببيع القماش ثوباً. ونحو: جاء غلامي، فهو مضاف إلى الياء، وهو أخصر من قولك: جاء الغلام الذي لي.

2- **تعذُّر التعدُّد**: فإن قلت: أهلُ حلبَ معروفون بالكرم، كلام كامل المعنى ويتعذر عليك إضافة كلام آخر إلى الجملة.

3- **التعظيم**: حضر وزيرُ التربية، فهذا تعظيم للمضاف. أو نحو: كتاب الأمير وصل. فهذا تعظيم للمضاف إليه.

4- للتحقير: نحو: ابن المقفَّع، وأبو اللص.

أمثلة

هواي معَ الركب اليمانينَ مُصْعِدٌ جَنيبٌ وجُثماني بمكةَ موثَقُ

أي: من أهواه. فلفظ «هوايَ» أخصر من «الذي أهواه».

إذا كوكبُ الخرقاءِ لاحَ بسُحْرةٍ سُهيلٌ أذاعتْ غَزْلها في الغرائبِ[1]

أراد: المرأة الحمقاء، فأضاف الخرقاء إلى الكوكب مع أنه ليس لها اختصاراً، وكأنه يريد الاختصار.

تعريفه بالنداء: لم يُثبت معظم البلاغيين التعريف بالنداء في تعريف المسند إليه. غير أن بعضهم يجعله وسيلة للتعريف بالمسند إليه، وذلك إذا لم يكن المخاطب معروفاً، نحو: يا رجلُ. أو الإشارة إلى ما يُطلب منه، نحو: يا تلميذُ اكتبِ الدرس.

تنكير المسند إليه: يؤتى بالمسند إليه نكرةً لجهل المتكلم به حقيقةً أو ادعاءً، نحو قولك: جاء رجل يسأل عنك. فقد لا تكون تعرفه حقيقةً، أو تدعي عدم معرفته.

---

(1) الغرائب: ج الغريب والغُرُب: البعيد عن الوطن.

وله أغراض أخرى، منها:

1- **التعظيم**: بحسب رفعة شأن المسند إليه، كقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: 179]: فجاءت «حياة» نكرةً تعظيماً لها.

2- **التكثير**: وذلك باعتبار الكمية والمقدار، كأن تقول: «إنَّ له لإبلاً» أي إن له إبلاً كثيرة. وكقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [فاطر: 4]، أي رسل كثيرون قبلك.

3- **التقليل**: وهو عكس التكثير، كقوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: 72]. أي قليل من الرضوان أكبر من كل شيء.

أمثلة

قال ابن أبي السِّمط ويُروى لغيره:

1- له حاجبٌ عن كلِّ أمرٍ يشينُه وليس له عن طالبِ العُرْف حاجبُ

فهذا التنكير يحتمل التعظيم والتحقير، والتكثير والتقليل. فقوله: «له حاجب» أي له مانع عظيم وكثير. و«ليس له حاجب» أي ليس له مانع قليل أو حقير.

2- وللهِ مني جانبٌ لا أضيعُهُ وللّهو عندي والخلاعةِ جانبُ

قوله: «جانب» مسند إليه نكرة، يحتمل التكثير (جوانب كثيرة)، كما يحتمل التقليل (بضعة جوانب).

تقديم المسند إليه وتأخيره: إن رتبة المسند إليه هي التقديم أساساً، ورتبة المسند هي التأخير، ذلك أن المسند إليه محكوم عليه، والمسند محكوم به، ولأن المسند إليه هو الذي يتبادر إلى الذهن أولاً، ولأن المسند يليه في الذكر.

ولدواعٍ بلاغية أوجبوا تقديمه، منها:

1- **البدء بالأهمية**: العلم نور، محمدٌ رسول الله.

2- **تعجيل المسرَّة**: «قيمةُ كل امرئ ما يُحسن».

3- **تعجيل المساءة**: «الدَّينُ هدمُ الدِّين».

4- **إفادة التخصيص**: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: 22-23].

فقد تقدم الجار والمجرور لإفادة التخصيص، وأن النظر لا يكون إلا لله.

5- **التشويقُ إلى متأخر**: كقول أبي العلاء:

والذي حارتِ البريةُ فيه ... حيوانٌ مُستحدثٌ من جمادِ

فقد شوَّق الشاعر بمضمون اسم الموصول إلى الحكم المطلوب.

6- **التلذُّذ**: قال أحمد شوقي:

وطني، لو شُغلتُ بالخلدِ عنه ... نازعَتْني إليه في الخلدِ نفسي

نماذج محلولة

ما نوع المقدَّم، واذكر سبب تقديمه فيما يلي:

1- ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: 122و160].

2- ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ **[الدخان: 37].**

3- ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾ [الروم: 4].

4- **قال المعري:**

إلى الله أشكو أنني في كلِّ ليلةٍ ... إذا نمتُ لم أَعْدَمْ خواطرَ أوهامي

فإنْ كان شراً فهو لا شكٌّ واقعٌ ... وإن كان خيراً فهْوَ أضغاثُ أحلامي

5- **وكانت يدي ملأى به ثم أصبحتْ ... بحمدِ إلهي، وهْيَ منه سليبُ**

6- **أبعدَ المشيب المُنْقَضي في الذوائبِ ... تحاولُ وصلَ الغانياتِ الكواعبِ؟**

7- **ثلاثةٌ يُجهلُ مقدارها: ... الأمنُ والصحةُ والغوثُ**

8- **قال طرفة بن العبد:**

نحـنُ في المـشتاةِ نَـدعو الجَفَلـى لا تَـــرى الآدبَ فينـــا ينتقِـــر[1]

9- قال الأبيوَرْدي:

ومـن نكـدِ الأيـام أن يبلـغَ المنـى أخــو اللــؤم فيهــا والكــريمُ يخيــبُ

حلّ النماذج

الرقم	المقدم	سبب تقديمه
	على الله	قدّم الجار والمجرور للتخصيص
1	هم خير	الإنكار والغرابة
2	لله	الأهمية
3	إلى الله	الأهمية
4	هو	الأهمية
5	يدي	تعجيل المسرَّة
6	بعد المشيب	محطّ الإنكار
7	ثلاثة	التشويق إلى متأخر
8	نحن	الفخر
9	نكد	تعجيل المساءة

(1) المشتاة: الشتاء. الجفلى: الدعوة العامة، والنقرى: الدعوة الخاصة. الآدب: الداعي إلى الطعام.

المُسْنَد وأحواله

تعريف المسند: يأتي المسند اسماً كما يأتي فعلاً. وهو: الفعل التام، واسم الفعل، والمصدر النائب عن الفعل، والخبر، وأخبار النواسخ. وإنما ذُكر المسند بعد المسند إليه لأن المسند محكوم به، والمسند إليه محكوم عليه فاستحقَّ تأخيره.

أمثلة

1- الفعل التام: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ [هود: 78].

2- اسم الفعل: ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: 36].

3- المصدر النائب عن فعله: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ [البقرة: 251].

4- الخبر: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: 35].

5- أخبار النواسخ: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ [الفتح: 12] [1].

وأحوال المسند: الذِّكر والحذف، التعريف والتنكير، التقديم والتأخير.

ذكر المسند: 1- يُذكر المسند لأن ذكره هو الأصل ولا يجوز حذفه، كقول إبراهيم ناجي:

ذلك الحبُّ الذي علّمني ... أنْ أحبَّ الناس والدنيا جميعا

2- يذكر إذا كانت القرينة ضعيفة التوضيح، كقول الوزير جعفر بن يحيى: «الخَرَاجُ عمودُ الملك». إذ إنَّ ذكر المسند إليه وحده لا يكفي.

(1) بوراً: هالكين أو فاسدين.

3- ضعف تنبُّه السامع: فيجب ذكر المسند إذا لم يثق المتكلم بتنبُّه السامع، كقوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ فقد لا يكون السامع متنبهاً إلى أن هذا وصف لما جاء قبله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: 24].

4- الردُّ على المخاطب: كقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: 79] جواباً لقوله تعالى قبلها: ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

حذف المسند: يحذف المسند إذا دلت عليه قرينة تساعد على تذكره.

والقرينة: هي ما دلَّ على المقصود. وهي إما لفظية وإمّا حالِّية. أو هي الدليل الذي يُعتمد عليه لإثبات صحة أو قاعدة أو استعمال، نحو: قطف الكوسى موسى؛ إذ توجد قرينة معنوية تفيد في تقديم المفعول به «الكوسى» على الفاعل «موسى».

1- قد تكون القرينة مذكورة فيمكن حذف المسند بذكرها، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: 87]، أي: خلقهنَّ الله. لأن الله خالق.

2- كما قد تكون القرينة مقدَّرةً، نحو قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾ [النور: 36-37]، أي: يسبحه رجال... كأنه قيل: من يسبحه؟

3- تركُ ذكره احترازاً من العبث، كقوله تعالى: ﴿... أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 3]. أي: ورسولُه بريء منهم كذلك فلا يجوز ذكر المسند «بريء» احترازاً من العبث.

نماذج محلولة

حدِّد المسند والمسند إليه، وتعريفه وتنكيره، وذكره وحذفه مما يلي:

آيات قرآنية

1- ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ [الحج: 27][1].

2- ﴿ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 232][2].

3- ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: 79].

4- ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ [الضحى: 6].

5- ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: 122 و 160].

6- ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: 37].

7- ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 2].

حلّ النماذج

1- أذِّن: مسند، وهو فعل أمر. يأتوك: مسند، وهو فعل مضارع، والكاف: مسند إليه معرفة بالإضمار. وباقي الآية: قيد[3].

2- ذلكم: مسند إليه معرف بالإشارة. أزكى: مسند إليه نكرة، واجب الذكر؛ أسند الزكاء إلى اسم الإشارة لإثباته. أطهر: مسند خبر، حُذِف منه المسند لعلمه بالعطف. الله: لفظ الجلالة مسند إليه معرفة وذِكره للتعظيم. يعلم: مسند فعل مضارع وفي محل رفع رفع خبر، وهو واجب الذكر للتوضيح. أنتم: مسند معرفة بالإضمار ذُكر للتوكيد، وهو مبتدأ. تعلمون: مسند فعل مضارع واجب الذكر للتوضيح.

---

(1) أذِّن: نادِ. رجالاً: مشاة. ضامر: جمل ضعيف من كثرة المشي وبعد المسافة.

(2) أزكى: أنمى وأنفع لكم.

(3) القيد: هو كلُّ ما في الجملة ما عدا المسند والمسند إليه. ويسمى كذلك: تكملة، أو فضلة.

3- قل، يحييها: مسند واجب الذكر لأنه وقع جواباً للآية قبله: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾. العظام: قيد. الذي: مسند إليه معرف بالموصولية واجب الذكر للتوكيد. أنشأ: مسند واجب الذكر لأنه أصل. وها: ضمير قيد. أول مرة: قيدان.

4- يجد: مسند، وذكره أصل. آوى: مثله. حُذف مفعول آوى وأصله (آواكَ) حفاظاً على الفاصلة (السجع) القرآنية.

5- قُدم الجار والمجرور (وهو قيد) للتخصيص. يتوكل: مسند واجب الذكر. المتوكلون: مسند إليه معرف بأل العهدية.

6- خلق: مسند، حذف منه المسند إليه وهو الفاعل وناب منابه نائب الفاعل للعلم به وهو الله تعالى الخالق. من عجل: قيد.

7- ذلك: مسند إليه معرف بالإشارة. الكتاب: مسند وهو الخبر وقد عُرف لإثباته. ريب: مسند إليه اسم لا نكرة. هدىً: مسند جاء نكرة للتفخيم. للمتقين: قيد.

تقديم المسند وتأخيره: مقامُ المسند في الجملة تأخيره، وهذا هو الأصل. كما يؤخر إذا اقتضى الكلامُ تقديم المسند إليه، نحو: العلمُ نافع، فالعلم مسند إليه، ونافع: مسند. وقد وجب تأخير المسند لأنه ينسب إلى المسند إليه إثباتاً أو نفياً.

ولكن يقدَّم المسند إذا وُجد سبب لتقديمه، كأن يكون عاملاً في الجملة أي فعلاً، مثل: حضر الوزيرُ، أو إذا كان المسند من الأسماء التي لها الصدارة في الجملة، نحو: متى السفرُ؟ فالسفر مسند إليه لأنه مبتدأ، ومتى: مسند لأنه اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالخبر المقدم واجب الصدارة.

كما يقدَّمُ المسند لضرورات بلاغية في علم المعاني، منها:

1- **التخصيص**: كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: 189]. فقد حصل تخصيص المسند (لله) متعلقان بخبر محذوف، بالمسند إليه وهو (ملك) المبتدأ.

2- **التشويق لمتأخر**: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[آل عمران: 190]. فقد قُدِّمَ المسند (في خلق) على المسند إليه (آيات) لتشويق السامع لذكر المسند.

3- **التفاؤل**: كمن يقول لمريض: في عافيةٍ أنت. فأنت مسند جاء متأخراً على المسند إليه (في عافية) على أمل حصول العافية.

4- **إفادة قصر المسند إليه على المسند**، نحو قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم: 4] فالأمرُ مقصور على الله، والمعنى: أمرُكم مقصور على الله.

5- **تعجيل المسرَّة**: نحو: لله صبرُك، لله دَرُّك، عظيمٌ أنت يا خالق الأكوان. فتقدَّم المسند هنا للتعجب، والتعظيم، وغيره.

6- **تعجيل المساءة**: نحو: ساء الولدُ زيدٌ، حقيرٌ البخيل.

ملاحظة: هذا جانب من أسباب تقديم المسند على المسند إليه عند البلاغيين. وتدلُّك النصوص والشواهد على أسباب أخرى تكتشفها عند الأدباء.

نماذج شعرية محلولة

بين أسباب المسند أو تأخيره ممّا يلي:

1- لـه هِمَمٌ لا مُنتهى لكبارِها ... وهِمَّتُه الصغرى أجلُّ من الدهرِ

2- خيرُ الصنائع في الأنامِ صنيعةٌ ... تَنبو بحاملها عن الإذلال[1]

3- سَعِدت بغُرَّة وجهكَ الأيامُ ... وتزيَّنَتْ بلقائكَ الأعوامُ

4- قال المتنبي:

ومن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يَرى ... عدوّاً له ما مِن صداقتهِ بُدُّ

5- ما كلُّ ما فوقَ البسيطة كافياً ... فإذا قنعتَ فبعضُ شيءٍ كافِ

6- وما أنا وحدي قلتُ ذا الشعرَ كلَّه ... ولكنَّ شعري فيك من نفسه شعرُ

(1) الصنائع: أعمال الخير والحسنات. الأنام: الناس. تنبو: تبتعد وتحول.

7- إذا شئتَ يوماً أن تسودَ عشيرةً فبالحلمِ سُدْ لا بالتسرُّعِ والشَّتْمِ
8- ثلاثةٌ تَشْرَقُ الدنيا ببهجتها: شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقمرُ
9- فكيفَ وكلٌّ ليس يعدو حِمامَه وما لامرئٍ عمّا قضى اللهُ مَزْحَلُ[1]
10- بكَ اقتدتِ الأيامُ في حَسَناتِها وشِيمتُها لولاكَ همٌّ وتكريبُ

حلّ النماذج

1- قُدّم المسند (له)، وهو خبر على المسند إليه (همم)، وهو مبتدأ تنبيهاً على أن الخبر أهم من المبتدأ.

2- قُدّم المسند (خير) وهو خبر على المسند إليه (ضعيفة)، وهو مبتدأ تشويقاً لذكر المتأخر.

3- قُدّم المسند (سعدت) على المسند إليه (الأيامُ) وهو فاعل، وكذا (تزينت) المسند على (الأعوامُ) مسند إليه للتفاؤل والاستبشار.

4- قدّم المتنبي المسند (من نكد) على المسند إليه المصدر المؤول من (أن يرى)، لتعجيل النكاية بقلة الخير للمهجو وهو المخاطَب.

5- استخدم الشاعر حرف النفي (ما) على لفظ العموم والذي هو (كل) وهو المسند إليه ليدلَّ على عموم السلب، وعلى ضرورة تقديم المسند إليه على المسند، والتقدير: لا يكفيك جميعُ ما على الأرض إذا كنت طامعاً.

6- في هذا البيت (كالسابق) إسنادُ نفي. فإذا كان المسند فعلاً منفياً (قلتُ) ووسّط المسند إليه (أنا) بين الفعل وحرف النفي دلَّ ذلك على التخصيص، ولهذا وجب تقديم المسند إليه. والبيت للمتنبي:

---

(1) حمامه: موته.

7- قُدّم الجار والمجرور في قوله (بالحلم سُد) ليدلَّ على التخصيص. وهو مسند.

8- قَدّم الشاعر محمد بن وُهيب المسند (ثلاثة) وهو خبر مقدم، على المسند إليه وهو عجز البيت لتعجيل المسرَّة للممدوح وهو المعتصم.

9- قُدّم المسند إليه (كل) على أداة السلب (ليس) المتصلة بالمسند (يعدو) ليدل على عموم السلب. كما قدم المسند في العجز (لامرئ) على المسند إليه (مزحل) لتحديد السلب وقصره.

10- قدّم المسند (اقتدت) على المسند إليه (الأيام) لأنه الأصل، لكن الشاعر قدَّم الجار والمجرور على الفعل ليدل على التخصيص، يريد: إنَّ الاقتداء كان بك لا بغيرك.

تدريبات عامة على المسند والمسند إليه

استخرج ممّا يلي المسند والمسند إليه، وبَيّن سبب تقديم الواحد على الآخر، ونوع تعريف المسند، واستخرج القيود كذلك:

1- له راحةٌ لوَ انَّ مِعشار جودها ... على البَرِّ كان البَرُّ أندى منَ البحرِ

2- بئسَ الصباحُ صباحُ المنذَرين بها ... ونعمَ غزْوُ أميرٍ أمرُه رَشَدُ

3- بكَ اقتدتِ الأيامُ في حَسَناتها ... وشيمتُها لولاك همٌّ وتكريبُ

4- لا تأمَنَنَّ عدوّاً لانَ جانبُهُ ... خشونةُ الصلِّ عُقبى ذلك اللين[1]

5- إذا الجودُ لم يُرزقْ خلاصاً من الأذى ... فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا

6- ومن نكدِ الأيام أن يبلغ المنى ... أخو اللؤم فيها والكريمُ يخيبُ

7- أفي الحقِّ أن يُعطى ثلاثون شاعراً ... ويُحرم ما دونَ الرضا شاعرٌ مثلي؟

8- أأنتَ تجودُ؟ إن الجوعَ طبعٌ ... وما لكَ منه يا هذا نصيبُ

---

(1) الصل: الحية التي لا تنفع معها الرُّقية.

أحوال متعلقات الفعل



الكلمات المتعلقات بالأفعال كثيرة، منها: المفعول، والحال، وشبه الجملة (الظرف، والجار والمجرور). وسُميت متعلقاتٍ بالفعل لأنها تدخل على الجملة فتعين الفعل على توضيح المعنى، ولهذا كانت أقلَّ أهمية من المسند والمسند إليه.

وشرطها أن تأتي بعد الأفعال، نحو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾[1] [الفرقان: 75].

وقد تتقدم متعلقات الفعل عليه لضرورات بلاغية يختارها الأدباء، ولكل نوع من المتعلقات أسباب لتقديمه:

تقدّم المفعول:

الأصل في المفعول في الجملة أن يقع بعد الفعل والفاعل، نحو: ينشدُ الشاعرُ القصيدة. وسببُ وقوعه بعد الفعل أنه يدل على ما وقع عليه فعل الفاعل. وقد يُقدم المفعول على الفعل لأغراض، أهمها:

1 - تخصيصه بالفعل: نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾، رداً على مَن قال غير ذلك.

---

(1) يجزون الغرفة: أعلى مناصب الجنة وأفضلها.

2- **رعاية الفاصلة القرآنية**: نحو قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة: 30-31][1] والفاصلة القرآنية هي السجع في النثر، ولهذا تقدم «الجحيم» المفعول به على الفعل.

3- **رعاية الأهمية**: كقول رسول الله ﷺ: «إن المنبتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»[2]. فالنبي قدَّم المفعول وهو «المنبتَّ» و«أرضاً» لأهمية ما يريد أن يقوله للناس.

4- **التلذذ بالمفعول**: فقد يقدم المتكلم المفعول على الفعل تلذذاً وسعادة، مثل: الحبيبَ رأيت، حفيدي قبلتُ.

5- **التبرك بذكره**: اللهَ عبدتُ، القرآنَ قرأتُ.

6- **التحديد**: فقد يسألك سائل: ماذا ركبت الطائرة، أو السيارة، أو الجواد؟ فأنت تحدد له المركوب فتقول: الطائرةَ ركبتُ.

تقدُّم الحال:

الأصل في الحال أن تأتي بعد الفعل أو ما في حكمه لأنه عامل الحال، نحو: جرى السيلُ مسرعاً، ونزالِ متمهِّلاً. أو إذا كانت الحال محصورة: ما خرج المجِدُّ من امتحانه إلا فرِحاً. أو إذا كان صاحب الحال منصوباً بفعل تعجب، نحو: ما أحسنَ الماءَ عذباً! فكلمة «عذباً» حال من «الماء» واجبة التأخير عن صاحب الحال.

ولكن قد تتقدم الحال على عاملها لدواعٍ بلاغية، منها:

1- **الحصر**: أي إذا كان صاحب الحال محصوراً، نحو: ما عادَ فرِحاً إلا المنتصرُ. فالحال «فرِحاً» تقدمت على صاحبها «المنتصر» لأنه حُصر بإلاَّ.

2- **بيان الحال**: فإذا قلت: «صليتُ خاشعاً» تكون أديت الصلاة كما يجب. ولكن إن قلت: «خاشعاً صليتُ» فأنت تبين حالك وأنت تصلي. ومثله قولك: «يقظاً جلستُ».

---

(1) الغل: الطوق الحديدي في الرقبة واليدين. صلوه: أدخلوه فيها أو أحرقوه.

(2) المنبتُّ: هو الذي يُجهد دابته ليسبقَ أصحابه.

3- التلذذ: نحو: صائماً أمضيتُ يومي.

4- الشماتة: نحو: عنيفاً ضربتُ المجرم.

تقدم شبه الجملة:

وشبه الجملة هو الظرف أو الجار والمجرور. وموقعهما في الجملة بعد الفعل لأنهما يتعلقان به، نحو قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7].

ولكن قد يسبق الجار والمجرور أو الظرف المتعلق بهما لوجهة بلاغية معينة، نحو:

1- التعظيم: كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10].

2- التحديد: فقد يحتاج الأمر إلى تحديد المكان أو الزمان، فيقدم المتكلم ظرفه، كقولك: «إلى الكعبة المشرَّفة وجهتُ وجهي». أو كقول عبد الكريم الكرمي:

غداً سنعودُ والأجيالُ تُصغي ... إلى وقع الخُطا عند الإياب

3- الاستخفاف: فقد يستخفّ المتكلم الشاعر بالمهجو، فيقدّم شبه الجملة على الفعل، كقول المتنبي في هجاء خصومه:

بأيِّ لفظٍ تقول الشعرَ زِغنفةٌ ... تجوزُ عندك لا عُربٌ ولا عَجَمُ؟[1]

4- للأهمية: كقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24].

5- مراعاة الفاصلة القرآنية: إن من البلاغة القرآنية توازن الجمل مع توالي الفواصل، كقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فتقدم الجار والمجرور على متعلّقه الفعل «يستغفرون» مراعاةً للفاصلة قبله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: 17-18][2].

---

(1) الزغنفة: القوم ليس لهم أصل واحد.

(2) يهجعون: ينامون.

كما أنهم يخالفون ترتيب الفضلات في الجملة لضرورات بلاغية؛ فالأصل في ترتيب الجملة أن يأتي الفعل أولاً، ثم يليه الفاعل، فالمفعول به، فالحال، فشبه الجملة، نحو: رأيت البلبلَ واقفاً على الغصن، لكنهم قد يغيرون من الترتيب:

1- **لأمر معنوي**: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴾ [يس: 20]. فلو رُتبت الجملة بحيث تصير: جاء رجل يسعى من أقصى المدينة، لتوهم السامع على من يعود «يسعى».

2- **لأمر لفظي**: كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ إذ توجَّب تأخير الفاعل «الهدى» لأن الفاصلة في الآيات هي الألف؛ إذ بعدها: ﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ [النجم: 23-24].

نماذج محلولة على التقديم والتأخير وسببه

قرآن كريم:

1- ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾ **[النجم: 25].**

2- ﴿ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ **[الصف: 5].**

3- ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ **[الشعراء: 183].**

4- ﴿ ...وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ **[البقرة: 40].**

5- ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ **[البقرة: 41].**

6- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا ﴾ **[البقرة: 8].**

شعر ونثر:

7- **قال المتنبي:**

كناطحٍ صخرةً يوماً لِيُوهِنَها ... فلم يَضِرْها، وأوهى قرنَه الوَعِلُ

8- لِـدُوا للمـوتِ وابنـوا للخـرابِ فكلُّكـــم يـــصيرُ إلى الــــذهابِ

9- عُـهِدتُ مُغيثاً مُغنياً مَن أجرتَـه فلـــم أتخـــذْ إلا فِنــاءَكَ مــوئلا

10- قال المتنبي:

مـا كلُّ مـا يتمنـى المرءُ يدركُـه تـأتي الريـاحُ بمـا لا تَشْتهي السفنُ

11- قال رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالبُ مال (أو دنيا)، وطالب علم».

حلّ النماذج

1- تقدُّمُ الخبر (لله) على المبتدأ تعظيماً لمقامه.

2- تقدم شبه الجملة «لِمَ» لأنه استفهام، ولأداة الاستفهام حق الصدارة.

3- تقدم شبه الجملة «في الأرض» على الحال «مفسدين» للتخصيص، إذ لا يجوز لهم الفساد في السماء.

4- تقدم المفعول به «وإياي» للتخصيص.

5- تقدم «بآياتي» و«إياي» كذلك للتخصيص، وللفاصلة.

6- تقدُّم الجار والمجرور «من الناس» وهو خبر، لتخصيص الخبر بالمبتدأ «من».

7- تقدم المفعول به «قرنه» على الفاعل «الوعل» لاتصال المفعول به بضمير يعود على الفاعل. وقدم «يوماً» الظرف للضرورة الشعرية.

8- جاء في البيت ثلاثة جار ومجرور تعلق كل واحد بالفعل قبله، لأنـه الأصـل في ترتيب الجمل. وكذلك وجب تقديم المبتدأ «كلكم» لأن الخبر بعده جملة.

9- وجب تأخير المفعول «موئلاً» للحصر.

10- جاء المبتدأ «كل» أولاً لأنه مسبوق بأداة نفي لنفي العموم.

11- وجـب مجيء المبتـدأ «منهومـان» في أول الجملـة لأن الخـبر جملـة فعليـة، وللتشويق لسماع ما بعده.

تدريبات

عَيِّن مما يلي ركني الجملة والمتعلقات بها، واذكر سبب تقديم بعضها على بعض:

قرآن كريم:

1- ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: 17-18].

2- ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: 40].

3- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [النساء: 10].

4- ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: 42].

5- ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: 227].

أحاديث شريفة:

6- «إنَّ من البيان لسحراً».

7- «أفضلُ الرجال مَن تواضعَ عن رِفعة، وزهدَ عن قُدرة».

8- «وأيُّ داءٍ أدوى من البخلِ؟».

9- «الصاحبُ رقعةٌ في قميصك، فانظرْ بمَ ترقَعُه».

شعر:

10- وما مِنْ شدَّةٍ إلا سيأتي ... لها من عندِ مُنزِلها الرَّخاءُ

11- إنَّ العدوَّ وإنْ أبدى مُسالمةً ... إذا رأى منك يوماً فرصةً وثبا

12- ملأى السنابلِ تَنحني بتواضعٍ ... والفارغاتُ رؤوسُهُنَّ شوامخُ

13- إليك على بُعدِ المزارِ وصعبهِ ... نوازعُ شوقٍ ما تُرَدُّ عوازِبُهْ

14- إلى اللهِ كلُّ الأمرِ في الخَلقِ كلِّهِمْ ... وليس إلى المخلوقِ شيءٌ من الأمرِ

15- فمثلُ علاك لم أرَ في المعالي ... ولا تاجاً كتاجِكِ في الجلالِ

القصر

القصر: لغةً الحبسُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: 72] أي حبيسات ومخدَّرات.. واصطلاحاً هو تخصيص شيء بشيء آخر بطريق مخصوص.

وهو مؤلف من «مقصور» و«مقصور عليه». والطريق المخصوص لذلك التخصيص يكون بطرق وأدوات وكلمات. فإذا قلنا: «ما شوقي إلا شاعرٌ»، قصدنا أن نخصَّ شوقي بالشعر ونقصره عليه، ونستبعد عنه أي عمل آخر.

والذي دلَّ على التخصيص والقصر مجيء «ما» النافية في أول الكلام، وأداة الاستثناء «إلا»[1] قبل المقصور عليه وهو الخبر، والمبتدأ «شوقي» هو المقصور. ولو حذفنا «ما» و«إلا» لصارت الجملة: شوقي شاعر، فانتفى التخصيص.

فللقصر طرفان: مقصور ومقصور عليه، وهما يؤلفان الجملة الأصلية. وللقصر طرق عديدة أشهرها أربعة[2]، هي:

1- **يتمّ القصر بالنفي والاستثناء**: نحو: ما شوقي إلا شاعر، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: 31]. لأنَّ «إنْ» حرف نفي يقوم مقام «ما». ونحو: ما فازَ إلا المُجِدُّ.

ما: أداة النفي.

---

(1) إذا سبقت «إلا» الاستثنائية بالنفي صارت أداة حصر.

(2) سنذكر فيما بعد طرقاً أخرى غير أساسية، لكن الأدباء يستعملونها.

فاز: مقصور.

إلا: للاستثناء والحصر.

المجد: مقصور عليه.

ولو حذفنا «ما» و«إلا» لصارت الجملة: فاز المجدُ كما فاز غيره. في حين أن قولنا: «ما فاز إلا المجدُ» أي إن الجميع لم يفوزوا باستثناء المجد.

2- **ويكون بالأداة «إنَّما»**، نحو: إنما أنت بطلٌ. فقصرنا البطولة عليك. فأنت مقصور، وبطل مقصور عليه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]. فالأداة «إنما» طريق القصر، والمقصور «يخشى الله»، والمقصور عليه «العلماء».

3- **القصر بالعطف**: بـ «لا»[1] و«بل» و«لكنْ»، نحو:

الأرضُ متحركةٌ لا ثابتةٌ، ما الأرضُ ثابتةٌ بل متحركة، ما الأرض ثابتةٌ لكنْ متحركة.

فالمقصور عليه مع «لا» هو قبلها «الأرض»، والمقصور بعدها هو «ثابتة». في حين أن المقصور عليه مع «بل» و«لكنْ» العاطفتين هو المذكور بعدهما مسبوقتين بأداة نفي.

4- **القصر بتقديم ما حقه التاخير**. وفي هذه الحال يكون المقصور عليه هو المقدَّم. نحو: على الرجل الطيب أثني. على الله توكَّلنا.

فالمقصور عليه في هاتين الجملتين هو الجار والمجرور، والمقصور هو الفعل «أثني» والفعل «توكلنا». ويدل تقديم ما حقه التأخير على ذوق المتكلم السليم ومعرفته لدقائق علم المعاني، نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

فالتخصيص المستفاد من هذه الطرق عند علماء المعاني يسمى القصر، وهذه الطرق تسمى «طرق القصر».

---

(1) تعرب «لا» حرف عطف إذا لم تُسبق بنفي ولم تتكرر في الجملة، نحو: جاء زيدٌ لا خالدٌ. وكذا في المثال فوق.

طرفا القصر:

ينقسم القصر باعتبار طرفيه (المقصور والمقصور عليه) إلى قسمين:

1- قصر الصفة على الموصوف.

2- قصر الموصوف على الصفة.

لنعُد إلى الجمل السابقة، سنجد أن الفوز صفة بالمعنى، وأن المجدَّ هو الموصوف بهذه الصفة، لذا قلنا: قصر موصوف على صفة. أي إن الصفة لا تتعدَّى الموصوف إلى موصوف آخر.

وكذا حين قلنا: «إنما أنت بطلٌ» قصرنا البطولة عليك، فأنت مقصور، وبطل مقصور عليه. ولما كنت أنت الموصوف، والبطل صفة كان القصر هنا قصر موصوف على صفة. أي إن الموصوف وهو أنت، لا يفارق صفة البطولة إلى الخذلان.

وستجد في الأمثلة السابقة والأمثلة اللاحقة أن جملة القصر تشتمل على مقصور ومقصور عليه، وأن تلاقيهما يتمُّ بقصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة ليس غير.

طرق أخرى للقصر:

ذكر بعض علماء البلاغة عدداً آخر من طرق القصر عن طريق مفردات معينة. وهي كثيرة، لكننا نشير إلى المشهور منها:

وحدَهُ: نحو: درس زيد وحده. أي إننا قصرنا الدراسة على زيد. وإن كلمة «وحده» تعرب حالاً، ولا تأتي إلا مضافة. ولما كانت الحال نكرة قالوا: معناها: وحيداً.

فقط: أكرم الرئيسُ الفائزَ فقط. فقُصر الإكرام على الفائز. والفاء فيها زائدة، و«قط» اسم فعل.

لا غير: وهو تركيب يفيد الاستثناء، نحو: دعوتُك لا غير. ولك أن تفتح الراء فتكون «لا» نافية للجنس، و«غير» اسمها مبني على الفتح في محل نصب. أو أن تضمَّها، فتكون «لا» نافية لا عمل لها، و«غير» خبر لمبتدأ محذوف.

ليس غير: وهو تركيب يفيد الاستثناء ومخالفة ما قبله لحقيقة ما بعده، نحو: أنت الحبيب ليس غير. و«غيرُ» بالضم اسم ليس مبني على الضم في محل نصب. و«غيرَ» بفتح الراء: خبر ليس واسمها محذوف.

المنصوب على الاختصاص: نحو قولك: «نحن العمالَ بناةُ الوطن». والمعنى: نحن - نخصُّ العمال دون غيرنا - بناةُ الوطن. فقصرتَ بناء الوطن على العمال. ويعرب «العمال»: مفعول به منصوب على الاختصاص. ويجب أن يُسبق بضمير متكلم مفرد أو جمع لبيان المقصود من الضمير.

ضمير الفصل: إذا وقع ضمير منفصل بين المبتدأ والخبر دلَّ على القصر، كقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ [البقرة: 12]. فالمفسدون خبر إنَّ، و«هم» ضمير فصل جاء للتأكيد والقصر.

غير: تقوم «غير» مقام «إلا» في الاستثناء والقصر، كما في المثال الأول: ما شوقي إلا شاعر، فتقول: ما شوقي غيرُ شاعر. أو قولنا: ما فازَ إلا المجدُّ، فلكَ أن تقول: ما فاز غيرُ المجد.

نماذج محلولة

1- قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران: 144].

2- قال تعالى: ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: 23].

3- لعمرُك ما الإنسانُ إلا ابنُ يومِهِ ... على ما تحلّى يومُه لا ابنُ أمسِهِ

4- ليس عارٌ بأن يقالَ: فقيرٌ ... إنما العارُ أن يقال: بخيلُ

5- عمرُ الفتى ذِكرُهُ لا طولُ مدَّتِهِ ... وموتُه خِزْيُه لا يومُه الدّاني[1]

6- ما نالَ في دنياهُ وانٍ بُغْيَةً ... لكنْ أخو حزمٍ يجدُّ ويعملُ[2]

---

(1) الداني: القريب.

(2) الواني: الضعيف العييّ.

حلّ النماذج

1- قصر اللهُ تعالى محمداً على صفة الرسالة، نافياً عنه ما قد يُظن بأنه خالد في حياته. فهو قصر موصوف على صفة. وطريق القصر النفيُ والاستثناء.

2- قصر الله تعالى الإنذار على رسول الله ﷺ وقد جاء من عنده تعالى، فهو قصر موصوف على صفة. وطريق القصر النفي بإنْ والاستثناء.

3- قصر الشاعر الحريريُّ الإنسان على ابن أمه بطريق النفي والاستثناء، فالمقصور هو الإنسان، والمقصور عليه ابن أمه.

4- جاء المقصور بعد «إنما» مباشرة وهو «العار»، والمقصور عليه هو «البخيل». وطريق القصر «إنما». والتركيب بعد إنما المقصور أولاً والمقصور عليه ثانياً وجوباً. وهو قصر موصوف على صفة.

5- جاء القصر بطريق حرف العطف «لا»، والمقصور «ذكر الفتى»، والمقصور عليه «طول مدته». فهو مقصور على صفة.

6-جاء القصر بطريق حرف العطف «لكنْ»، فالمقصور هو الواني، والمقصور عليه «أخو» وهو قصر صفة على موصوف.

تدريبات

حدِّد ممَّا يلي المقصور والمقصور عليه، ونوعه، وطريق القصر:

1- عمرُ الفتى ذكرُه لا طولُ مدتهِ ... وموتُه خزيُه لا يومُه الدَّاني

2- بك اجتمعَ المُلكُ المبدَّدُ شملُه ... وضُمَّت قواصٍ منه بعد قواصِ

3- وما العيشُ إلا مُدَّةٌ سوف تَنْقضي ... وما المالُ إلا هالكٌ وابنُ هالكِ

4- إلى اللهِ أشكو أن في النفس حاجةً ... تمرُّ بها الأيامُ وهْيَ كما هيا

5- وما لامرئٍ طولُ الخلودِ، وإنما ... يخلدُه طولُ الثناءِ فيخلُدُ
6- معروفُه في جميع الناس مقتسَمٌ ... فحمدُه في جميع الناس لا العُصَبُ[1]

تقسيم القصر إلى حقيقي وإضافي:

ذكرنا أن القصر ينقسم بحسب طرفيه إلى قصر صفة على موصوف، وقصر موصوف على صفة. وللقصر تقسيم آخر باعتبار الحقيقة والواقع:

أ- القصر الحقيقي: ويختص فيه المقصور على المقصور عليه على حسب الحقيقة والواقع، بأنْ لا يتعدَّاه إلى غيره مطلقاً: نحو قولك: لا إلهَ إلا اللهُ، لا خالقَ إلا الله.

ب- القصر الإضافي: هو الذي يختصُّ فيه المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين، بحيث لا يتعدَّاه إلى جميع ما عداه، نحو: إنما يدومُ السرورُ برؤية الإخوان. فالمقصور هنا قصر صفة دوام السرور على رؤية الإخوان بالإضافة، أو بالنسبة إلى رؤية الأعداء مثلاً، دون أن ينافي هذا دوامَ السرور برؤية الأهل مثلاً أو غيرهم، وقد سُمي بالقصر الإضافي لأن الاختصاص بحسب الإضافة إلى شيء معين.

علماً أن القصر الحقيقي يختص بقصر الصفة على الموصوف. في حين أن القصر الإضافي يأتي في قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة، نحو: لا جوادَ إلا عليّ. فأنت قصرتَ الصفة على الموصوف. وإذا قلتَ: إنما حسنٌ شجاعٌ. فأنت قصرتَ الموصوف على الصفة. والمقصور في كلا المثالين مختص بالموصوف عليه بالإضافة (أي بالنسبة) إلى شيء معين، لا إلى جميع ما عداه. فالجود صفة لعلي مقصورة عليه، وقد تكون عند غيره.

---

(1) العصب: الطوائف.

نماذج محلولة

حدِّد ممَّا يلي المقصور والمقصور عليه، ونوعه إذا كان حقيقياً أو إضافياً:

1- قال لبيد العامري:

وما المرءُ إلا كالهلالِ وضوئهِ ... يُوافي تمامَ الشهر ثم يغيبُ

2- قال ابن الرومي:

أموالُه في رقابِ الناسِ من مِنَنٍ ... لا في الخزائنِ من عَينٍ ومن نَشَبِ[1]

3- قال الشاعر الجاهلي الغطمَّش:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... أرى الأرضَ تَبقى والأخِلاَّءُ تذهبُ

4- قال أبو العتاهية:

كأنك عند الكرِّ والحرب إنما ... تفِرُّ من الصفِّ الذي من ورائكا

فما آفةُ الأبطالِ غيرَكَ في الوغى ... وما آفةُ الأموالِ غيرَ حِبائكا

5- قال الشاعر:

يهتزّ عطفاهُ عند الحمد يسمعُه ... من هِزَّةِ المجد لا من هِزَّةِ الطَّرَبِ

6- قال المتنبي:

لا يدركُ المجدَ إلا سيد فطِنٌ ... لِمَا يشُقُّ على الساداتِ فَعّالُ

لا وارثٌ جَهِلَتْ يمناهُ ما وهبتْ ... ولا كسوبٌ بغيرِ السيفِ سَأّلِ

---

(1) العين: الذهب والفضة. النشب: المال.

حلّ النماذج

الرقم	طريقه	المقصور	المقصور عليه	نوعه
1	النفي والاستثناء	المرء	هو كالهلاك	إضافي
	لا العاطفة	أمواله	هي في رقاب الناس	إضافي
2	تقديم الجار والمجرور	أشكو	لفظ الجلالة	إضافي
3	النفي والاستثناء	آفة	كاف الخطاب	إضافي
4	النفي والاستثناء	آفة	حبائكا	إضافي
	إنما	تفر	من الصف	إضافي
5	لا العاطفة	يهتز عطفاه	هزة المجد	إضافي
6	النفي والاستثناء	إدراك المجد	السيد الفطن	إضافي

تقسيم القصر الإضافي:

إن الغاية من القصر – بشكل عام – تقرير الكلام في ذهن السامع وإثباته، ولهذا فصَّل البلاغيون به، وقسَّموه.

ويُقسم القصر الإضافي باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام، هي:

1- **قصر الإفراد**: وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيرِه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.[النساء: 171]، رداً على من يعتقد بأكثر من إله خالق.

2- **قصر القلب**: وذلك إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تُثبته بقولك، نحو قولك: ما سافر إلا خالدٌ، ردّاً على أن السائل اعتقد أن المسافر علي لا خالد، ممَّا اضطرَّك إلى قلب المفهوم الذي يعتقده السائل.

3- **قصر التعيين**: وذلك إذا كان المخاطب متردداً في الحكم بين المقصور عليه وغيره. فيقال: قصر تعيين إذا وُجد تردُّد في الاعتقاد. فإذا كان المرءُ متردداً في اعتقاده

بين أن تكون الأرض ثابتة أو متحركة، فتقول له: الأرضُ متحركة لا ثابتة، لتؤكد له الصواب، والقصر هنا بلا العاطفة.

فإذا كان المخاطب متردداً في الحكم بين المقصور عليه وغيره، نحو: «ما زيدٌ إلا معلم». فإذا كان المخاطب يعتقد أن زيداً معلم ومزارع، كان القصر «قصر إفراد». ولكن إذا كان يعتقد أن زيداً مزارع لا معلم، كان القصر «قصر قلب». أما إذا كان متردداً بين الصفتين فيكون القصر «قصر تعيين».

كما إذا قلت: «الشجاع عليّ لا حسنٌ»؛ فإن كان المخاطب يعتقد اشتراك علي وحسن بالشجاعة كان القصر «قصر إفراد». وإن كان يعتقد عكس ما ذكرتَ كان القصر «قصر قلب». وإن كان المخاطب متردداً لا يدري أيُّهما الشجاع كان القصر «قصر تعيين».

خاتمة: يقع القصر بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول به، وبين الحال وصاحب الحال، وغير ذلك من المتعلقات. لكنه لا يقع مع المفعول معه. وهو من ضروب البلاغة الخاصة بالإيجاز، لأن جملة القصر الواحدة تعادل جملتين، كقولك: «وما محمد إلا رسول» جامعة لقولك: إن محمداً ﷺ رسول من عند الله، وليس مخلوقاً خالداً.

تدريبات

عيّن المقصور، والمقصور عليه، وطريق القصر، ونوعه، ممّا يلي:

1- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل: 105].

2- قال تعالى: ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [الشعراء: 113].

3- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ [النساء: 171].

4- فإنْ كان في لبس الفتى شرفٌ له فما السيفُ إلا غمدُهُ والحمائلُ

5- قال عمرو بن معد يكرب:

قد علمتْ سلمى وجاراتها ما قطَّرَ الفارسَ إلا أنا

6- إنَّ الجديدينِ في طول اختلافهما لا يفسُدانِ ولكنْ يفسُدُ النّاسُ[1]

7- قال مهيار الدَّيلمي:

وما الحرصُ إلا فضلةٌ لوْ نَبَذْتَها لما فاتكَ الرزقُ الذي أنت آكِلُهُ

8- قال الحطيئة:

أبتْ شفتايَ اليوم إلا تكلماً بشرٍ، فما أدري لمن أنا قائلُهْ؟

9- قال العرجي:

أجتازُ قفراً بعيد القعرِ، ليس معي إلا الإلهُ، وإلا السيفُ والفرسُ

---

(1) الجديدان: الليل والنهار.

الفصل والوصل

الوصل: يُقصد بكلمة «الوصل» عطف جملة على جملة أخرى بالواو العاطفة دون غيرها من حروف العطف، لأن حروف العطف الأخرى تفيد معاني بعيدة من علم المعاني، كالفاء التي تفيد الترتيب مع التعقيب، و«ثم» التي تفيد الترتيب مع التراخي، في حين أن الواو تفيد الجمع. واعلمْ أن الوصل بالواو لعطف الجمل لا لعطف المفردات، كقول الشاعر الغَزِّي:

ليس التغَرُّبُ أن تشكو نَوى سفرٍ وإنما ذاك فقدُ العزِّ في الوطنِ

وقول الطِّرِمّاح:

وما مُنعتْ دارٌ ولا عَزَّ أهلُها من الناسِ إلا بالقنا والقنابلِ

ويُقصد بالفصل تركُ هذا العطف، كقول المعري:

لا تطلُبَنَّ بآلةٍ لكَ حاجةً قلمُ البليغِ بغيرِ حظٍّ مِغزَلُ

الفصل: فالفصل في علم المعاني إسقاط الواو العاطفة بين جملتين لا كلمتين.

ويكون ذلك في ثلاثة مواضع:

1- أن يكون بين الجملتين **كمال الاتصال** أو الاتحاد في المعنى، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى، نحو قول المتنبي:

وما الدهرُ إلا من رواةِ قصائدي إذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ مُنشِدا

إذ لو لم يكن للجملتين كمال الاتصال لما قال الشاعر الشطر الثاني.

أو **بياناً لها** تُوضح إبهامها، نحو قول الشاعر:

الناسُ للناسِ من بدوٍ وحاضرةٍ   بعضٌ لبعضٍ- وإن لم يَشعروا- خدمُ

أو **بدلاً منها**، نحو قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: 132-134].

2- أن يكون بين الجملتين **كمال الانقطاع**، أي تَباين تام بين الجملتين؛ وذلك بأن تختلفا خبراً وإنشاءً، نحو قول الشاعر:

لا تحسَبِ المجدَ تمراً أنت آكِلُهُ   لن تبلُغَ المجدَ حتى تلعقَ الصَّبْرا

فالجملة الأولى في صدر البيت إنشائية بالنهي، والجملة الثانية في العجز خبرية ابتدائية.

أو بألاّ يكون بينهما أي مناسبة معنوية، نحو قول الشاعر:

وإنما المرءُ بأصغريهِ   كلُّ امرئٍ رهنٌ بما لديهِ

3- أن يكون بين الجملتين **شبه كمال الاتصال**، وذلك بأن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى، نحو قول الشاعر:

يقولون: إني أحملُ الضَّيمَ عندهُمْ   أعوذُ بربي أن يُضامَ نظيري

تحليل الشواهد:

انظر إلى قول المتنبي:

وما الدهرُ إلا من رواةِ قصائدي   إذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ منشِدا

فهو يقول: إن الدهر يحمل شعري ويرويه، فكأن الدهر إنسان راوية، لأن الناس جميعاً يتناقلون شعري في كل آن. فالمعنى بين الجملتين متآلف تماماً؛ فجملة العجز جاءت توكيداً للجملة الأولى في الصدر، أي إن الجملتين في معنىً واحد. فهو كمال الاتصال.

وانظر إلى قول أبي العلاء المعري:

النـاسُ للنـاسِ مـن بـدوٍ وحاضـرةٍ بعضٌ لبعضٍ- وإن لم يَشعروا- خدمُ

والمعنى: إن الناس لا بدَّ لهم من التعاون فيما بينهم سواءٌ أكانوا في البادية أم المدينة، فلا يقدر أحد أن يستغنيَ عن غيره، ولا أن يستقلَّ بنفسه في حياته.

وقد جاءت الجملة الثانية «بعض لبعض خدم» لتوضيح الجملة الأولى «الناس للناس من بدوٍ وحاضرة». وقد جاءت الجملة الثانية بياناً للأولى.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2].

والمعنى أن الله يصرِّف العوالم كلها بقدرته وحكمته، يبسط آياته ويفصلها لتكون مفهومة للناس كافةً، لعلهم يؤمنون بقدرة الله ولقائه في اليوم الآخر. فالجملة الثانية «يفصل الآيات» مفصولة عن الجملة الأولى «يدبر الأمر»، ممّا يجعل التآلف تاماً وكامل الاتحاد، وتبدو الجملة الثانية جزءاً من الأولى، فلا ضرورة للعطف بين الجملتين.

في حين أنك إن نظرتَ إلى قول الشاعر:

وإنما المـرءُ بأصـغَريهِ كـلُّ امـرئٍ رهـنٌ بمـا لديـهِ

تجد أن معنى الصدر أن قيمة الإنسان بقلبه ولسانه، ومعنى العجز: يجازى كل إنسان بما عمل في حياته. فلا صلة بين الجملتين مطلقاً ولا ترابط. ولا وجوب لحرف العطف بين الجملتين لأن العطف جمعٌ بينهما، لكن المعنيين متباينان ففيه شبه كمال الاتصال.

وانظر إلى قول أبي تمام:

ليس الحجابُ بمُقْصٍ عنكَ لي أملاً إنَّ السماءَ تُرَجَّى حين تحتجِبُ

والمعنى: إن الحجاب الذي وضعتَه دون الأنام لا يمنعني من لقائك، وهذه السماء الرحبة يبحث عنها حين تتراكم تحتها الغيوم. فالرابط بينهما شبه تام، فكأنه يسأل في الجملة الأولى: أيمنعني عنك الحجاب؟ فتأتي الجملة رداً وجواباً. فالرابط شبه موجود، فيقال: هنا شبه كمال الاتصال.

الوصل وبلاغته:

الوصل: عطف جملة على أخرى بحرف الواو العاطفة. ولا تتحقق بلاغة الوصل إلا بالواو كما ذكرنا. وهي لا تفيد إلا الجمع والربط بين الجملتين، وإشراك ما بعدها بما قبلها، نحو: برد الطقسُ، وكثرت الغيوم، ونزل المطر، ونحو قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ [النازعات: 1-2] [1].

وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامع ورابط، نحو: يضحك ويبكي، يكتب ويقرأ (بالتضاد أو بالتوافق). واشترطوا أن يكون هناك توافق بين المسند والمسند إليه في الجملتين؛ إذ لا يجوز أن تقول: سعيد قادم والحمار ذاهب.

ويقع الوصل في ثلاثة مواضع، هي:

الأول: توافق الجملتين خبراً وإنشاءً، وكان بينهما مناسبة تامة، وما من سبب يدعو إلى الفصل.

أ- مثال الجملتين الخبريتين: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: 2]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: 13-14] [2]. ففي هذا الكلام جملتان خبريتان وُصلت الثانية بالأولى، لأن بين الجملتين تناسباً في الفكر؛ فإذا جرى في الذهن حالُ أحد الفريقين، ترامى إلى الذهن حال الفريق الآخر.

ب- مثال الجملتين الإنشائيتين: قال بشار بن بُرد:

وأَدْنِ إلى القُربى المقَرِّبَ نفسَه ... ولا تُشهدِ الشورى امرأً غيرَ كاتمِ

والمعنى: قرِّب من يتقرَّب إليك بعقله وكماله، ولا تستشر من لا يكتمُ السرَّ.

---

(1) النازعات: الملائكة التي تقبض الأرواح. غرقاً: شديداً. ومثلها الناشطات، لكن الأولى للمشركين والثانية للمؤمنين.

(2) الأبرار: الذين برّوا وصدقوا في إيمانهم.

فالبيت مكوَّن من جملتين إنشائيتين «أدن» أمريـة، و«لا تـشهد» منهيـة. ولا سـبب يستدعي الفصل بينهما، ولهذا عطفت الثانية على الأولى.

ومثلُ ذلك قوله تعـالى: ﴿فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الـشورى: 15][1]. فقـد وصلت «استقم» بـ «ادعُ» لأن كليهما جملة إنشائية أمرية.

ج- مختلفتـان بحكـم الاتفـاق: كقولـه تعـالى: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: 54].

فالجملة الأولى «أشهدُ الله» خبرية، والجملـة الثانيـة «واشْـهَدوا» إنـشائية. وجـاز عطف الثانية على الأولى لأن الثانية بحكم الخبرية، فكأنه يراد «أشهِدُ الله وأُشهِدُكم».

ومثله قولك لأخيك: تذهبُ إلى أبيك وقلْ له.

اذهبْ إلى أبيك وتقولُ له.

فالجملتان مختلفتان بين الخبرية والإنـشائية، لكـنهما متفقتـان في المعنـى والتقـدير. فكأنك تقول: اذهب وقل، فالجملة الأولى ابتدائية لا محـل لهـا، والثانيـة معطوفـة عـلى الابتدائية وهي مثلها لا محل لها. وقد جرى العطف لتوافق المعنى وإن اختلفا باللفظ.

الثاني: دفعُ توهُّم غيرِ المراد: وذلـك إذا اختلفـت الجملتـان بـين الخبريـة والإنـشائية، وأوهمَ المعنى ضرورة الفصل بين الجملتين بإسقاط واو العطف. فإن سألك سائل عـن مريض عندك: هل شُفي مريضك؟ فتجيبه: «لا، وشفاه الله». علماً أن «لا» تقـوم مقـام جملة خبرية نحو «لا لم يشفَ»، وجملة «شفاه الله» جملة دعائية إنشائية.

بل إن الوصل بالعطف هنا واجب، لأن قولـك «لا وشـفاه الله» فأنـت تـدعو لـه بالشفاء. وإن قلت: «لا شفاهُ الله» من غـير وصـل، فأنـت تـدعو عليـه بعـدم الـشفاء. فالوصل بالعطف هنا واجب لدفع التوهُّم. ويظل إعـراب الجملتـين لا محـل لهـما مـن الإعراب؛ الثانية معطوفة على الأولى الابتدائية.

(1) استقم: الزم المنهج المستقيم الذي أمرتَ به.

الثالث: اختلاف المحل الإعرابي: فقد يختلف المحل الإعرابي بين الجملتين، وأراد المتكلم إشراك الجملة الثانية في المحل الإعرابي للجملة الأولى، كأن تقول: أحمدُ يدرسُ ويلعب.

فجملة «يدرس» في محل رفع خبر المبتدأ «أحمد». وجملة «يلعب» معطوفة على جملة «يدرس»، في حين أن جملة «يلعب» تشارك «يدرس» في الخبرية، فكأنها في محل رفع خبر ثانٍ لأحمد، لكن المتكلم وصل بينهما؛ إذ لا مانع من إشراك الجملة الثانية في الموضع الإعرابي للجملة الأولى، وهذا الإشراك الإعرابي يوجب الوصل.

والأحسنُ في العطف أن تتفق الجملتان بين الاسمية والفعلية.

1- مثال على الاسميتين الآية الكريمة السابقة: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 13-14].

2- مثال على الجملتين الفعليتين: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: 13-14][1]. فقد عُطفت جملة «أنزلنا» على «جعلنا»، والجملتان ماضويتان.

وقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49] والجملتان مضارعتان.

فالوصل بالعطف يقع بين جملتين متساويتين في الاسمية، أو الفعلية في زمان واحد؛ ماض على ماض، مضارع على مضارع، أمر على أمر. لكن البلاغيين أجازوا اختلاف الزمان مع العطف لأغراض بلاغية محدودة كحكاية الحال الماضية التي يدركها السامع، كقوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: 87].

---

(1) سراجاً وهاجاً: مصباحاً منيراً وقّاداً. المعصرات: السحب التي حان لها أن تُمطر. ثجاجاً: منصباً بكثرة.

أو باستخدام جملتين فعلية واسمية موصولتين بالعطف على إفادة تجديد إحداهما لتقارِبَ الأخرى في المعنى، كقوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: 55]. فقد عُطفت الجملة الثانية وهي اسمية على الجملة الأولى وهي فعلية على إفادة التجديد.

والخلاصة (قاعدة الفصل): يجب الفصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

1- أن يكون بين الجملتين **كمال الاتصال** أو كمال الاتحاد في المعنى، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى، أو بياناً لها، أو بدلاً منها.

2- أن يكون بين الجملتين تَباين تام؛ بأن تختلفا خبراً وإنشاءً، وبألاَّ يكون بينهما أية مناسبة تربط ما بينهما. فيقال لهما **كمال الانقطاع**.

3- أن يكون بين الجملتين شبه علاقة؛ كأن تكون الثانية جواباً لسؤال يُفهم من الجملة الأولى. فيقال عندئذ: إن بينهما **شبه كمال الاتصال**.

قاعدة الوصل: يتم الوصلُ بين الجملتين بواو عاطفة لا بدَّ من وجودها بين الجملتين. وللوصل عند البلاغيين ثلاثة مواضع، هي:

1- توافق الجملتين خبراً وإنشاءً، بحيث تكون الجملتان خبريتين أو إنشائيتين، أو أنهما مختلفتان ولكن بحكم الاتفاق.

2- إذا اختلفتا خبراً وإنشاء، وأوهم الفصلُ غير المراد.

3- اختلاف المحل الإعرابي وقُصد إشراكهما في المحل.

نماذج محلولة (1)

وضِّح أسباب الوصل في الجمل المذكورة في الآيات والأبيات التالية:

1- ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29][1].

2- ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144].

---

(1) مغلولة: كناية عن الشح. لا تبسطها: كناية عن التبذير.

3- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: 25].

4- ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ [يس: 78].

5- ﴿ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [آل عمران: 156].

6- ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: 121].

7- قال ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ»[1].

8- يُعزى إلى أبي نواس:

نسيبُك مَن ناسبتَ بالودِّ قلبَهُ ... وجارُك من صافيتَ لا مَن تُصاقبُ[2]

9- قال المتنبي:

وكلُّ امرئٍ يُولي الجميلَ محبَّبٌ ... وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العزَّ طيِّبُ

وقال أيضاً:

10- وللسرِّ مني موضعٌ لا ينالُه ... نديمٌ، ولا يُفْضي إليه شرابُ[3]

«لا، وبارَكَ الله فيك».

11- يصونُ الكريمُ العرضَ بالمالِ جاهداً ... وذو اللؤمِ للأموالِ بالعرضِ صائنُ

12- قال أبو العتاهية:

13- قد يدركُ الراقدُ الهادي برقدتهِ ... وقد يخيبُ أخو الرَّوحات والدَّلَجُ[4]

---

(1) الحديث في سنن الترمذي: 1987 وغيره. ويروى: حيث كنتَ.. وخالط الناس.

(2) تصاقب: تقارب.

(3) يفضي: ينتهي.

(4) الروحات: ج روحة، وهي السير آخر النهار. الدلج: ج دلجة، وهي السير من أول الليل.

حلّ النماذج (1)

1- توافقت الجملتان بأن جاءت الثانية إنشائية بالنهي، معطوفة على الجملة الأولى الإنشائية بالنهي أيضاً.

2- توافقت الجملتان في الآية بأن جاءتا إنشائيتين بالأمر، ووصلتا بالعطف وتناسبتا في المعنى.

3- جاءت جملة «ويصدون» مضارعة معطوفة على «كفروا» الماضية لأن المعنى حكاية لحال ماضية، واستحضار لصورة غريبة في الذهن. فجاز الوصل.

4- توافقت الجملة الثانية «نسي خلقه» مع الجملة الأولى «ضرب لنا مثلاً» في أنهما جملتان خبريتان في زمان ماض، فجاز وصلهما بالعطف.

5- تحقق الوصل بين «يميت» و«يحيِ» بحرف الواو، وأفادت الجمع بين الجملتين لاشتراك أمر الله بالحياة والموت عن طريق التضاد.

6- تحقق الوصل بين «لا يقطعون» و«لا ينفقون» بأنهما جملتان خبريتان منفيتان، وتوافق المسند والمسند إليه.

7- تحقق الوصل بين الجمل الثلاث، وكلها جمل إنشائية أمرية، والمسند والمسند إليه فيها واحد. والجمل هي «خالق» معطوفة على «اتق»، و«أتبع» معطوفة كذلك على «اتق»، لأن العطف بالواو على الأول.

8- تحقق الوصل بين الجملتين الاسميتين: «نسيبك من» و«جارُك من» مع توافق المسند والمسند إليه وتوافقهما بالاسمية.

9- تحقق الوصل بين الجملتين الاسميتين لتوافقهما بالاسمية والخبرية.

10- تحقق الوصل بين الجملتين «لا يناله كريم» و«لا يُفضي إليه شراب» لأن الجملتين خبريتان، ولأن الأولى في محل رفع صفة، وأراد الشاعر أن يُشرك الثانية بالمحل.

11- جاءت الجملة الأولى خبرية وهي «لا» النافية على تقدير جملة معها، والجملة الثانية «بارك الله فيك» وهي جملة إنشائية دعائية معنى، خبرية لفظاً، والوصل يعتمد اللفظ. ولو أنك حذفت الواو وقلت: «لا بارك الله فيك» لصارت الجملة دعائية عليه، وهذا توهُّم للسامع. كما أن الجملة المعطوفة جملتان، والثانية جملة واحدة.

12- جاءت الجملة الثانية «ذو اللؤم» اسمية معطوفة على الجملة الأولى «يصون الكريم» فعلية، وقد تمَّ الوصل بالعطف لتقارب المعنى بين الجملتين.

13- وصل أبو العتاهية بين الجملتين «قد يدرك» مع «قد يخيب» لأنهما اتفقتا بالخبرية، ووقع تناسب تام بينهما في الإيجاب، ولا ضرورة لفصلهما.

نماذج محلولة (2)

استخرج من الآيات والأبيات التالية جمل الفصل، وبَيِّن أسباب الفصل:

1- ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: 132-133].

2- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6].

3- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه: 120].

4- ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: 53].

5- ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: 17][1].

6- زعم العواذلُ أنني في غمرةٍ صدقوا، ولكنْ غمرتي لا تَنْجلي

7- قال المتنبي:

إنَّ نيوبَ الزمانِ تعرفُني أنا الذي طال عجمُها عودي[2]

8- قال المعري:

(1) مهِّل الكافرين: لا تستعجل بالانتقام منهم. أمهلهم رُويداً: إمهالاً قليلاً.

(2) عجم العودَ: عضَّه ليعرف صلابته.

لا يعجبنَّكَ إقبالٌ يُريك سَناً إنَّ الخمورَ لَعَمري غايةُ الضَّرَمِ[1]

9- وتظنُّ سلمى أنني أبغي بها بَدَلاً؛ أُراها في الضَّلالِ تهيمُ

10- قال المتنبي:

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعانِ هوَ أولٌ وهْيَ المحلُّ الثاني

11- قال الشريف الرضي:

أعلمتَ مَن حُمِلوا على الأعوادِ أعلمتَ كيفَ خبا ضِياءُ النادي؟[2]

12- العينُ عبرى والنفوسُ صَوادي ماتَ الحِجا وقَضَى جَلالُ النادي[3]

حل النماذج (2)

1- جاءت الجملة الثانية «أمدكم بأنعام» بدلاً للجملة الأولى «أمدَّكم بما تعلمون» والبدل هنا بدل بعض من الأولى، لأن ما ذكره بعض ممّا يعلمون. فالفصل يسمى هنا كمال الاتصال.

2- فصل بين الجملتين؛ جملة التسوية «سواء عليهم ... أم لم تنذرهم» وجملة «لا يؤمنون»، فما بينهما كمال الاتصال، لأن الجملة الثانية «لا يؤمنون» توكيد للجملة الأولى.

3- جاءت الجملة الثانية «قال يا آدمُ» بياناً لِما وسوسَ به الشيطان إليه. وهذا البيان بيان إبهام جاء في الأولى، فاتحدت الجملتان بكمال الاتصال.

4- جاءت الجملة الثانية «إن النفس لأمارة بالسوء» قوية الارتباط بالجملة الأولى «وما أبرئ نفسي» لوقوعها جواباً عن سؤال يُفهم من مضمون الجملة الأولى. فبينهما شبه كمال الاتصال.

---

(1) السنا: ضوء البرق. الخمود: الانطفاء. الضرم: اشتعال النار.

(2) الأعواد: ج العود وهو النعش. خبا: خفتَ وانطفأ.

(3) عبرى: دامعة. الصوادي: ج الصادية أي الظمأى. الحجا: العقل. قضى: مات.

5- جاءت الجملة الثانية «أمهلْهم رُويداً» مؤكدة للجملة الأولى «فمهِّل الكافرين» بما يشبه أن يكون توكيداً لفظياً ومعنوياً. فما بينهما كمال الاتصال.

6- بين الجملتين شبه كمال الاتصال، فكأن السامع للجملة الأولى «زعم العواذل» أنه يسأل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا، فكان الجواب «صدقوا». وهي جملة قوية الارتباط بالأولى، فقالوا: إن بينهما شبه كمال الاتصال.

7- انفصل ما بين الجملة الأولى «إن نيوب..» عن الجملة الثانية «أنا الذي..» وكانت الجملة الثانية جواباً عن سؤال نشأ من الأولى. فبينهما شبه كمال الاتصال.

8- اختلفت الجملتان الأولى والثانية؛ فالأولى جملة إنشائية بالنهي، والجملة الثانية «إن الخمود.. » خبرية. فبينهما كمال الانقطاع.

9- وقع في البيت ثلاث جمل هي: «تظن» و«أبغي» و«أراها». والتوهم يقع في احتمال عطف «أراها» على «تظن»، لكن يمنع هذا توهُّم سلمى أن يكون العطف على «أبغي» مع أنه غير مقصود عند الشاعر، لذا امتنع العطف ووجب الفصل على شبه كمال الانقطاع.

10- وقع في بيت المتنبي جملتان؛ الأولى «الرأي قبل..»، والثانية «هو أول». ونجد أن بينهما كمال الاتصال، لأن الثانية توكيد للأولى ولاتِّفاقهما في المعنى، ويوجد بين الشطرين ما يقتضي الفصل.

11- فصل الشريف الرضي بين الجملتين «أعلمت» في الشطر الأول، و«أعلمت» في الشطر الثاني، لأن بينهما كمال الاتصال، إذ إن الجملة الثانية توكيد للأولى، وكلاهما يدل على التوجُّع.

12- وصل الشاعر بين جملتين في الشطر الأول «العين عبرى» و«النفوس صوادي» لاتفاقهما بأنهما جملتان خبريتان، وتَناسبهما في المعنى. كما وصل في الشطر الثاني بين «مات الحجا» و«قَضى جلال النادي» لما ذُكر في جملتي الشطر الأول. لكنه فصل بين جمل الشطرين، لأن الشطر الثاني مفهوم من معنى الشطر الأول. فبينهما شبه كمال الاتصال.

تدريبات عامة

استخرج مما يلي الفصل والوصل، وبيِّن أسبابها:

1-﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ [الفرقان: 35].

2-﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: 78-79].

3-﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقمان: 7].

4- قال ابن الرومي:

قد يسبقُ الخيرَ طالبٌ عجِلٌ ... ويَرْهَقُ الشَّرُّ مُمْعِناً هَرَبُهْ

5- قال المتنبي:

أعزُّ مكان في الدُّنا سرجُ سابحٍ ... وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ

6- قال الحجاج وهو يخطب في الناس:

«اللهمَّ أرِني الغيَّ غيّاً فأجتنِبَهُ، وأرِني الهُدى هُدًى فأتَّبعَهُ، ولا تَكِلني إلى نفسي فأضِلَّ ضلالاً بعيداً».

7- قال حسان بن ثابت:

أصونُ عِرضي بمالي لا أدنِّسُه ... لا باركَ اللهُ بعدَ العرض في المالِ

أحتالُ للمال إنْ أَوْدَى فأكسِبُهُ ... ولستُ لِلعرْض إنْ أودَى بمحتالِ[1]

(1) أودى: تلف.

الإيجاز، والإطناب، والمساواة



يستخدم الأديب شاعراً كان أو أديباً أسلوباً مناسباً في الخطاب بالإيجاز، أو الإطناب، أو المساواة؛ بحسب ما يقتضيه المعنى. فالحكمة والمثل يتطلبان الإيجاز، والشرح والتفصيل يتطلب الإطناب، وما بينهما المساواة، وهو الأداء الطبيعي.

ولا يجوز للأديب أن يوجز إن كان المعنى يتطلب إطالة أو إطناباً، كما لا يحق له أن يُطنِب في موضع الإيجاز. ومع أنهم أثنوا على الإيجاز كثيراً وعدّوه من البلاغة والبراعة، فلا بدَّ من تخيُّر واحد من ثلاثة في حُسن الأداء:

1- فإن جاء التعبير على قدر المعنى سُمّي مساواة.

2- وإن زاد الشرح أكثر من المعنى بهدف التوضيح كان إطناباً. فإن لم تكن الإطالة ضرورية سُميت حشواً وإطالة، والحشو عيب أسلوبي.

3- وإن نقص التعبير وضُغط أداؤه من غير غموض سمي إيجازاً.

والأديب الواحد قد يطنب، أو يوجز، أو يؤدي معانيه بالمساواة. وهو نفسه يعرف متى يوجز ومتى يطنب. وقد قال الإمام علي: «ما رأيتُ بليغاً إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة».

وفيما يلي استعراض للأساليب الثلاثة مع نماذج عليها:

أولاً- المساواة:

هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية للمعنى. أي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني؛ لا يزيد بعضها على بعض. والمساواة عند البلاغيين أصل التعبير المقيس عليه، والدستور المعتمد في الكتابة. لذا فلا حاجة إلى التفصيل فيه.

أمثلة من القرآن الكريم على المساواة

1- ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 110].

2- ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43][1].

3- ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الروم: 44].

4- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60].

أمثلة من الشعر

5- قال النابغة الذبياني:

فإنكَ كالليلِ الذي هو مُدركي وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ

6- قال طرفة بن العبد:

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزَوِّدِ

فلو أنك تأملتَ الأمثلة السابقة لرأيت أن المعنى على كل قدر اللفظ في كل آية وبيت؛ فلا تجد في الكلام إيجازاً، كما لا تجد إطناباً وإسهاباً. وهذا هو الأداء الطبيعي والتعبير الدقيق.

أعد قراءتك للأمثلة، أتجدُ فيها لفظاً في غير مكانه، أو لفظاً يمكن حذفه؟ إنك إن فعلتَ اختلَّ التعبير وفُقد المعنى. كما أنك ترى المعنى مؤدّىً أداءً وافياً، مفهوماً تماماً.

فإذا أردت الكتابة فاستخدم أسلوب المساواة، وعَبِّر به، فترتاح أنت وتُريح قارئك. ولهذا قال علماء البلاغة: «المساواة هي الأصل المقيسُ عليه».

---

(1) يحيق: يحيط، ماضيه: حاقَ.

ثانياً- الإيجاز: الإيجاز هو جمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، شريطة أن تكون وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح. ولا يُحسن الإيجازَ إلا مَن أوتيَ مقدرة كاملة على التعبير الدقيق والإحاطة الوافية بدقائق اللغة. سألتْ بنت الحطيئة أباها: «ما بالُ قصارِك أكثرُ من طوالك؟»، وتريد بالقصار القطع الشعرية، وبالطوال القصائد. فأجابها: «لأنها بالآذان أَوْلَجُ[1]، وبالأفواه أعلَقُ».

وسُئل شاعر: «لمِ لا تطيلُ شِعركَ؟» أجاب: حسبُك من القلادة ما أحاطَ بالعنق».

لاحظتَ ميل الأدباء إلى الإيجاز، وتَباهيهم بحسنه حتى من كان يسأل ومن كان يجيب كان يستخدم أسلوب الإيجاز لأنه أوقعُ في الأذن. وقد قالوا: «الإعجاز في الإيجاز».

وأسلوب الإيجاز مُحكم الأداء كالسوار في اليد، لا يجوز الإخلال به، كما لا يجوز إنقاص حلقة من السوار. وإلا اعترى الأسلوب خلل وحذف وغموض. فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199] تجد أن المعاني الكثيرة احتوتها هذه الكلمات الست؛ فلا أنت قادر على حذف كلمة، ولا تشعر بأي غموض.

وانظر إلى قول النبي ﷺ: «لا يُلدغ المؤمن من جُحرٍ مرتينِ» تَرَ أن معاني رحبة وراء هذه الكلمات القليلة، فالمعاني واضحة جلية، والألفاظ أدَّت وظيفتها تماماً. وهذا هو الإيجاز. ومثله قوله: «إنما الأعمالُ بالنيَّات». ومثله قول الأحنف بن قيس: «مَن لم يصبرْ على كلمةٍ يسمعْ كلمات». وهذا عين الإيجاز.

فإن أخلَّ المتحدث باللفظ أو المعنى، خرج الكلام الموجز إلى الغموض، وضعُفت عنده الحذاقة، كقول عُروة بن الورد:

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسَهم ... ومَقْتَلُهم عند الوغَى كان أعذرا

---

(1) أولج: أكثر دخولاً.

ففي هذا البيت إيجاز، لكن براعة الشاعر أنقصتْ من المعنى؛ إذ كيف يقتلون نفوسهم؟ ومتى؟ فجاء المعنى ناقصاً، وحقُّه أن يقول في الصدر: «إذ يقتلون نفوسهم في السلم» فيستقيم المعنى ويكتمل الإيجاز.

ومثله قولُ الحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُري:

والعيشُ خيرٌ في ظِلا لِ النَّوك ممَّن عاش كدّا[1]

فأنقص الشاعر مراده لأنه أنقص من كلامه، وكان يريد أن يقول: «إن العيش الرغيد»، كما أنه أفقد كلام الإيجاز بالتقديم والتأخير مما عقَّد المعنى.

أقسام الإيجاز:

قسم البلاغيون الإيجاز قسمين: إيجاز قِصَر، وإيجاز حذف.

أ- إيجاز القِصَر: ويكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف. أو هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ، ولا يقدَّر فيه محذوف، لأن الأقدار تتفاوت فيه. ويسمى «إيجاز البلاغة».

كقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، فقد جمعت الآية مكارم الأخلاق الإسلامية، وضمَّت المعاني الجليلة كالصفح عمّن أساءَ، والأمر بالمعروف، وعفّة اللسان، والترفع عن الجاهلين. فالمعاني كثيرة والألفاظ قليلة ولا يمكن حذف شيء منها، وهو إيجاز البلاغة.

واشتهر رسول الله ﷺ بإيجاز القِصَر، فتراه يستخدم أقل الألفاظ المحمَّلة أكثر المعاني، كقوله: «الضعيفُ أميرُ الركب»[2]. فقد استوعبت هاتان الكلمتان مجمل المقصود. وحين سمع عبد الله بن عمر ﷺ هذا الحديث قال: «مَن بقيَ له شيء فليطلبْهُ».

---

(1) النَّوك: الحمق.

(2) الركب: جماعة المسافرين.

ويعدُّ إيجاز القِصَر مطمح البلغاء وأمل الحكماء، وبرع كثير منهم به، وفات بعضهم الأداءَ السليم به. وقد سئل أحدهم عن معنى البلاغة فقال: «البلاغة هي إيجاز القصر».

ب- **إيجاز الحذف**: ويكون بحذف شيء من العبارة من غير أن يخلَّ بالمعنى المقصود، مع وجود قرينة لفظية أو معنوية تدل على المحذوف.

وقد يكون المحذوف حرفاً، أو أداة، أو اسماً، أو فعلاً. وفيما يلي نماذج من المحذوفات في الإيجاز:

1- **حذف حرف**: كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20] [1]. فأصل الفعل «أكن»، وقد أجازوا حذف النون إذا جاء بعدها فتح.

ومثله قول أبي مِحْجَن الثقفي:

رأيتُ الخمرَ صالحةً وفيها ... خصالٌ تُفسد الرجلَ الحليما

فلا واللهِ أشربُها حياتي ... ولا أسقي بها أبداً نديما

فقد حذف الشاعر «لا» النافية، وكمال الجملة «لا أشربها حياتي»، والدليل على حذفها «لا» في العجز المعطوفة عليها.

2- **حذف أداة الشرط**، وذلك في الجملة المجزومة بجواب الطلب، مثل: «ادرس تنجَحْ»، وأصل الجملة «ادرس فإن تدرس تنجحْ». أو نحو قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]. أي فإن تتبعوني يحبِبْكم الله.

3- **حذف كلمة**، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22] وقد حذف كلمة «أمرُ» بعد «جاء». والقرينة دلت عليه.

---

(1) بغياً: فاجرة تبغي الرجال. وإعراب أكُ: فعل مضارع ناقص مجزوم، وعلامة جزمه السكون الظاهر على النون المحذوفة.

4- حذف جملة، كما في قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [آل عمران: 213]. حذف منها جملة، وكمالها: «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله.. ». ودلت القرينة على المحذوف، فلا ضرورة لذكرها ما دامت القرينة دالة عليها.

إلى غير ذلك من المحذوفات غير المعيبة في الأسلوب أو في المعنى، اختصاراً على القارئ، وتسهيلاً لحفظه، وتحصيلاً للمعنى الكثير باللفظ القليل.

على أن الأدباء يميلون إلى الإيجاز في التعجب، والمدح، والذم، والشكوى، والحكم، والتوقيعات، والعتاب، والتوبيخ..

نماذج محلولة من الإيجاز

بَيِّن نوع الإيجاز مما يلي:

1- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ ﴾ [الأنعام: 82].

2- ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ [الأعراف: 54] (1).

3- ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ [البقرة: 179].

4- ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ [الحج: 78].

5- ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: 85].

6- ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ [آل عمران: 106].

7- قال المتنبي:

أتَى الزمانَ بنوهُ في شَبيبتِهِ ... فسرَّهُمْ وأتَيناهُ على الهَرَمِ

8- قال السموءل:

وإنْ هو لم يحملْ على النفس ضَيمَها ... فليس إلى حسن الثناءِ سبيلُ

---

(1) الأمر: التدبير والتصرف.

قال حاتم الطائي:

9- أماويُّ ما يُغْني الثراءُ عنِ الفتى   إذا حشرجَتْ يوماً وضاقَ بها الصدرُ

حلّ النماذج

1- في الآية إيجاز قصر، لأن كلمة «الأمن» تتضمن كل أمر محبوب وخير، فلا خوف من الظلم، أو الفقر، أو غيرهما.

2- في الآية إيجاز قصر. فقد ضمت الكلمتان كل ما يطمح إليه المؤمن من تدبير الله وتصرفه في حياته.

3- في الآية إيجاز قصر. فقد ضمت معاني غزيرة بألفاظ قليلة، واستنتج الإنسان من هذه الآية عبرة؛ وهي أنه من يَقتل يُقتل. وفي ذلك ضمان لحياته وحياة غيره.

4- في الآية إيجاز حذف؛ فقد حُذف منها كلمة وهي: «في سبيل الله»، فلم يخلَّ المعنى والقرينة دلت على المحذوف.

5- في الآية إيجاز حذف؛ فقد حُذف منها «لا» النافية، أي «تالله لا تفتأ تذكر يوسف» أي لا تزال. والقرينة دلت على النفي، وهذا أسلوب من أساليب العرب. وانظر بيت أبي محجن الثقفي.

6- في الآية إيجاز حذف؛ حُذف فعل «فيقال أكفرتُم بعد إيمانكم»، والمعنى والقرينة يدلان على الفعل، لأن «أمّا» الشرطية تحتاج إلى جواب شرط ومعه الفاء الواقعة في جوابه.

7- في بيت المتنبي إيجاز حذف لجملة كاملة هي «وأتيناهُ على الهرم فساءنا». يقول الشاعر: جاء بنو الزمان من الأمم السالفة في حداثة الدهر فسرَّهم، ونحن أتيناه وقد هرم الزمان، فلم يبقَ عنده ما يسرُّنا به».

8- في بيت السموءل إيجاز قصر؛ فقد اشتمل على صفات حميدة عديدة مع ألفاظ قليلة زهيدة، تدل على فصاحة الشاعر وبراعته.

9- في بيت حاتم إيجاز حذف لكلمة؛ يريد أن يقول: إذا حشرجتِ النفسُ يوماً. وقد دل عليها ضيق الصدر.

الحكم وجوامع الكلم:

عُرف عن العرب منذ الجاهلية أقوالٌ مأثورة وحكم وأمثال، أقلُّ ما توصف به أن الفصحاء والبلغاء برعوا في سبكها، وأتوا بما هو غاية في الإيجاز والإعجاز. وبلغ القرآن الكريم الغاية في الإيجاز وجوامع الكلم. وكان النبي ﷺ خيرَ من ينطق الضاد ويأتي بالحكم والأقوال المأثورة.

وفيما يلي جوامع الكلم من القرآن، والحديث، والحكم، والأمثال، نماذج من هذا الإيجاز.

من القرآن الكريم:

- ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

- ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94]. يقول الثعالبي: «ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها.

- ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة: 228]. وهو كلام يتضمن جميع ما يجب على الرجال من حُسن معاشرة النساء وصيانتهنَّ، وإزاحة عللهنَّ.. وجميع ما يجب على النساء من طاعة الأزواج وحسنِ مشاركتهم وطلب مرضاتهم.

- ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]. تضمنت تلك الكلماتُ القصيرة معاني القصة الطويلة. وهذه صفة اعتزالهم لجميع الناس، وتقليبهم الآراءَ ظهراً لبطن..

- ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: 25].

- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164].

من الحديث الشريف:

- «الناسُ كإبلٍ مئةٍ لا تكادُ تجدُ فيها راحلةً». أي يتعذر وجود صاحبِ فضل في الناس كما يتعذر وجود ناقة قديرة على السير في الإبل المئة.
- «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً».
- «المؤمنُ مرآةُ أخيه».
- «صدقةُ السرِّ تُطفئ غضب الرب».
- «الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر».
- «الحكمةُ ضالَّة المؤمن».
- «الخمرُ مفتاحُ كلِّ شر».

من الأقوال المأثورة:

- قال عمر ﷺ: «مَن كتمَ سرَّه كان الخيارُ بيده».
- وقال: «أبتِ الدراهمُ إلا أن تُخرج أعناقها».
- قال عثمان ﷺ: «تاجِروا اللهَ بالصدقة تربحوا».
- قال علي ﷺ: «قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسن».
- وقال: «المرءُ مخبوء تحت لسانه».
- وقال: «بالبرِّ يُستعبدُ الحرُّ».
- قال ابن عباس: «الهوى إلهٌ معبود».
- قال مُعاذ بن جبل: «الدَّين هدمُ الدِّين».
- قال الشعبي: «كانت دِرَّةُ عمرَ أهيبَ من سيف الحجاج».

من الحكم والأمثال:

- «يأتيك بالأخبار من لم تزوِّد».
- «كلُّ آتٍ قريبٌ».

- «أدبُ المرء خيرٌ من ذهبه».
- «أكَلَ عليه الدهرُ وشربَ».
- «لأمرٍ ما جدَع قَصيرٌ أنفَه».

هذه نماذج معدودة من جوامع الكلم التي صُبَّت بقالب الإيجاز والإعجاز، والأمثلة كثيرة في كتب الأدب.

ثالثاً- الإطناب[1]: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة مقصودة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عمّا هو متعارف عليه عند البلغاء، لتقويته، وتوضيحه، وتوكيده. نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4]. فإن قوله تعالى: «وهن العظمُ مني» إيجاز قِصر غاية في البلاغة، ويتضح منه أنني كبرتْ سني. وحين أتبع ذلك بقوله: «واشتعل الرأس شيباً» استعارة إطناب لفائدة هي التوضيح والتوكيد.

أو قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر: 4]، فإن قوله تعالى: «والروحُ فيها» زيادة لتقوية المعنى؛ لأن الروح هو جبريل عليه السلام، وجبريل من الملائكة، داخل في عموم اللفظ.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سُمي «تطويلاً» إن كانت الزيادة في الكلام غير متعيِّنَة، كقول عنترة بن شداد:

حُيِّيتَ من طللٍ تقادمَ عهدُهُ   أقوى وأقفرَ بعدَ أمِّ الهَيْثمِ[2]

فإن الشاعر ذكر «أقفر» بعد «أقوى» وكلاهما بمعنى واحد هو «خلا»، فذكره لها تطويل. والعرب تكرِّر إذا اختلف اللفظان، وإن كان المعنى واحداً. ومنه قوله تعالى:

(1) الطُّنُب: حبل طويل يشدُّ به سُرادق البيت.

(2) الطلل: ما شخصَ من بقايا الدار والخيمة.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]. والشرعة والمنهاج بمعنى واحد، لكنه أتى بالثانية توكيداً للأولى.

وتسمى الزيادة «حَشواً» إن كانت متعينةً، كما في قول زهير بن أبي سُلمى:

وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلَهُ ... لكنني عن علمِ ما في غدٍ عَمي

والمعنى: ما مرَّ بي من اليوم والأمس فأنا عالم به لأني قد رأيته. إلى هنا نفهم ما عناه الشاعر، وحين قال: ولكني عن علم غد أنا جاهل بها في غد، إطناب نوعه الحشو، لا حاجة إليه.

وكل من التطويل والحشو معيب في البلاغة.

أنواع الإطناب:

أنواعه كثيرة، ويقع في أمور منها:

1- **ذكر الخاص بعد العام** للتنبيه على فضل الخاص، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: 238]، وفائدته التنبيه على خصيصة معينة وفضل في الخاص، حتى يبدو كأنه جزء آخر أعلى من الأول. فقد ذكر الله تعالى الصلوات كلها، ثم خصّ الصلاة الوسطى (وهي صلاة العصر) بالذكر بعدها لزيادة فضلها.

ومثلها في الحكم الآية الكريمة الآنفة الذكر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾. ومع أن جبريل من الملائكة، فإنه تعالى خصه بالذكر لزيادة فضله ومزيَّته على الملائكة.

2- **ذكر العام بعد الخاص**: لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص، نحو قوله تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: 28].

فقد ذكر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات، وهما لفظان عامّان يدخل في عمومهما مَن ذُكر قبل ذلك. وفائدة هذه الزيادة شمول بقية الأفراد، مع العناية بالخاص لذكره مرتين؛ مرةً وحده، ومرةً مندرجاً تحت العامّ.

3- **الإيضاح بعد الإبهام:** لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين؛ مرةً على سبيل الإبهام والإجمال، ومرةً على سبيل التفصيل والإيضاح، كقوله تعالى: ﴿ **وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ** ﴾ [الحجر: 66] [1].

إن قوله تعالى: «أنَّ دابرَ هؤلاء مقطوع مصبحين» إيضاح للإبهام الذي تضمَّنه لفظ «الأمرَ»، وذلك زيادة تقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين؛ مرةً على طريق الإجمال والإبهام، ومرةً على طريق الإيضاح والتفصيل. وفائدة الإيضاح توجيه الذهن إلى معرفته، وتفخيم شأن المبيَّن، وتمكينه في النفس. فجاء «الأمر» مبهماً، ثم أوضحه تهويلاً على الكافرين لأمر العذاب.

وكقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ فبدأ بالإبهام، ثم أتبعه بقوله تعالى: ﴿ **تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ** ﴾ لتقرير المعنى في ذهن السامع وزيادته شرفاً.

4- **التكرار لداعٍ معين:**

أ- **للتأكيد**، كقوله تعالى: ﴿ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾. فكرّر الآية لإثبات المعنى في النفس.

ب- **لطول الكلام**، كقول عنترة:

يدعونَ عنترَ والرماحُ كأنها ... أشطانُ بئرٍ في لَبانِ الأدهمِ [2]

يدعونَ عنترَ والسيوفُ كأنها ... لمعُ البوارقِ في سحابٍ مظلمِ

فكرّر الشاعر «يدعون عنتر» لبعد الكلام بين البيت الأول والبيت الثاني.

ج- **لقصد الاستيعاب**، كقولك: قرأتُ القرآن آيةً آيةً.

---

(1) قضينا إليه: أوحينا إليه. دابر هؤلاء: آخرهم، والمراد: جميعهم.

(2) أشطان بئر: حبالها. لبان الأدهم: صدر الفرس الأسود. والبيت الثاني على إحدى الروايات.

د- **الإشادة بمقام المخاطَب**، نحو: أنتَ الكريمُ ابنُ الكريم ابنِ الكريم عمر بن الخطاب.

5- **الاعتراض**، لغرض يقصده المتكلم، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في الجملة. والجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب. ويجب أن يكون لها غرض بلاغي عند الأديب كتفصيل أو دفع إبهام.

قال النابغة الجَعْدي:

ألا زعمتْ بنو سعد بأني - ألا كذبوا - كبيرُ السن فاني

فقد ذكر الشاعر الاعتراض «ألا كذبوا» بين اسم أنَّ وخبرها للإسراع إلى التنبيه على كذبهم.

أو قول عَوف بن محلِّم الشيباني:

إنَّ الثمانينَ - وبُلِّغْتَها - قد أحوجتْ سمعي إلى تَرْجُمانِ[1]

فالشاعر يوجّه خطابه إلى السامع بأنه بلغ الثمانين، ولعله يعيش مثله.

6- **التذييل**: وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً لها.

والتذييل قسمان:

أ- قسم جرى مجرى المَثَل، إن استقَلَّ معناه واستغنى عمّا قبله، كقول الشاعر الحطيئة:

تزورُ فتًى يُعطي على الحمدِ مالَهُ ومن يعطِ أثمانَ المحامدِ يحمدِ

فجاء الشطر الثاني تذييلاً للجملة في الشطر الأول للتأكيد. وهذا التذييل مستقلٌّ بمعناه لا يتوقف فهمه على فهم ما قبله. وهذا ما يقال له: تذييل جرى مجرى المثل.

ومثله قول طرفة بن العبد:

---

(1) **بُلغتها: بَلَّغك الله إياها.**

كـــلُّ خليـــلٍ كنـــتُ خالَلْتُـــه لا تـــركَ اللهُ لـــه واضِـــحَهْ[1]
كلُّهـــم أروغُ مـــن ثعلـــبٍ مـــا أشـــبه الليلـــةَ بالبارحَـــهْ!

فالبيت الثاني جرى مجرى المثل، مستقلاً بمعناه، مستغنياً عمّا قبله في الفهم.

ب-غيرُ الجاري مَجرى المثل إن لم يستغنِ عمّا قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد. كقول النابغة (وليس مذكوراً في ديوانه):

لم يُبـقِ جـودُك لـي شـيئاً أؤمِّلُـه تـركْتَني أصـحبُ الـدنيا بـلا أمـلِ

فأتى الشاعر بالشطر الثاني مؤكداً لما جاء في الشطر الأول، غير مستقلٍّ عنه في المعنى، ولهذا لم يجرِ مجرى المثل.

7- **الاحتراس**: ويكون حينما يأتي المتكلم بمعنىً يُمكن أن يدخُلَ عليه فيه لومٌ، فيفطِن المتكلم لذلك، فيأتي بما يخلِّصُه من هذا اللوم. ويقال لهذا الاحتراس «التكميل»، أي يكمل كلامه بغاية إصلاحه، وكي يدفع عنه الوهم. كقول طرفة بن العبد:

فـسقَى ديـارَك، غـيرَ مُفْـسِدِها صَـوْبُ الربيـع وديمـةٌ تَهمـي[2]

فالشاعر دعا للممدوح بالسُّقيا، وخاف أن تكون السقيا (المطر) غزيرة تفسدُ دياره، فاحترس من هذا الوهم فقال: «غير مفسدها».

وكقول ابن المعتز يصف فرساً:

صَـبَبْنا عليهـا، ظـالمين، سـياطَنا فطـارت بهـا أيـدٍ سِـراعٌ وأرجُـلُ

أبدع الشاعر باحتراسه عندما ذكر «ظالمين» حتى يُبعد توهُّم السامع من أن الفرس بليدة بطيئة الحركة، فاضطر إلى جعل سياطهم جَوراً على الفرس، في حين أنها سريعة بطبعها. وهذه الزيادة تسمى احتراساً. والاحتراس قد يأتي في أول الكلام، أو في وسطه، أو في آخره.

---

(1) قاله وهو في السجن يلوم أصحابه على تخاذلهم عنه. واضحة: يقصد سنّاً واضحة، وهي التي تبدو عند الضحك. أروغ: أكثر خداعاً من الثعلب.

(2) الصوب: المطر. الديمة: السحاب يدوم مطره. تهمي: تهطل.

واعلم أن بعض الأدباء يرجّح الإطناب لأنه إسهاب بالشرح، وإشباع بالبيان، وزيادة في إفهام المعاني. ونرى أن للإيجاز موضعه، وللإطناب موضعه. وكلٌّ في مقامه جميل.

تدريبات على الإيجاز، والمساواة، والإطناب

حدِّد مما يلي نوع الأساليب الواردة، وأغراضها:

1- قال طرفة:

سَتُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك بالأخبارِ مَن لم تزوِّدِ[1]

2- قال سُحيم بن وَثيل:

أنا ابنُ جَلا وطلاّعُ الثنايا ... متى أضعِ العِمامةَ تَعرفوني[2]

3- قال الحطيئة:

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ ... وهندٌ أتى من دونها النأيُ والبعدُ[3]

4- قال النابغة الذبياني:

فإنك كالليل الذي هو مُدركي ... وإنْ خلتُ أن المنتأى عنك واسِعُ[4]

5- للهِ لذةُ عيشٍ بالحبيبِ مضتْ ... ولم تدُمْ لي وغيرُ اللهِ لم يَدُمِ

6- قال امرؤ القيس:

فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعداً ... ولو قَطعوا رأسي لديكَ وأوصالي[5]

---

(1) لم تزوِّد: لم تعطِ الزاد، والزاد: طعام المسافر.

(2) ابن جلا: ابن رجلٍ جلا وكشف. طلاع الثنايا: طلاع الأنجد. أضع: أزيح.

(3) النأي والبعد واحد.

(4) المنتأى: موضع البعد، وهو اسم مكان.

(5) أبرح: لا أبرحُ. الأوصال: ج وصل وهو كل عضو ينفصل من الآخر.

7- قال أبو تمام:

ولـو صـوَّرتَ نفسَك لم تَزِدْهـا   علـى مـا فيـك مـن كـرمِ الطبـاعِ

8- أمرتُك الخيرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ به   فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نشبِ[1]

9- قال كعب بن سعد الغَنَوي في رثاء أخيه:

حليمٌ إذا ما الحلـمُ زينٌ لأهلـهِ   مـعَ الحلـمِ في عـينِ العـدوِّ مَهيـبُ

10- قال طرفة:

فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ مَنِيَّتي   فذَرْني أبادِرْهـا بمـا ملكتْ يدي[2]

11- قال لبيد بن ربيعة:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ   وكـلُّ نعـيمٍ لا محالـةَ زائـلُ

12- ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: 12][3].

13- ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79].

14- ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى: 9].

15- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31].

16- ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: 8].

17- ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: 71].

18- وقَّع الرشيدُ إلى صاحب خراسان: «داوِ جرحَك لا يَتَّسع».

19- وقال بعد نكبة البرامكة: «أنبتَتْهم الطاعةُ وحَصَدتْهم المعصية».

---

(1) النشب والمال واحد.

(2) المنية: الموت. تسطيع: تستطيع. ذرني: دعني.

(3) جيبك: فتحة قميصك. بيضاء: نيِّرة. غير سوء: غير داء البرص.

الفصل الثالث
علم البيان

علم البيان

البيان لغةً واصطلاحاً:

البيان لغةً: الكشف، والإيضاح، والظهور. وفعله لازم ومتعدٍّ بحسب الاستعمال؛ فتقول: بَيَّنْتُ الشيءَ، إذا أوضحتَه وكشفته. وبان الشيءُ: وضح وظهر.

والبيان اصطلاحاً: اسم لكل ما يكشف بيان المعنى بهدف حصول السامع على حقيقة ما يقال له، فهو طريقة لإفهام السامع عمّا يقوله القائل. وإذا اعتنى القائل بقوله أدّاه أداءً فنياً عن طريق التشبيه، والاستعارة، والكناية، بناءً على أصول وقواعد.

فالبيان: اجتماع وضوح المعنى مع وضوح اللفظ، يؤدَّيان بمنطق فصيح معرب عمّا في الضمير.

وعلم البيان: علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيبَ مختلفة لتوضيح المقصود، وغرضه تحصيلُ مَلكة الإفادة بالدلالة العقلية والصور الموحية. وبعض ظواهره عقلي، وبعضها وجداني ذوقي.

وهو استحضار المعنى للنفس بسرعة الإدراك، والكشف عن المعنى الجميل الجديد حتى تدركه النفس من غير قلَّة عَقْلة[1]. فإن كان في الكلام تعقيد لم يستحق اسم بيان. وأجودُ البيان ما كان موجزاً ومكتفياً بألفاظه، كقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾.

---

(1) العقلة: اعتقال اللسان.

ويكون البيان في الشعر كما يكون في النثر. قال الجاحظ: «أجودُ الشعر ما رأيته متلاحمَ الأجزاء، سهلَ المخارج. فتعلم أنه أُفرغَ إفراغاً واحداً، وسُبك سبكاً واحداً. فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان».

وصاحب البيان هو المتمكن من اللغة، وصاحب المعاني الغزيرة، ذو المقدرة على التجديد في التعبير، وصانع الصورة والخيال، ومن يستطيع أن يؤدي مطلوبه بأساليب مختلفة مع جمال ووضوح.

وهو من أراد التعبير عمّا في خَلَده (خاطره)، فاختار له أجمل فنون القول، وألطف ثوب أسلوبي، كي يوشح به المعنى الذي يريد، فيصيب الأديب هدفه، وهدفُه إعجاب القارئ بما يقوله. والأديب صاحب البيان يستطيع بمعرفته لهذا العلم أن يُبرز المعنى الواحد بصور مختلفة، وتراكيب متفاوتة، تَتَّسم بالجمال.

فإذا قال: «تأخرتْ حبيبتي اليومَ» كان كلاماً أدبياً، لكنه خالٍ من الصورة الإبداعية. فإن قال «تأخرَ قمري اليوم» كان استعارة، وإن قال: «تأخرت حبيبتي كالقمر اليوم» كان تشبيهاً، وإن قال: «حبيبتي قمر» كان تشبيهاً آخر. فترى أن المعنى واحد لكن الصور مختلفة.

وإذا كانت هذه صفات البيان فإن سماعه يلذّ، واحتماله يخفّ، وفهمه يقرب، ونطقه يعذب. وإن لم يكن البيان هذه صفاته ثَقُل على اللسان، ومجَّته الآذان.

وعلم البيان أقدمُ علوم البلاغة، وواضعه أبو عُبيدة مَعمر بن المثنَّى، وتبعه الجاحظ، وقدامة، وابن المعتز.. واكتمل عند عبد القاهر الجرجاني في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»[1].

وعلم البيان هو الصور والتشابيه والاستعارات والكنايات، ممّا يحلو به كلام الشعراء والناثرين. ولكل فن من فنونه أقسام وأنواع. وسندرس في هذا الفصل أهمَّ

(1) هذا الكتاب من تحقيقنا.

هذه الفروع، ونحلّل أمثلة عديدة، ونشرح نماذج متفرقة، كي يسهل على الطالب فهم هذا العلم ومعالجة ما يقرأ من نصوص. كما سنذكر شواهد قرآنية وشعرية ونثرية تدريباتٍ للطالب يقوم فيها بنفسه.

المبحث الأول: التشبيه وأنواعه



التشبيه صورة جمالية يستنبطُها الأديب لبيان المعنى وتقريبه من السامع. وهو ذو مجال واسع وصور رحبة، يستلهمه الشاعر والناثر لتوضيح فكرته، وتجميل عبارته، وترسيخ هدفه. يربط به الأديب بين الصفة والموصوف ليس لإظهار الصورة الجمالية وحسب، بل لتقريب مقصوده وشرح مراده.

والتشبيه لغةً: التمثيل؛ أي تمثيل شيء بشيء آخر كي يتوضح الموصوف. والتشبيه اصطلاحاً: أسلوب فني يستخدمه القادر على الأداء البياني، ليقرب الصورة عن طريق المماثلة.

فالشاعر عمرو بن كلثوم يريد أن يبيّن لممدوحه الملك أنه أعلى مقاماً من سائر الملوك، فانتزع صورة من السماء تجمع الليل والنهار، وتُبرز أجمل الشموس والكواكب. وهم يعرفون أن الشمس هي التي تنير الكون وسبب إشعاع الكواكب ليلاً، فجعل ممدوحه شمساً والملوك الآخرين كواكبَ دونه، فقال:

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وإذا أراد المتكلم أن يصف صديقه بالشجاعة قال: «صديقي بطل». لكنه إن أراد استخدام صورة أوقع في النفس قال: «صديقي أسد». وسيفهم السامع أنك ماثلته بالأسد في القوة والشجاعة. فأنت صدقت في الجملتين، لكن الجملة الأولى كانت عادية، والجملة الثانية تحتاج إلى عقل يقارن بين ما تريد قوله وما تُصوّره. وهذا هو التشبيه.

أركان التشبيه:

ولا يصح أن نجعل جملة تشبيهاً ما لم ندرك أركانه. فللتشبيه أربعة أركان هي:

1- **المشبه:** وهو الشيء الذي يراد تشبيهه وإلحاقه بغيره (وهو الموصوف).

2- **المشبه به:** وهو الشيء الذي تصف به المشبه (وهو الصفة).

ويطلَق على هذين الركنين (المشبه والمشبه به) طرفي التشبيه، نحو: محبوبتي كالقمر في الجمال.

فالمشبه هو «محبوبتي»، و«القمر» هو المشبه به. ولا بد من وجود هذين الركنين حتى تكتمل الصورة.

3- **أدوات التشبيه:** هي ألفاظ تُستخدم في الجملة لتدل على التشبيه والمماثلة. وهي أدواتُ وصل بين ركني التشبيه: المشبه والمشبه به. وأدوات التشبيه بعضها أسماء، وبعضها أفعال، وأمُّ الأدوات هي الكاف.

ومن الأدوات: كأنَّ، مثل، شبه، شبيه، مشابه، يشابه، يحكي، يضاهي، يضارع، يماثل، يساوي. وأسماء فاعل هذه الأفعال.

وقد تكون هذه الألفاظ مذكورة أو غير مذكورة، نحو: أنتَ مثلُ حاتمٍ في الكرم. أنتَ حاتمٌ في الكرم.

والسياق يحدِّدها. والأصل في «الكاف» و«مثل» أن يليهما المشبه به، نحو: أنت كالأسد، أو مثل الأسد. كما أن الأصل في «كأن»، و«شابه»، و«ماثل»، وما يرادفها أن يليها المشبه، كقول السريّ الرفّاء:

كأن الثريا راحةٌ تَشبُرُ الدُّجى ... لتنظُرَ طالَ الليلُ أم قد تعرَّضا[1]

فكأن أداة التشبيه، والثريا مشبه.

---

(1) تشبر: تقيس بالشبر. تعرَّض: أبدى عُرضه أي جانبه.

4- **وجه التشبيه:** هو الوصف المشترك بين المشبه والمشبه به، ويجب أن يكون في المشبه به أقوى من المشبه. وقد يحذف وجه الشبه (كالأداة)، وله قواعد سيأتي شرحها في تشبيه البليغ.

فقولنا: محبوبتي كالقمر في الجمال، كان (في الجمال) وجه الشبه.

وأنت مثلُ حاتم كرماً، كان (في الكرم) وجه الشبه.

وإذا ذكر وجه الشبه كان التشبيه مُفَصَّلاً، نحو: يدك كالفرات سخاءً، فإنه تشبيه مفصل إذ فُصّل فيه وجه الشبه (سخاءً). وإذا قصرتَ تشبيهك على المشبه والمشبه به من دون وجه الشبه ولا الأداة كان تشبيهاً بليغاً، كما سيأتي.

فأركان التشبيه: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه أربعة.

نماذج محلولة على أركان التشبيه الأربعة

1- قال النابغة الذبياني يعتذر للنعمان:

فإنك كالليلِ الذي هو مُدركي ... وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسع[1]

2- قال المعري يصف الليل:

ربَّ ليلٍ كأنه الصبحُ في الحسْـ ... ـنِ، وإنْ كانَ أسودَ الطيلسانِ[2]

وسُهيلٍ كوجنةِ الحِبِّ في اللوْ ... نِ، وقلبِ المحب في الخفقانِ[3]

3- قال الشاعر مادحاً:

أنت كالبحر في السماحة والشمْـ ... ـسِ عُلُوّاً والبدرِ في الإشراقِ

4- قال الشاعر متغزلاً:

أنتِ كالوردةِ لمساً وشَذًى ... جادَها الغيثُ على غصنٍ نَضِرْ

---

(1) المنتأى: المكان البعيد.

(2) الطيلسان: كساء أخضر واسع.

(3) الحِب: المحبوب. سهيل: اسم كوكب.

5- قال ابن المعتز:

وأرى الثريا في السماءِ كأنها ... قدمٌ تبدَّتْ في ثيابِ حدادِ

6- قال المتنبي مادحاً:

كالبدرِ من حيثُ التفتَّ رأيْتَه ... يُهدي إلى عينيْكَ نوراً ثاقبا[1]

حل النماذج

الرقم	المشبه	الأداة	المشبه به	وجه الشبه
1	الكاف في كأنك	الكاف	الليل	مدركي
	الليل	كأن	الصبح	في الحسن
	سهيل	الكاف	الحِب	في اللون
2	سهيل	الكاف (بالعطف)	المحب	في الخفقان
	أنت	الكاف	البحر	في السماحة
3	أنت (مستتر)	الكاف (بالعطف)	الشمس	علواً
	أنت (مستتر)	الكاف (بالعطف)	البدر	في الإشراق
4	أنتِ	الكاف	الوردة	لمساً وشذى
5	الثريا	كأن	قدم	الظهور بمظهر الفساد
6	هو (مستتر)	الكاف	البدر	إهداء النور

(1) ثاقباً: منيراً.

تدريبات

اصنع جدولاً كجدول النموذج، تضع فيه أداة التشبيه، والمشبه، والمشبه به، ووجه الشبه. واذكر المحذوف من الأركان الأربعة ممّا يلي:

1- قال المثقِّب العبدي:

فسلِّ الهمَّ عنك بذات لَوْثٍ ... عُذافرةٍ كمطرقةِ القيونِ[1]

2- قالت الخنساء ترثي أخاها:

كأنَّ عيني لذكراهُ إذا خطرتْ ... فيضٌ يسيلُ على الخدَّين مدرارُ

3- أعوامُ إقبالِهِ كاليومِ في قِصَرٍ ... ويومُ إعراضه في الطول كالحِجَجِ[2]

4- العشقُ كالموت يأتي لا مردَّ له ... ما فيه للعاشقِ المسكين تدبيرُ

5- قال المتنبي:

كالبحر يقذفُ للقريب جواهراً ... جُوداً، ويبعثُ للبعيدِ سحائبا

6- وكن كالشمس تظهرُ كلَّ يومٍ ... ولا تكُ في التغَيُّبِ كالهلالِ

7- أنتَ عندي كليلة القدر في القدرِ، ... ولكنْ لا تستجيبُ دعائي

أقسام التشبيه من حيث أركانه:

إذا ذُكر المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه في الجملة، ولم يحذف منه شيء، قيل للتشبيه «تام الأركان». ومع أن هذا التشبيه جامع لكل أركانه، لم ينقصه شيء، فإنهم قالوا: إن التشبيه التام الأركان أضعف أقسام التشبيه، نحو: الفتى كالنمر في القفز.

---

(1) ذات لوث: ناقة قوية. عذافرة: شديدة. القيون: الحدادون، واحدهم قين.

(2) الإقبال: السعادة والحظ. الحجة: السَّنة.

فقد ذُكرت في الجملة أركان التشبيه كلها؛ فالفتى مشبه، وأداته الكاف، والمشبه به النمر، والرابط بين المشبه والمشبه به، والذي أسميناه «وجه الشبه» موجود هو القفز.

فلم يترك المتكلم للسامع أمراً يفكر فيه بعقله، أو يتصوره بخياله. ولهذا قالوا: إن التشبيه التام أضعف التشابيه.

وقد قسم البلاغيون التشبيه من حيث أركانه إلى خمسة أقسام؛ اثنين بالنسبة إلى الأداة، واثنين بالنسبة إلى وجه الشبه، والخامس لكليهما.

أ- بالنسبة إلى الأداة:

1- تشبيه مرسَل: تُذكر فيه الأداة، نحو: أنت كالماء صفاءً.

2- تشبيه مؤكَّد: تُحذف منه الأداة، نحو: أنت ماء صفاءً.

ب- بالنسبة إلى وجه الشبه:

3- تشبيه مفصَّل: يُذكر فيه وجه الشبه، نحو: أنت كالبحر في السخاء.

4- تشبيه مُجْمَل: يُحذف منه وجه الشبه، نحو: أنت كالبحر.

5- تشبيه بليغ: وهو ما حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، نحو: أنت أسد، أنت بحر.

وهو أرقى أقسام التشبيه، إذ يتماثل فيه المشبه بالمشبه به، وهو أقوى التشابيه لأنه يحتاج إلى إعمال الفكر، وأدعى إلى تأثر النفس بالصورة، حتى ليظنُّ السامع أن طرفي التشبيه متحدان.

أنواع التشبيه البليغ:

وللتشبيه البليغ أنواع أخرى، لكنها لا تخرج عمّا ذكرنا، من ذلك:

1- المصدر المضاف المبيِّن للنوع، نحو:

راغَ الكذوبُ رَوَغان الثعلبِ

أقدم الجنديُّ إقدام الأسدِ

فرَوغان وإقدام مصدران (مفعولان للمطلق) أضيفا إلى المشبه به، وأصل التشبيه: الكذوب ثعلب، والجندي أسد.

2- إضافة المشبه به إلى المشبه، نحو: لبس فلانٌ ثوبَ العافية.

فالمشبه به هو «العافية»، و«ثوب» المشبه، وأصله: العافيةُ ثوبٌ. لكن المتكلم أراد إسباغ صورة فنية جميلة، فلعب بالصورة وبالغ بها.

3- مجيء المشبه به حالاً، نحو: حمل القائد على أعدائه أسداً.

وأصل الصورة التشبيهية: القائد أسد، لكنه جعل المشبه به حالاً، لأن أداءها أشدُّ وقعاً في السامع.

نماذج محلولة على التشبيه البليغ

1- قال أحمد شوقي في رثاء عمر المختار:

تلك الصحارى غِمدُ كلِّ مهنَّدٍ ... أبلى، فأحسنَ في العدوِّ بلاءَ

قوله: «الصحارى غمدُ» تشبيه بليغ؛ إذ شبّه الصحارى بغمد السيف، وحذف الأداة ووجه الشبه، وأبقى المشبه وهو الصحارى، وغمدَ السيف وهو المشبه به.

2- وقال فيه أيضاً:

ركزوا رفاتَك في الرمالِ لواءَ ... يستنهضُ الوادي صباحَ مساءَ

شبَّه الشاعر البطل عمر باللواء المرفرف، فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، وأبقى المشبه وهو عمر، والمشبه به وهو اللواء. ولو أن أحمد شوقي قال: عمر المختار مثلُ اللواء في الشهرة والعلَمية لكان تشبيهاً تام الأركان، وهو أضعف أقسام التشبيه. لكنه أراد صورة عقلية قوية فجعل الاثنين متشابهين؛ المشبه والمشبه به.

3- قال أحمد عبد المعطي الحجازي:

لو أنني بكفِّك نايٌ تحتَ صفصافَةْ

أوراقها في الأفق مِرْوَحَةْ

فأتى بتشبيهين بليغين؛ فقال: «إنني ناي» فحذف الأداة ووجه الشبه، وأبقى المشبه «إنني» والمشبه به «ناي». وكذلك في قوله: «أوراقها مروحة».

4- قال محمد مهدي الجواهري في الشهداء:

سلامٌ على نبعةِ الصامدينَ تعاصتْ على نبعة الكاسرِ[1]

أتى الشاعر بتشبيه بليغ بإضافة المشبه به إلى المشبه في قوله: «نبعة الصامدين»، وأصله «الصامدون نبعةٌ». ويسمى تشبيه بليغ بالإضافة، أو تشبيه بليغ إضافي.

5- قال لقيط بن يَعمر:

ما لي أراكم نياماً في بُلَهنِيَةٍ وقد ترون شهابَ الحربِ قد سَطَعا؟[2]

قوله: «شهاب الحرب» تشبيه بليغ إضافي؛ فقد أضاف الشاعر المشبه به إلى المشبه، وأصله «الحرب شهاب».

نماذج محلولة على التشبيه التام الأركان

1- قال معروف الرُّصافي:

إنْ كانَ للجهل في أحوالنا عللٌ فالعلمُ كالطب يَشفي تلكمُ العِللا

قوله «العلم كالطب» تشبيه تام الأركان؛ حيث ذكر المشبه والمشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه. فقد شبه العلم بالطب بجامع الشفاء في كل من الطب والجهل.

2- قال خليل مطران في مقتل مدحت باشا:

وأدارَ كسرى في الجماعة طرفَه فرأى فتاةً كالصباحِ جَمالا

شبّه الشاعر الفتاة بالصباح المشرق بجامع الجمال وهو وجه الشبه، والمشبه هو (الفتاة)، والمشبه به هو (الصباح)، وأداة التشبيه هي الكاف. فالتشبيه تام الأركان.

---

(1) النبعة: نوع من الشجر القاسي القوي، تصنع منه الرماح.

(2) بلهنية العيش: رخاؤه.

أي هو تشبيه مرسل لوجود الكاف، ومفصَّل لوجود وجه الشبه، كما ذكر المشبه والمشبه به.

3- **أنا كالماء إنْ رضيتُ صفاءً وإذا ما سخطتُ كنتُ لهيبا**

شبه الشاعر نفسه في حال رضاه بالماء الصافي الهادئ، وفي حال غضبه بالنار الملتهبة. وقد ذكر المشبه وهو «أنا»، وأداة التشبيه وهي «الكاف»، والمشبه به وهو «الصفاء» فالتشبيه تام الأركان. ومثله في الشطر الثاني.

4- قال ابن الرومي:

يا شبيهَ البدرِ حُسناً وضياءً ومَنالا وشبيه الغصنِ ليناً وقواماً واعتدالا

شبه الشاعر محبوبه بالبدر، وذكر وجه الشبه، وأداة التشبيه «شبيه»، فالتشبيه تام الأركان، ومثله كذلك في عجز البيت.

طرفا التشبيه:

لطرفي التشبيه دور كبير في إظهار الصورة التشبيهية بأبهى شكل. وقد رأينا أهمية طرفي التشبيه بشكل عام، وسنتوقف هنا عند جوانب أخرى:

1- **المشبه والمشبه به متعددان متواليان في بيت واحد**: فقد يحلو للشاعر أن يُكثر من التشابيه، بحيث يُورد المشبه والمشبه به صورة، ثم يتبعها بصورة تضم كذلك مشبهاً ومشبهاً به، وهكذا إلى آخر البيت.

فهذا الشاعر العَرْجي مُغرم بمحبوبته، يهوى التغنّي بجمالها، فيقول:

فالوردُ وجنتُها، والخمر ريقَتُها وضوءُ بهجتها أضوا من القمرِ

فاستخدم التشابيه البليغة؛ فجعل وجنتها حمراء كالورد، وريقها العذب خمراً مُسكراً، أما طلعتها فأبهى من القمر.

2- **طرفا التشبيه مركّبان**: قد يورد الشاعر المشبه والمشبه به مركبين بحيث لا يمكن فصمُ جزء عن الآخر، ويبدوان كهيئة واحدة حاصلة من تمازج شيئين. ولو أن الشاعر انتزع طرفاً لتهاوت الصورة واختلَّ التشبيه. من ذلك قول بشار بن بُرد:

كأنَّ مُثارَ النقعِ فوقَ رؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُهُ[1]

فقد شبه الشاعر هيئة الغبار المتطاير في ساحة الوغى، والسيوف تهتز بأيدي المحاربين، بهيئة الليل الحالك والكواكب والنيازك تتهاوى من هنا ومن هناك. فطرفا التشبيه مركبان.

أو قول الشاعر:

كأنَّ سهيلاً والنجومُ وراءَه ... صفوفُ صلاة قامَ فيها إمامها

فقد شبّه الشاعر النجم سهيلاً بالإمام في الصلاة. ولو أنه قال: كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف المصلين، لأتى بتشبيهين واهيينِ، ولضاع جمال التشبيه، لكنه جعل التشبيه مركباً، حيث شبّه سهيلاً، وهو النجم اليماني، والنجوم تضيء خلفه، بالإمام وهو يؤمُّ المصلين. فجاء التشبيه مركباً غاية في الصورة الفنية البلاغية.

3- **المشبه مفرد والمشبه به مركب**: كقول الخنساء:

أغَرُّ أبلجُ تأتَمُّ الهداةُ به ... كأنه علم في رأسه نارُ[2]

تشبّه الخنساء أخاها صخراً بالجبل الذي تشتعل النيران في قمته، لشهرة صخر. فالمشبه مفرد هو صخر، والمشبه به مركب؛ فهي لم تكتف بأن تشبّهه بالجبل، بل تزيد عليه اشتعال النار في قمته لتزداد شهرته ويهتدي به المارّون.

4- **المشبه مركب والمشبه به مفرد**، كقول الشاعر:

لا تَعجبوا من خاله في خدِّه ... كلُّ الشقيق بنقطةٍ سوداءِ

---

(1) النقع: غبار الحرب.

(2) الأغرّ: ذو الغرّة، وهي نجمة بيضاء في جبين الخيل. الأبلج: الجميل الوجه. العلم: الجبل.

فأتى الشاعر بالمشبه به مركباً من الخدِّ يزينه خال أسود، والمشبه به شقيقة النعمان.

5- **التشبيه الملفوف**: فقد يعدّد الشاعر المشبهات متوالية معطوفٌ بعضها على بعض، ثم يأتي بالمشبَّهات به بعدها معطوفة على التوالي أو بالعكس؛ بمعنى أنّ المشبهات تقع في شطر والمشبهات به في شطر آخر. كقول الشاعر:

ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ ... شَعرٌ ووجهٌ وقَدُّ
خمرٌ ودُرٌّ وورد ... ريقٌ وثغرٌ وخَدُّ

فقد جاء الشاعر في كل بيت بثلاثة تشابيه بليغة؛ المشبهات به في الشطر الأول، والمشبهات في الشطر الثاني؛ فالشعر أسود، والوجه بدر، والقدّ غصن. وفي البيت الثاني يشبّه الريق بالخمر، والأسنان بالدرر، والخد بالورد. أو قول الشاعر:

تبسُّمٌ وقطوبٌ في ندًى ووغًى ... كالغيثِ والبرقِ تحت العارض البرِدِ[1]

فشبه تبسُّمه بالمطر، وقطوبه بالبرق ووجه الشبه الكرم والحرب.

6- **التشبيه المفروق**: بأن يورد الشاعر عدة تشابيه في البيت الواحد، بأن يذكر المشبه ويتلوه المشبه به، ثم ما بعده مجموعين تباعاً، كقول المرقش الأكبر:

النشرُ مسكٌ، والوجوهُ دنانيرٌ، وأطرافُ الأكفِّ عَنَمْ[2]

فقد جاء الشاعر بثلاثة تشابيه بليغة متتالية؛ فرائحته كالمسك، ووجهه مدوّر مشرق كالدينار، وأنامله مخضوبة كالعنم.

وكقول الشاعر:

إنما النفسُ كالزجاجةِ، والعِلـ ... ـمُ سراجٌ، وحكمةُ الله زيتُ
فإذا أشرقتْ فإنك حيٌّ ... وإذا أظلمتْ فإنك مَيْتُ

---

(1) العارض: السحاب المعترض في الأفق.

(2) النشر: الرائحة الطيبة. العنم: شجر له ثمر أحمر يشبَّه به البنانُ المخضوب.

7- **تشبيه التمثيل**: وهو أبلغُ من التشابيه الأخرى، لأن وجه الشبه فيه صورة منتزعةٌ من متعدد. وهو يحتاج إلى إمعان فكر وتدقيق نظر حتى تُعرف صورته. ولا يُحسن هذا التشبيه إلا شاعر بلغ الغاية في الخيال والرسم بالعبارة. وبالتالي يقف القارئ أمام اللوحة يستجلي أبعادها، ويدرك خيالها.

وقد أطال البلاغيون الحديث والشرح في تشبيه التمثيل بين أن يكون في مطلع الكلام أو في نهايته.. ولا يُغير ما ذكرناه. وهو شديد التأثير في النفس؛ فإذا كان في المديح استدرَّ الشاعر سخاء الممدوح، وإن كان في الهجاء كان عنف الوقع في المهجوّ، وإن كان في الغزل فالمحبوب يهتز ويطرب. أما إن كان صورة جمالية فإن الناس يحبون الجمال. فانظر إلى هذه الأمثلة وإبداع الشعراء فيها:

قال أبو فراس الحَمْداني:

والماءُ يفصلُ بين روْ ... ضِ الزهرِ في الشطَّينِ فَصْلا[1]

كبساطِ وَشْيٍ جَرَّدَتْ ... أيدي القيونِ عليه نَصْلا[2]

فقد التقط الشاعر صورةً أمامه، فربطها بصورة تخيلها.. رأى جدول ماء يسيل بين الرياض، فشبَّهه بسيف مرمي على بساط موشَّى.. وقوله: «كبساط وشيٍء» أي إن البساط مزين بالألوان والنقوش، كحال الرياض المزدانة بالأزاهير والورود.. وجدول الماء الرقراق يلمع كما يلمع السيف المصقول.. صورتان جميلتان.

فوجه الشبه صورة منتزعة من أشياء عدة، واشتركت الصورتان بوجود بياض ممدود بين ألوان مختلفة. فالتشبيه تمثيلي.

وانظر إلى قول الشاعر:

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوئهِ ... يُوافي تمام الشهر ثم يغيبُ

---

(1) الشط: جانب النهر.

(2) الوشي: نوع من الثياب المنقوشة المزركشة. القيون: الحدادون، وهنا صانعو السيوف.

فوجه الشبه ما يتصوره المرء من سرعة الفناء، انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة التي يعرفها؛ إذ يبدو في أول أمره هلالاً رفيعاً، ثم يأخذ بالاكتمال حتى يصير بدراً، ثم يتحوَّل إلى النقصان، إلى الهلال، حتى يدخل في المُحَاق[1]. ولما احتوى التشبيه على وجه الشبه المستمدّ من صورة منتزعة من متعدد، فالتشبيه تمثيلي.

8- **تشبيه غير تمثيلي**: وهو ما لم يكن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد. لكن اتساع صورة التشبيه تُوهم بأنه تشبيه تمثيلي، في حين أنه ليس كذلك.

قال البحتري في المدح:

هو بحرُ السماحِ والجودِ فازْدَدْ ... منه قُرباً، تزدَدْ من الفقرِ بُعدا

فالبحتري يشبه ممدوحه بالبحر في الجود والكرم، فيدعو الناسَ إلى الاقتراب منه ليغنموا وليبعدوا الفقر عنهم. فهو تشبيه مؤكَّد مفصَّل، ووجه الشبه صفة اشتركت بين شيئين، وهو اشتراك الممدوح والبحر في صفة الجود.

ومثله قول امرئ القيس المشهور في وصف الليل:

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدولَهُ ... عليَّ بأنواع الهموم لِيَبتلي[2]

فقد كان الشاعر حزيناً، وحلّ عليه ظلام الليل، فشبَّه الليل في ظلامه وهَوله بموج البحر. ومدَّ هذا الليل حُجُبَهُ عليه تُرافقه الهموم والأحزان كي يختبر صبره.

فانظر إلى وجه الشبه تَرَ أنه صفة اشتركت بين شيئين، وهو اشتراك الليل وموج البحر في صفتين هما الظلمة والرَّوعة. فوجه الشبه مفرد فهو تشبيه غير تمثيلي.

نماذج تمثيلية وغير تمثيلية

1- **لا تطلبَنَّ بآلةٍ لك رتبةً ... قلمُ البليغ بغير حظٍّ مِغْزَلُ**

---

(1) المحاق: آخر الشهر القمري. وقيل: ثلاث ليال من آخره لا يكاد يبين فيها.

(2) أرخى: سدل. السدول: الستائر. ليبتلي: ليختبر.

وجه الشبه هنا قلة الجدوى، فالتشبيه غير تمثيلي.

2- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة: 5][1]. يشبّه الله تعالى اليهود الذين كُلّفوا العمل بما في التوراة ولم يفعلوا بالحمار الذي يوقَر ظهره بالكتب العظام ولا يعي ما فيها.

فالمشبه اليهود المكلفون بالتوراة ولم يعقلوا ما فيها، والمشبه به الحمار الذي يحمل الكتب ولا ينتفع بها، وأداة التشبيه هي الكاف، ووجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، فالتشبيه تمثيلي.

3- قال ابن المعتز:

قد انقضتْ دولةُ الصيام، وقد ... بشَّرَ سُقْمُ الهلالِ بالعيدِ

يتلو الثريا كفاغرٍ شَرِهٍ ... يفتحُ فاهُ لأكلِ عنقودِ[2]

شاهد الشاعر الهلال والثريا وهو مجموعة نجوم فاعتبرها مشبَّهاً، ثم تخيَّلَ صورة رجل شرهٍ إلى الطعام فتح فاهُ ليلتقمَ عنقود العنب، وهو مشبه به لأن الثريا مع نجومها تشبه عنقود العنب. وأتى بوجه الشبه بشيء مقوّس يتبع شيئاً آخر، فهو صورة منتزعة من متعدد. فالتشبيه تمثيلي.

4- قال المتنبي في الرثاء:

وما الموتُ إلا سارقٌ دقَّ شخصُه ... يصولُ بلا كفٍّ ويَسعى بلا رِجْلِ

يشبه الشاعر الموت بلص؛ فالموت مشبه، واللص غير المنظور مشبه به. ووجه الشبه هو الخفاء وعدم الظهور، فالتشبيه غير تمثيلي.

5- قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 261].

---

(1) الأسفار: ج السِّفر وهو الكتاب الضخم.

(2) فاغر: فاتح.

شبّه الله جلَّ شأنه حال من ينفق قليلاً في سبيل الله ثم يلقى جزاءه كثيراً (وهو مشبه)، بحال سبع سنبلات حملت كل واحدة مئة قمحة.. كلها من حبة قمح واحدة.

6- قال ابن الرومي يصف خبازاً يعمل في مخبزه:

ما أنسَ لا أنسَ خبّازاً مررتُ به ... يَدحو الرُقاقةَ وَشْكَ اللمح بالبصرِ[1]

ما بينَ رؤيَتِها في كفِّهِ كرةً ... وبينَ رؤيَتِها قوراءَ كالقمرِ[2]

إلا بمقدارِ ما تَنْداحُ دائرةً ... في صفحةِ الماءِ تَرمي فيه بالحجرِ[3]

اشتهر ابن الرومي بالصور والتشابيه الشعبية الواقعية. فهو هنا يشبّه حال العجينة المكوَّرة في يد الخباز، وكيف كانت كرة مدوَّرة، وبسرعة تحوَّلت إلى رُقاقة مستديرة (وهو المشبه)، بحال دائرة في الماء تشكلت من إلقاء حجر فيه؛ فتكون في بادئ الأمر دائرة صغيرة، ثم تأخذ بالاتساع (وهو المشبه به). ووجه الشبه في الأبيات أن كل شيء يكون في أول أمره مستديراً صغيراً، لا يلبث أن يكبر ويتسع. فالتشبيه تمثيلي.

7- قال الشاعر يصف فتاة تبكي:

كأنَّ الدموعَ على خَدِّها ... بقيَّةُ طلٍّ على جُلَّنارِ[4]

شبّه الشاعر حال سيلانِ الدمع على خدِّ الفتاة الأحمر اللون (وهو المشبه) بحال الطلِّ فوق زهرة الجلنار (وهو المشبه به). فكان وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، وهي قطرات بيضاء فوق شيء أحمر. فهو تشبيه تمثيلي.

8- قال الشاعر يتغزل:

أنتَ مثلُ الغصنِ لِيْنًا ... وشبيهُ البدرِ حسنا

---

(1) يدحو: يبسط. وشك اللمح: بسرعة لمح البصر.

(2) قوراء: مستديرة.

(3) تنداح: تنبسط وتتسع.

(4) الطلّ: قطرات الندى. الجلنار: زهرة الرمان (فارسية).

في البيت تشبيهان؛ يشبّه في الشطر الأول محبوبه بأنه كالغصن في تمايله، فذكر أداة التشبيه وهي «مثل»، ووجه الشبه وهو اللين، فالتشبيه مرسَل مفصَّل. ومثله في الشطر الثاني.

9- قال خليل مطران:

وتروحُ حولَهما الجموعُ وتغتدي ... كالموج، وهو مُدافَعٌ يَتتَالى

شبّه الشاعر الجلاد ومدحت باشا وجموع الناس تُزاحمهما بأمواج البحر المتلاطمة المتدافعة المتتالية. فالتشبيه صورة بصورة، فهو تشبيه تمثيلي.

التشبيه المقلوب:

هو جعل المشبَّه مشبهاً به، والمشبه به مشبهاً، ولهذا سماه بعضهم بالتشبيه المعكوس. وهدفُ الشاعر من استخدامه التشبيه المقلوب ادعاؤه أن المشبَّه أكملُ وأجمل في وجه الشبه من المشبه به.

فإن قلت: كأن طباعه الماءُ في صفائه، كان تشبيهاً عادياً، والطباع هي المشبه أقل صفاءً من الماء الذي هو مشبه به، ووجه الشبه الصفاء.

ولكن إن قلبتَ كلامك فقلت: كأن الماءَ في الصفاء طباعه، فإنك جعلت المشبه مشبهاً به، والمشبه به مشبهاً، كانت طباعه أوضح وأجمل من صفاء الماء.

وقد أعجب بهذا التشبيه بعض الشعراء إذ وجدوا فيه افتتاناً وإبداعاً، وإرضاءً لغرور الممدوح. وقد ورد التشبيه المقلوب في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ على ما يفكر به المشركون. فالربا تجارة مثلُ البيع، فقلبوا التشبيه فجعلوا البيع مثلَ الربا، لإيهام الناس بأن الربا أحلُّ من البيع.

ومثل هذا قول ابن المعتز في الغزل:

والصبحُ في طُرَّةِ ليلٍ مسفرِ كأنه غُرَّةُ مُهرٍ أشقَرِ[1]

فالمشهور أن تشبَّه غُرّة المهر بالصبح، لأن وجه الشبه – وهو البياض – أقوى في الصبح منه في غرّة المهر. لكن الشاعر قلب التشبيه لإظهار مدى بياض غرة المهر التي بدت أكثر بياضاً من ساعة الصباح، بادعاء أن وجه الشبه (البياض) أقوى من غرّة المهر.

وكقول محمد بن وُهَيب الحميري في مدح المأمون:

وبدا الصباحُ كأنَّ غرَّتَه وجهُ الخليفةِ حين يُمتدحُ

فشبه الشاعر غُرّة الصباح بوجه الخليفة، إيهاماً بأن وجه الخليفة أتمُّ من غرّة الصباح في وجه الشبه.

التشبيه الضمني:

هو تشبيه لا يوضَع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يُلمحان في التركيب، ويُفهمان من السياق. ويكون المشبه به دائماً برهاناً على ما أُسند إلى المشبه، ليفيد أن الحكم الذي أُسند إلى المشبه ممكن.

كقول المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يسهلِ الهوانُ عليهِ ما لجرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

والمعنى: إن الذي اعتادَ الهوانَ يسهلُ عليه تحمُّلُه ولا يتألم له، وليس هذا الادِّعاء باطلاً؛ لأن الميت إذا جُرح لا يتألم. وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، ولم يأت على صورة من صور التشابيه التي درسناها، بل إنه تشابهٌ يقتضي التساوي، ويسمى التشبيه الضمني. أما التشابيه الأخرى فتقتضي التفاوت.

وكقول ابن الرومي:

---

(1) طرّة الشيء: طرفُه. ليل مسفِر: دخل في الإسفار، وهو ظهور الفجر. الغُرّة: بياض في جبهة الفرس. المهر الأشقر: الأحمر الشعر.

قــد يــشيبُ الفتــى ولــيس عَجيبــاً   أنْ يُرى النَّوْرُ في القضيب الرطيبِ[1]

فحين تقرأ هذا البيت لا ترى بالظاهر تشبيهاً، لكنك تحسّ بأن الشاعر نحا في تعبيره منحًى فنياً فيه صورة مخالفة. وتُدرك بعد رويّة أن الشاعر ابتكر تشبيهاً، هو إقامة الدليل على ما صوَّر في الشطر الأول، فترى بين الصورتين تشابهاً فيه تعادل بين المشبه والمشبه به، أما وجه الشبه فصورةٌ مبتكرة جامعة فيها حكمة غالباً.

يقول الشاعر: قد يشيب الشابّ وإن لم تتقدَّم به السن، وليس هذا بعجيب، فإن الغصن الغضَّ قد ينبت فيه الزهر الأبيض. فابن الرومي لم يأتنا بتشبيه صريح، ولم يقل: إن الفتى قد وَخَطَهُ الشيب كالغصن الغضّ المزهر. هو لم يقل هذا صراحةً لكننا لمحناه، وهذا هو التشبيه الضمني.

مثال آخر لأبي العتاهِيَة:

ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ مسالِكَها   إنَّ السفينةَ لا تجري على اليبَسِ

يعظ أبو العتاهية الإنسان الذي يتمنى التخلص من عذاب الآخرة، لكنه لم ينتهج سبيل الصلاح.. ويأتيه الشاعر بمثال هو عِظة وبرهان، لكنه صورة من التشبيه، فهل تسير السفينة على اليابسة؟ أنت لك طريقك الذي يُنجيك مثل السفينة التي تسير على الماء.

ففي البيت تشبيه ضمني لأن الشاعر لم يصرِّح بذكر طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) على ما اعتدنا عليه في التشابيه الأخرى.

---

(1) النَّور: الزهر الأبيض ينمو على الشجر.

نماذج محلولة

بَيِّن التشبيه الصريح ونوعه والتشبيه الضمني مما يأتي:

1- **قال الشاعر متغزلاً:**

وَيْلاهُ إن نظرتْ وإنْ هي أعرضَتْ ... وقعُ السهامِ ونزعُهُنَّ أليمُ

يشبّه الشاعر حال المحبوبة إذا نظرت أو أَعرضتْ عن النظر بحالِ السهام تؤلم إذا وقعت كما تؤلم إذا نُزعت من الجسم. فهو لم يأت بمشبه ومشبه به على ما هو معروف، ولهذا فالتشبيه ضمني.

2- **قال الأخطل في المدح:**

وما الفرات إذا جاشت حَوالبُهُ ... في حافَتَيْهِ، وفي أوساطهِ العُشَرُ[1]

يوماً بأجودَ منه حينَ تسألُه ... ولا بأجهرَ منه حين يُجْتَهَرُ[2]

فالشاعر يشبه ممدوحه بالفرات الزاخر بالماء كرماً. فالتشبيه صريح.

3- **قال أبو تمام:**

لا تنكري عَطَلَ الكريم من الغِنَى ... فالسيلُ حربٌ للمكان العالي

شبه الشاعر ضِمناً الرجل الكريمَ المحروم من الغنى بقمة الجبل، وقد خلت من ماء السيل. فالتشبيه ضمني وليس صريحاً.

---

(1) جاشت: زخرت واضطربت. حوالبه: أمواجه. العشر: كبار شجر العضاه.

(2) الجهير: الجسيم الرائع. يقال: جَهرتُ الرجل واجتهرتُه: إذا أعجبك حسنُه.

1- تدريبات على التشبيه البليغ

في الأبيات التالية تشابيه بليغة حلِّلْها، واستخرج المشبه والمشبه به منها، وبَيِّن الصورة:

1- قال عبدة بن الطبيب:

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـ ... ـه تجلّتْ عن وجهه الظلماءُ[1]

2- قال لقيط بن يَعْمُرَ:

هو الفناءُ الذي يجتثُّ أصلَكمُ ... فمن رأى مثلَ ذا رأياً ومَن سمعا؟[2]

3- قال المعري:

فكأني ما قلتُ والليلُ طفلٌ ... وشبابُ الظلماءِ في عنفوانِ:

4- ليلتي هذه عروسٌ من الزَّنْـ ... ـج، عليها قلائدٌ من جُمانِ[3]

قال زهير بن أبي سُلمى:

وأبيضَ فياضٍ نداهُ غمامةٌ ... على مُعْتَفيهِ ما تُغِبُّ فواضلُهْ[4]

5- قال لبيد العامري:

وهمُ ربيعٌ للمجاورِ فيهمُ ... والمُرملاتِ إذا تطاولَ عامها[5]

6- قال النابغة الذبياني:

إذا اسْتَنزلوا عنهنَّ للطفلِ أَرْقَلُوا ... إلى الموتِ إرقالَ الجمالِ المَصاعبِ[6]

---

(1) مصعب بن الزبير: ممدوحه. تجلت: تكشَّفت.

(2) يجتث: يقتلع من الأصل.

(3) الجمان: اللؤلؤ.

(4) أبيض: صفة مديح، أي نقيّ من كل عيب. فياض: كثير الكرم؛ صيغة مبالغة. المعتفي: طالب المعروف والكرم. فواضله: عطاياه.

(5) المرملات: اللواتي لا أزواج ولا أزواد لهن.

(6) استنزلوا: ويروى بالمجهول. الإرقال: ضرب من العَدْو. الجمال المصاعب: التي لم تُرض.

2- تدريبات عامة على التشبيه

استخرج ممّا يلي التشابيه، وحدِّد أنواعها:

1- قال المتنبي في وصف بحيرة وسط حديقة:

كأنها في نهارِها قمرٌ حفَّ به من جَنباتها ظُلَمُ

2- لكِ شَعر مثلُ حظّي في سوادٍ قد تَثَنّى

3- وخيلٍ تُحاكي البرقَ لوناً وسرعةً وكالصخرِ إذْ تَهوي وكالماءِ في الجَرْيِ

4- قال الأعشى متغزلاً:

غَرّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُها تمشي الهُوَينى كما يمشي الوَجي الوَحِلُ[1]

5- وقال الفرزدق:

والشيبُ ينهضُ في الشباب كأنَّهُ ليلٌ يصيحُ بجانبيهِ نهارُ

6- قالت الخنساء:

كأنَّ عيني لذكراهُ إذا خَطَرتْ فيضٌ يسيلُ على الخدَّينِ مِدْرارُ

7- كأنَّ المُدَامَ وصوبَ الغمامِ وريحَ الخُزامى وذَوْبَ العسلْ

يُعَلُّ به بردُ أنيابِها إذا النجمُ وسطَ السماء اعتدلْ[2]

8- قال المتنبي في سيف الدولة:

يهزُّ الجيشُ حولكَ جانبيهِ كما نفضَتْ جناحَيْها العقابُ

9- والشمسُ من بينِ الأراكِ قد حكتْ سيفاً صقيلاً في يدٍ رَعشاءِ[3]

10- قال المتنبي في وصف أسد:

ما قوبلتْ عيناهُ إلا ظُنَّتَا تحتَ الدُّجى نارَ الفريقِ حُلولا[4]

---

(1) غراء: بيضاء. فرعاء: غزيرة الشعر. عوارضها: أسنانها. الوجي: الحافي القدمين.

(2) المدام: الخمر. الصوب: انصباب المطر. الخزامى: نبت طيب الرائحة. العلل: الشرب الثاني.

(3) الأراك: شجر يُستاك بقضبانه، واحدته أراكة.

(4) الفريق: الجماعة. الدجى: الظلمة. حلولاً: مقيمين.

المبحث الثاني: المجاز والاستعارة



المجاز:

هو اللفظُ المستعمل في غير ما وُضع له في اصطلاح التخاطُب، لعلاقة مع قرينة لفظية أو معنوية تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، كقولك: «وضع الطبيبُ الإبصارَ في عيني».

وكقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: 19].

والعلاقة بين اللفظ الحقيقي والمعنى المجازي، قد تكون المشابهة أو غير المشابهة. فإن كانت العلاقة مشابهة فالمجازُ استعارة، وإلا فالمجاز مرسل.

والعلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه. وسُمّيت بذلك لأن بها يتعلق، ويرتبط المعنى الثاني بالأول، فينتقل الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني.

والقرينة: هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غيرَ ما وُضع له. وهي التي تصرف الذهن عن المعنى الأصلي وتُوجهه إلى المعنى المجازي. وقد تكون القرينة لفظية، كما قد تكون حالية.

قال الكاتب ابن العميد:

قامتْ تُظَلِّلني من الشمسِ ... نفسٌ أحَبُّ إليَّ من نفسي

قامت تُظَلِّلني، ومن عجبٍ ... شمسٌ تظللني من الشمسِ

استخدم الشاعر في البيت الثاني لفظة «الشمس» مرتين؛ مرةً بالمعنى الحقيقي وهو الشمس المعروفة في السماء، ومرةً بالمعنى المجازي وهو وجه الممدوح المشرق. ويلاحظ

بين المعنى الأول والمعنى الثاني تقارب وعلاقة هي علاقة المشابهة، ولا تغيب عن حصافتك العلاقةُ بين الاثنين؛ إذ لا يمكن أن تظللني شمس من الشمس، لأن الشمس الحقيقية لا تُظلِّل. فكلمة «تظللني» تمنع من إرادة المعنى الحقيقي. فالقرينة تدلك على أن المعنى المقصود هو المعنى الآخر وهو المدح، فالمجاز هنا استعارة.

وقال المتنبي حين مرض بالحمى:

فإنْ أمرضْ فما مرضَ اصطباري وإن أُحْمَمْ فما حُمَّ اعتزامي

فالمجاز هنا هو «مرض»، وسبب المجاز أن الاصطبار لا يمرض، فشبَّه الشاعر قلةَ صبره بالمرض والعلاقة المشابهة لما بينهما من دلالة على الضعف. والقرينة لفظية وهي «اصطباري».

كما أنه استخدم لفظة «حُمَّ» مجازاً في العجز لأن الاعتزام لا يحُمُّ (لا يمرض). فالعلاقة هي المشابهة؛ فقد شبَّه انحلال العزم بالإصابة بالحمى لما لكلّ منهما من التأثير السيئ. والقرينة هي «اعتزامي» التي منعت المعنى الحقيقي.

وقال أبو تمام في رثاء الطوسي:

وما ماتَ حتى ماتَ مضرِبُ سيفهِ من الضَّرب، واعتلَّتْ عليه القَنا السُّمْرُ[1]

فالمجاز هنا في كلمة «مات الثانية»، لأن «مات الأولى» هي حقيقية، وهي دلالة على موت القائد الطوسي. إذ إن مضرب السيف لا يموت، لكنه شبه انكسار السيف بالموت لانعدام الفائدة منه. فالعلاقة مشابهة والقرينة لفظية وهي «مضرب سيفه».

أنواع المجاز:

كان حديثنا عن المجاز اللغوي. وللمجاز أنواع، منها:

---

(1) مضرب السيف: حدُّه. القنا: الرماح وكذلك السمر. مات مضرب سيفه: تثلَّمَ من الضرب.

أ- **المجاز المركَّب:** وهو التعبير المستعمل فيما يشَبَّه بمعناه الأصلي تشبيه تمثيل. ولهذا كان المجاز المركب عكس المجاز اللغوي. تقول: ما لي أراك تقدِّم رِجلاً وتُؤخر أخرى؟[1]

فإذا كان المجاز اللغوي باللفظة الواحدة كما رأينا، فإنه هنا بالتركيب والتعبير. ولهذا فإن المعنى في الجملة فكريّ لا لفظي؛ بُني على تركيب لا على مفرد. والمقصود: ما لي أراك متردداً كمن يقدم رجلاً ويؤخِّر أخرى، ولا يُقْدم؟

ب- **المجاز المجْمَل:** هو ما خفيَ منه المراد، بحيث لا يُدرك بنفس اللفظ إلا ببيان من المعنى المجمل؛ سواء أكان المجاز لتزاحم المعاني المتساوية، أم لغرابة اللفظ كالهُلوع، أم لانتقاله من معناه الظاهر إلى ما هو غيرُ معلوم. فترجع إلى الاستفسار، ثم الطلب، ثم التأمُّل. كالصلاة فإنها في اللغة بمعنى الدُّعاء، وذلك غيرُ المراد. فنطلب المعنى الذي جُعلت لأجله الصلاة؛ أهو التواضع والخشوع، أم أحد الأركان الإسلامية الخمسة المعلومة؟ ثم نتأوَّل، أيْ نتعدَّى إلى صلاة الجنازة، أو إلى قولنا: «اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمد» أي أثنِ عليه يا ألله وارحمه.

ج- **المجاز العقلي:** هو إسناد الفعل أو ما في معناه كالمشتق والمصدر، إلى غير ما هوَ لهُ في الظاهر من المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هوَ له، نحو: مَن سرَّه زمنٌ ساءتْه أزمان.

فقد أسند الإساءة والسرور إلى الزمان، والزمانُ لم يفعل له شيئاً من السرور ولا الإساءة. فالمجاز عقلي.

وقد يُسند اللفظ إلى غير الفاعل فيما بُني للفاعل، وغير المفعول فيما أسند للمفعول بتأوُّل متعلقٍ بإسناده، كقوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة: 21] هو فيما بُني للفاعل وأُسند إلى المفعول؛ إذ المعنى: مَرْضيَّة لا مكروهة. ومثله اسم «فاطمة» وأصله مفطومة.

(1) ويستخدم هذا المثل في الاستعارة التمثيلية.

أو كقولك: «سيلٌ مُفْعَم» فهو اسم مفعول، المقصود «مُفْعِم» اسم فاعل؛ من قولك: أفعمْتُ الإناءَ، أي ملأتُه. فهو اسم مفعول أسند إلى الفاعل.

د- **المجاز المرسَل:** وهو أهم أنواع المجاز، والذي يعتني البلاغيون به. وهو مجاز مفرد، وسمي مرسلاً لإطلاقه عن التعقيد بعلاقة واحدة مخصوصة. وهو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

وقد وضع البلاغيون قرابة عشرين علاقةً أي ارتباطاً. لكن المستوى الذي صُنع بشأنه الكتاب يحولُ دون بَسطها. ونكتفي بنماذج متفرقة تُوضح لنا المعنى البلاغي للمجاز المرسل.

وهو تعبير بلاغي يقومُ فيه الجزءُ مقام الكلّ، أو الكلُّ مقام الجزء. ويقوم فيه الخاص مقام العامّ، أو العامّ مقام الخاص. وهو تسمية الشيء بما نُسب إليه، كقولنا «الشراع» ونعني به السفينة، وقولنا: زرنا آسيةَ، ونحن نعني أننا زرنا بعض القارة الآسيوية. فالمجاز المرسل هو كل مجاز مبني على غير التشبيه.

نماذج محلولة على المجاز

1- قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: 19].

والمجاز في «أصابعهم» والمقصود «أناملهم» لاستحالة إدخال الإصبع كله في الأذن. فالقرينة حالية.

2- قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: 92].

فالرقبة جزء من الإنسان؛ ذُكر الجزء وأريد الكل. فالرقبة مجاز مرسل.

3- نشر الحاكمُ عيونَه في المدينة.

فالعيون جزء من الإنسان والمقصود بها الجواسيس، فالعلاقة جزئية، والقرينة استحالة إرسال عيون الأمير إلى المدينة، وإنما أراد الجواسيس.

4- قال المتنبي:

واستقبلَتْ قمرَ السماء بوجْهِها ... فأرَتْنِيَ القمرينِ في وقتٍ معا

فلفظ «القمرين» مثنى قمر. وأشار المتنبي بهما إلى قمر حقيقي وهو قمر السماء، وقمر مجازي هو وجه المحبوبة.

5- قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: 13].

فلفظة «رزقاً» هي المجاز. فأنت تدرك أن الله تعالى أنزل سبباً هو المطر، فتسبَّب عنه الرزق وهو المجاز المرسل.

6- قال المتنبي في مدح سيف الدولة:

فيوماً بخيلٍ تطردُ الرومَ عنهمُ ... ويوماً بجودٍ تطردُ الفقرَ والجَدْبا

استخدم الشاعر الفعل «تطرد» مرتين؛ الأولى معناها حقيقي، هو طردُ الروم عن حلب، والثانية معناها مجازي لأن الفقر لا يُطرد وطرد الفقر معنوي؛ فشبَّه إزالة الفقر بطرده، والمعنى إبعاده. فالقرينة لفظية في كلمة «الفقر».

7- قال أبو تمام:

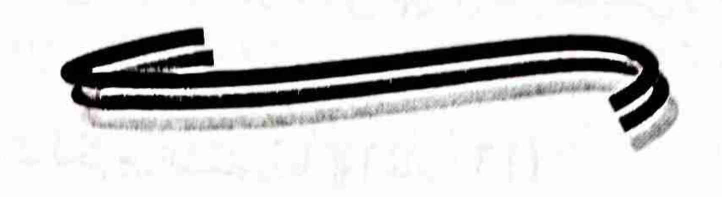
تكادُ عطاياهُ يُجَنُّ جنونُها ... إذا لم يُعَوِّذْها برُقيةِ طالبِ[1]

قوله: «يُجن جنونها» الجنون في الحقيقة لا يجنُّ، لكنه أراد شدة الإفراط. وقوله: «تكاد عطاياه يُجن جنونها» إسناد الفعل إلى المصدر «عطايا» مجاز عقلي، علاقته المصدرية.

---

(1) يعوذها: يحصنها. الرقية: ما يُرقى به الإنسان من عين حاسد.

الاستعارة



بين المجاز والاستعارة

أولُ ما استخدم الإنسان من فنون البلاغة التشبيهُ كي يوضح للآخر ما يجهله بأن يشبه له شيئاً بشيء آخر ليدركه. وذكرنا أن التشبيه أساسه المشبه والمشبه به. ثم تطوَّر تفكيره البياني فاقتصر بتشبيهه على المشبه به، فكان أن عُرفت الاستعارة. ولذلك كانت صورة الاستعارة أكمل من صورة التشبيه. وعدَّ الأديب المبتِكر للاستعارة مبدعاً ومن أمراء البيان.

فأساس الاستعارة لفظ خلفَه تصوُّرٌ فيه طابع الابتكار والجمال الفني. وعملُ الأديب في صنع الاستعارة على أساس اللفظ الموحي أبعدُ أفقاً وجمالاً من مبتكر الصورة التشبيهية، وهذا أيضاً أفضل ممّن يكتب نصاً تقريرياً بعيداً من الخيال وإعمال الفكر.

فانظر إلى الشاعر أبي أذينة اللخمي وهو يقدم صورةً فيها ابتكار وخيال:

لا تقطعَنْ ذنبَ الأفعى وتُرسلَها ... إن كنتَ شهماً فأَتبِعْ رأسَها الذَّنبا

فما أجمل تصوير الشاعر العدوَّ بالأفعى السامة! ولا بدَّ من التخلص من الأفعى تخلصاً نهائياً، وأنت تفهم عليه أنه يريد العدوَّ. واكتملت جمالية الصورة عنده حين حذف المشبَّه وهو العدوّ وصرَّح بالمشبه به وهو الأفعى.

وانظر إلى قول الشاعر قُريط بن أُنيف، وهو يرسم لنا لوحة رائعة:

قـومٌ إذا الـشرُّ أبـدى ناجِذَيـهِ لَهُـمْ   طـاروا إليـهِ زُرافـات ووحـدانا[1]

فقد استطاع أن يقدم لنا صورة معبرة عن قوم اتصفوا بالـشر، فـشبَّههم بـالحيوان الشرس الذي يَفغر فاه إلى أقصاه حتى يفترس ما أمامه. ولا شك أنك حين قرأت بيتـه وتصوَّرت الحيوان ذا الأنياب اعتراك الذعر. ثم تراه يـصوّر القـوم (وهـم بنـو مـازن) بأنهم طيور كواسر لا يهابون ذلك الحيوان المفترس، إذ إنهم طاروا إليه لحربه وصدِّه غيرَ هَيّابين.. هاجموه فُرادى وجماعات ليحولوا دون أذاه. فيتحوَّل تصورك في الشطر الثـاني إلى إعجاب وتقدير لحميَّتهم وحماستهم.

ومن الشعراء المبدعين بأداء الصور الجميلة عـلى أسـاس الاسـتعارة أمـير شـعراء العصر الجاهلي امرؤ القيس؛ فقد كان في حزن شديد جرحَ فؤاده، وأبعـد منـه النـوم في هذا الليل الطويل، فقال يخاطب الليل:

فقلــت لــه: لمــا تمطّــى بــصلبهِ   وأردفَ أعجــازاً ونــاءَ بِكَلْكَــلِ:[2]

فتصور الليلَ مخلوقاً يتمطّى ويتطاول وهو يتثاءب. وأطال تصوير الليل عـلى قـدر ضيقه منه وعلى قدر تطاوله. فتمثَّل امرؤ القيس الليلَ إنـساناً طـويلاً ذا صـلب وعجـز وصدر.. وهذه الأقسام من الجسم هي التي تساعد على استطالة الإنسان حين يتمطَّى. وشاء أن يزيد الصورةَ جمالاً مع ذلـك الـساهر الـذي يـأبى أن ينـام، بـأنْ تهالـك هـذا الإنسان (الذي هو الليل) على ذلك الإنسان الحزين الذي جفاه النوم.

أرأيت كم لصورة الاستعارة من جمال، وأساسُها لفظ واحد، ينطلق منـه الـشاعر ليوزع ألوانه وتخيُّله ليكمل الصور.

---

(1) الناجذ: ضرس الحلم، وهو مثل لاشتداد الشر. زرافات: جماعات.

(2) تمطّى: تمدّد. الصلب: عظم في الظهر من لدنِّ الكاهل إلى العجز. العجز: مؤخر الجسم والعمود الفقري. الكلكل: الصدر، أو ما بين الترقوتين.

تعريف الاستعارة:

الاستعارة: استعمالُ اللفظ في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.

والاستعارةُ من المجاز اللغوي. وهي تشبيه حُذف أحدُ طرفيه (المشبه أو المشبه به). ولما كان أصل الاستعارة تشبيهاً كانت العلاقة فيها المشابهة دائماً. **فإن وُجد الطرفان فالصورة تشبيه، وإن وجد أحدهما فالصورة استعارة.**

فالاستعارة تشبيه مختصر لفظاً موسَّع صورةً، حافلٌ خيالاً. وكل مجاز يُبنى على التشبيه يُسمى استعارة. ولا تأتي الاستعارة من المجاز العقلي.

ولا يجوز في الاستعارة أن يُذكر معها أداة التشبيه، ولا وجه الشبه، ولا أحد طرفيه، وليس لنا أن نتصور التشبيه.

أركان الاستعارة:

وكما أن للتشبيه أركاناً، فإن للاستعارة أركاناً، وعددها ثلاثة:

1- مستعار منه – هو المشبه به.

2- مستعار له – هو المشبه.

ويسميان طرفي الاستعارة.

3- مستعار – هو اللفظ المنقول من الحقيقة إلى المجاز.

أنواع الاستعارة:

قسم علماء البلاغة الاستعارة إلى عشرة أنواع، وسنعرض ثلاثة أنواع هي المهمة في هذه المرحلة. وليرجع المستزيد إلى الفصل الأخير «المصطلحات البلاغية».

الاستعارة التصريحية:

إذا ذُكر لفظ المشبه به فالاستعارة تصريحية. فمعنى التصريحية: أي صُرِّح فيها باللفظ الدال على المشبه به.

قال المتلمِّس الضبِّي يهجو عمرو بن هند:

مـــا لليـــوثِ وأنـــت جـــا معُهـــا برأيـــك لا تَفَـــرَّقْ؟

قوله: «ما لليوث؟» استعارة تصريحية؛ فقد شبَّه الرجال (مشبه) بالآساد (مشبه به)، فحذف المشبه (الرجال)، وصرَّح بالمشبه به.

الاستعارة المكنية:

هي الاستعارة التي ذُكر فيها لفظ المشبه، وحذف المشبه به، ورُمز له بشيء من لوازمه.

خطب الحجاج بأهل الكوفة فقال: «إني لأرى رؤوساً قد أينعتْ وحانَ قِطافُها، وإني لصاحبها»[1].

شبّه الحجاجُ رؤوس الناس بالثمار الناضجة، وأصلُ التشبيه: «إني لأرى رؤوساً كالثمرات قد أينعت» ثم حذف المشبه به (وهو الثمرات)، ورمز له بشيء من لوازمه وهو «أينعت». فاحتجب المشبه به عن ذكره، فسُمّيت الاستعارة مكنية.

والخلاصة: أن بناء الاستعارة على المشبه به، فإن صُرح به كانت استعارة تصريحية، وإن لم يُصرح به وكُني عنه فالاستعارة مكنية.

نماذج محلولة على الاستعارة التصريحية

1- قال أبو أُذْينة اللخمي:

همْ جَرَّدوا السيفَ فاجعلهمْ له جَزَراً وأوقدوا النارَ فاجْعَلهم لها حَطبا[2]

قوله: «أوقدوا النار» استعارة تصريحية؛ إذ شبَّه الشاعر الحرب المستعرة بالنار الملتهبة، فحذف المشبه (وهو النار)، وصرَّح بلفظ المشبه به (وهو الحرب).

---

(1) أينعت: نضجت.

(2) جزراً: قِطعاً.

2- قال زهير بن أبي سُلمى:

عليهـا أسـودٌ ضـاريات لَبُوسُـهم سـوابغُ بـيضٌ لا يُخَرِّقُهـا النَّبْـلُ[1]

شبه الشاعر الممدوحين بالأسود، بجامع[2] الشجاعة في كلٍّ، وحذف المشبه (وهو الفرسان)، وصرَّح بلفظ المشبه به (وهو الأسود) على سبيل الاستعارة التصريحية، في قوله «عليها أسود».

3- قال خليل مطران:

انظر وقد قُتل الحكيمُ، فهل تَرى إلا رسـوماً حولَـه وظِـلالا؟

شبه الشاعر الرجال بالرسوم، وحذف المشبه (وهو الرجال)، وصرَّح بلفظ المشبه به (وهو الرسوم) على سبيل الاستعارة التصريحية.

4- قال المتنبي يصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبلَ يمشي في البساط فما دَرى إلى البحر يسعى أم إلى البدرِ يَرْتَقي؟

شبّه المتنبي سيف الدولة بالبحر، بجامع العطاء. ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة «فأقبل يمشي في البساط».

5- قال السريّ الرفّاء يصف السفن:

كـلُّ زَنجيَّـةٍ كـأنَّ سـوادَ الـ ـليلِ أهـدى لهـا سـوادَ الإهـابِ[3]

شُبهت السفينة بزنجية، بجامع السواد في كلٍّ. ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به (وهو زنجية) للمشبه (وهو السفينة). فالاستعارة تصريحية، والقرينة حالية.

---

(1) ضاريات: متعوّدات على الحرب يعني الفرسان. السوابغ: الدروع الواسعة. بيض: صقيلة لا تصدأ. اللبوس: ما يلبس وهنا الدروع.

(2) الجامع في الاستعارة: ما يعبر عنه في التشبيه بوجه الشبه.

(3) الإهاب: الجلد. الزنجية: السفينة المطلية بالقار.

كما شُبه طلاء السفينة الأسودُ بالإهاب وهو الجلد، بجامع أن كلاً يستر ما تحته. ثم استعير اللفظُ الدالُّ على المشبه به (وهو الإهاب) للمشبه (وهو طلاء السفينة). فالاستعارة تصريحية، والقرينة حالية.

6- قال ابن المعتز:

جُمع الحقُّ لنا في إمامٍ　　قتَلَ البخلَ وأحيا السماحا

في البيت استعارتان تصريحيتان؛ شُبه تجنُّبُ كل مظاهر البخل بالقتل، بجامع الزوالِ في كلٍّ. فالاستعارة تصريحية، والقرينة «البخل».

وشُبه تجديد ما اندثر من الكرم بالإحياء، بجامع الإيجاد بعد العدم في كلّ. فالاستعارة تصريحية، والقرينة «السماح».

7- قال معروف الرُّصافي:

إنْ كان للجهل في أحوالنا عِلَلٌ　　فالعلمُ كالطبِّ يَشفي تلكمُ العِللا

شبّه الشاعر مرض الجهل بالمرض الجسدي، فحذف المشبه وصرَّح بالمشبه به في قوله: «يشفي العللا». فالاستعارة تصريحية.

8- قال الوأواء الدمشقي:

فأمطرتْ لؤلؤاً من نرجسٍ، وسَقَتْ　　ورداً، وعضَّت على العُنّاب بالبَرَدِ

وهو من أبيات الشواهد المشهورة؛ إذ في البيت خمس استعارات هي: استعير اللؤلؤ للدموع، والنرجس للعيون، والورد للخدود، والعُنّاب للأنامل المصبوغة، والبَرَد للأسنان البيض. وذكر في الاستعارات المشبه به (المستعار منه) وهي على التوالي: اللؤلؤ، والنرجس، والورد، والعناب، والبرد. وكلها استعارات تصريحية.

9- ذمَّ أعرابي قوماً فقال:

«أولئك قومٌ يصومون عن المعروف، ويُفطرون على الفحشاءِ».

في قوله استعارتان تصريحيتان؛ الأولى في قوله «يصومون» لأنه صَرح بلفظ المشبه به إذ شَبه الامتناع عن عمل المعروف بالصوم.

وكذا في قوله «يُفطرون» لأنه صرَّح بلفظ المشبه به؛ إذ شبَّه ارتكاب الآثام بالإفطار.

10- قال خير الدين الزركلي:

غلتِ المراجلُ فاستشاطت أمةٌ عربيةٌ غَضَباً، وثارَ رُقودُ[1]

قوله: «غلت المراجلُ» استعارة تصريحية، فقد شبه صدور الناس بالمراجل، فصرَّح بالمشبه به وحذف المشبه.

11- قال أحمد شوقي في رثاء عمر المختار:

يا أيُّها السيفُ المجرَّدُ في الفلا يكسو السيوفَ على الزمانِ مضاءَ[2]

قوله: «يا أيها السيف» استعارة تصريحية؛ إذ شبه البطل عمر بالسيف المسلول، فصرَّح بالمشبه به وهو السيف، وحذف المشبه وهو البطل.

نماذج محلولة على الاستعارة المكنية

1- قال النابغة الجعدي في مدح النبي:

وجاهدتُ حتى ما أحِسُّ ومَن معي سُهيلاً إذا ما لاحَ ثُمَّتَ غَوَّرا[3]

شبَّه الشاعر النجمَ سهيلاً بإنسان، فحذفَ المشبه به وهو الإنسان، وترك شيئاً من لوازمه وهو «غوَّر»، على سبيل الاستعارة المكنية.

2- قال البحتري يرثي الخليفة المتوكل:

فما قاتلتْ عنه المنايا جنودُهُ ولا دافعتْ أملاكُه وذخائرُه

---

(1) المرجل: الوعاء الذي يُغلى فيه الماء لدرجة عالية.

(2) مضاء: قطعاً، صفة للسيف القاطع.

(3) ثمتَ: حرف عطف مثل ثمَّ. غوَّر: غاب.

في البيت استعارتان مكنيتان؛ الأولى في الشطر الأول إذ شبَّه الأعداء بالمنايا. فحذف المشبه به (الأعداء) فالاستعارة مكنية. وفي الشطر الثاني شبه الجنود بالأملاك، فحذف الجنود فالاستعارة مكنية.

3- قال السريّ الرفّاء يصف شِعره:

إذا ما صافحَ الأسماعَ يوماً تبسمتِ الضمائرُ والقلوبُ

شبه الشاعر الضمائرَ بإنسان يتبسَّم (تبسمتِ الضمائر)، فحذف المشبه به (وهو الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه (وهو التبسُّم) على سبيل الاستعارة المكنية.

4- وقال أيضاً:

مَواطنُ لم يَسحبْ بها الغَيُّ ذيلَهُ وكم للعوالي بينَها من مَساحبِ[1]

شَبه الشاعرُ الغيَّ بإنسان، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (وهو يسحب ذيله)، فالاستعارة مكنية.

5- قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: 4].

شُبه رأسُه بالوَقود، ثم حُذف المشبه به (وهو الوَقود)، ورُمز له بشيء من لوازمه (وهو الاشتعال) على سبيل الاستعارة المكنية.

6- قال إبراهيم اليازجي في يقظة العرب:

فيمَ التعلُّلُ بالآمالِ تخدَعُكم وأنتمُ بينَ راحاتِ القَنا سُلُبُ؟

في البيت استعارتانِ؛ الأولى في قوله (الآمال تخدعكم) في الشطر الأول؛ فقد شبه الآمالَ بإنسان يَخدع، فحذف المشبه به (وهو الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه (وهو تخدعُكم). فالاستعارة مكنية.

وقوله في الشطر الثاني (راحات القنا)؛ إذ شبَّه القنا (الرماح) بإنسان يُسلب، فحذف المشبه به (وهو الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه (وهو راحات). فالاستعارة مكنية.

---

(1) العوالي: ج عالية وهي الرماح. مواطن: أماكن.

7- وقال أيضاً:

اللهُ أكبرُ ما هذا المنامُ! فقد شكاكمُ المهدُ واشتاقَتْكمُ التُّربُ[1]

في البيت استعارتان؛ الأولى في قوله: «شكاكم المهد»، إذ شبه الشاعر المهدَ بإنسان يشكو، فحذف المشبه به (وهو الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه (وهو شكاكم). فالاستعارة مكنية.

وفي قوله: «اشتاقتكم التربُ»، إذ شبه التربَ بإنسان يشتاق، فحذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه (وهو اشتاقتكم). فالاستعارة مكنية.

8- وقال أيضاً:

وفارقَتْكم لطولِ الذلِّ نَخْوَتُكم فليس يؤلمكم خسفٌ ولا عَطَبُ[2]

شبه الشاعر النخوة بإنسان يفارق، فحذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الفعلُ تفارق، ولما كانت النخوة لا تفارق، فالاستعارة مكنية.

9- قال معروف الرصافي في الحضِّ على العلم وبناء المدارس:

جُودوا عليها بما دَرَّتْ مكاسِبُكم وقابِلوا باحتقارٍ كلَّ مَن بَخِلا[3]

في قوله: «درَّت مكاسبكم» استعارة مكنية؛ إذ شبه الشاعر المكاسب باللبن الذي تدرُّه الضروع، فحذف المشبه به (وهو الضروع)، وأبقى شيئاً من لوازمه (وهو الفعل دَرَّت).

10- وقال أيضاً:

فَجيِّشوا جيشَ علمٍ من شَبيبتنا عَرَمْرماً تضربُ الدنيا به المَثَلا[4]

---

(1) المهد: السرير. الترب: ج تراب وهو رمال الأرض، يريد القبور.

(2) الخسف: الظلم والإذلال. العطب: الهلاك.

(3) درَّت: أرسلت الدرّ وهو اللبن.

(4) جيِّشوا: جَهِّزوا الجيوش. عرمرم: كثير.

في قوله: «تضرب الدنيا» استعارة مكنية؛ إذ شبّه الدنيا بالإنسان، فحذف المشبه به (وهو الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الفعل «تضرب».

11- وقال أيضاً:

فـأَجمعوا الـرأيَ فيمـا تعملـونَ بـهِ ثـمَّ اعملـوا بنـشاطٍ يُنْكـرُ المِلَـلا

في قوله: «نشاط ينكر المللا» استعارة مكنية، فقد شبَّه النشاط بالإنسان، فحذف المشبه به (وهو الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو «ينكر».

12- قال الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي:

وُلدتْ هنا كلماتُنا

وُلدتْ هنا في الليل يا عودَ الذُّرَة

يا نجمةً مسجونةً في خيط ماء

يا ثديَ أمٍّ لم يعدْ فيه لبن

إن في كل سطر شعري استعارة مكنية، جاء بها الشاعر بإبداعه الفكري:

- ففي السطر الأول «ولدت هنا كلماتنا» شبه الشاعر الكلمات بالمولود، فحذف المشبه به (وهو المولود)، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الفعل (ولدت) على سبيل الاستعارة المكنية.

- وفي السطر الثاني «يا عودَ الذرة» نداءٌ لما لا يعقل، إذ شبه عود الذرة بالإنسان، فحذف المشبه به (وهو الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو فعل النداء[1]، على سبيل الاستعارة المكنية.

- وفي السطر الثالث «يا نجمةً مسجونة» شبه الشاعر النجمة بالإنسان، فحذف المشبه به (وهو الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو فعل النداء، على سبيل الاستعارة المكنية.

---

(1) المنادى في الأصل جملة فعلية؛ فقولك: يا علي، أي أدعو أو أنادي علياً.

- وفي السطر الرابع «يا ثديَ أم»، فحذف المشبه به (وهو الإنسان)، وأبقى شيئاً من لوازمه، وهو فعل النداء. على سبيل الاستعارة المكنية.

تدريبات على الاستعارة المكنية والتصريحية

استخرج مّما يلي الاستعارات المكنية والتصريحية واذكر سبب ذلك:

1- قال تعالى: ﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ [النحل: 112].

2- قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: 24].

3- قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6].

4- قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم: 1].

5- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: 154].

6- قال عبدةُ بن الطبيب يرثي نفسه:

ولقد علمتُ بأنَّ قَصريَ حفرةٌ ... غَبراءُ يحملني إليها شَرْجَعُ[1]

7- قال أبو تمام في رثاء أخيه:

للهِ مقلتُه والموتُ يكسرُها ... كأنَّ أجفانَها سكرى من الوسَنِ[2]

يردُّ أنفاسَه كَرْهاً وتعطفها ... يدُ المنيَّة عطفَ الريحِ للغُصُنِ[3]

8- قال التهامي في رثاء ابنه:

يا كوكباً ما كان أقصرَ عمرَهُ! ... وكذاك عمرُ كواكب الأسحارِ

9- قال زهير:

---

(1) شرجع: نعش.

(2) الوسن: النعاس. مقلته: عينه.

(3) المنية: الموت.

إذا فزعــوا طــاروا إلى مــستغيثِهم   طــوالَ الرمــاحِ لا ضــعافٌ ولا عُــزْلُ

10- وقال ابن الرومي يرثي ابنه الأوسط:

تــوخَّى حِمامُ الموت أوسط صبيتي   فللــهِ كيــف اختــارَ واسـطةَ العقــدِ؟

11- قال الحطيئة يستعطف عمرَ بن الخطاب كي يُفرج عنه من سجنه:

مــاذا تقــولُ لأفــراخٍ بــذي مَــرَخٍ   زُغْبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ؟[1]

ألقيــتَ كاسِــبَهم في قَعــرِ مُظلمــةٍ   فاغفرْ - عليك سلامُ الله - يا عمرُ[2]

12- قال الشاعر:

وذي رَحِــمٍ قَلَّمْــتُ أظفــارَ ضــغينةٍ   بحلمــيَ عنــه، وهْــوَ لــيسَ لــه حِلْــمُ[3]

13- قال ابن المعتز:

قــدِ انقــضتْ دولــةُ الــصيامِ وقــد   بــــشَّرَ سُــــقْمُ الهــــلالِ بالعيــــدِ

14- وقال أيضاً:

يــا نــسيمَ الريــاحِ مــن بلــدي   إنْ لم تفــرِّج همــي فــلا تَــرِدِ

15- قال عُبيد الله بن قيس الرُّقيّات:

لــو بكــتْ هــذه الــسماءُ علــى قــو   مِ كــرامٍ بكــتْ علينــا الــسماءُ

16- قال البحتري يصف جيشاً شهَر فيه الجنود سيوفَهم:

وإذا السلاحُ أضاءَ فيه رأى العِدا   بــرّاً تــألَّقَ فيــه بحــرُ حديــدِ

17- وقال الكميت:

خفـضْتُ لهـم مـني جنـاحَ مـودَّةٍ   إلى كَنــفٍ عِطفــاهُ أهــلٌ ومرحَــبُ

18- قال الشاعر:

فهــم يتــساقَونَ المنيــةَ بيــنَهُم   بأيــديهم بــيضٌ رقــاقُ المــضاربِ[4]

---

(1) ذو مرخ: اسم واد نضير. الزغب: أول ما يبدو من الريش والشعر.

(2) قعر مظلمة: السجن.

(3) الضغينة: الحقد. ذو رحم: قريب.

(4) بيض: سيوف مصقولة. رقاق المضارب: صفة للسيوف المصقولة الرقيقة الحادة.

19- قال لقيط يمدح قائداً:

ما انفكَّ يحلبُ هذا الدهرَ أشطُرَهُ   يكـونُ مُتَّبِعـاً طـوراً ومُتَّبَعـا

قال عُروة بن الورد:

20- فـإنْ فـازَ سـهمٌ للمنيَّـةِ لم أكـنْ   جَزوعاً، وهل عن ذاكَ من متأخَّرِ؟

الاستعارة التمثيلية:

هي تركيبٌ استُعمل في غيرِ ما وُضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعةٍ من إرادة المعنى الأصلي. وسُميت تمثيلية مع أن التمثيل عامّ في كل استعارة، للإشارة إلى عِظم شأنها. وهي مبنية على تشبيه التمثيل. وكلاهما أبلغ أنواع الاستعارات والتشابيه، ويهتم بهما البلغاء.

وإذا فشت الاستعارة التمثيلية وشاعت وكثر استعمالها تكون مَثَلاً. وهذا من أهم الاختلافات بينها وبين تشبيه التمثيل. ولا بدَّ لنا من وضع مقارنة بين الاستعارة التمثيلية وتشبيه التمثيل حتى لا تختلط الصورتان على القارئ.

وسنضع فيما يلي جدولاً كنا صنعناه في كتاب «جواهر البلاغة» نقلاً عن المؤلف.

بين تشبيه التمثيل والاستعارة التمثيلية

تشبيه التمثيل	الاستعارة التمثيلية
1- يذكر فيه المشبه والأداة.	1- لا تكون إلا في التراكيب.
2- يجوز أن يكون بين مفردين، نحو: المنافق كالحرباء.	2- نوع من المجاز، فهي أبلغ من التشبيه.
3- لا يصلح استعارةً دون حذف.	3- تحتاج إلى قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي.
4- لا يحتاج إلى قرينة معه تدلُّ على حقيقته.	4- يُحذف منها المشبه والأداة، ولا يبقى من أركان التشبيه إلا ما كان مشبهاً به.
5- تشبيه التمثيل نوع من الحقيقة.	5- تَصلح مشبهاً به دون حذف. والتشبيه معها أكثر ما يكونُ غيرَ تمثيل.

نماذج شعرية محلولة على الاستعارة التمثيلية

1- قال الشاعر:

ومَن ملكَ البلادَ بغيرِ حربٍ يهونُ عليه تسليمُ البلاد

والمعنى أنَّ مَن يستولي على بلادٍ دون مشقَّةٍ أو قتالٍ يهونُ عليه تسليمها لأعدائه. لكن الشاعر لم يقصد هذا المعنى، وإنما استعمله مجازاً للوارث الذي يبذِّرُ ما يرثُه عن والديه. فشبَّه الشاعر حال الوارث هذا بحال من يستولي على بلاد بلا تعب، بجامع التفريط فيما لا يُتعب في تحصيله، فالاستعارة تمثيلية.

2- قال البحتري:

إذا ما الجرحُ رُمَّ على فسادٍ تبيَّنَ فيه إهمالُ الطبيبِ[1]

شَبَّه من يصالح غيره والحقدُ لا يزال كامناً في قلبيهما، بحال الجرح يلتئم قبل أن يَنْظف ممّا به من فساد، بجامع عودة الأثر المؤلم. ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية.

3- قال الشاعر:

متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامَهُ إذا كنتَ تبنيهِ وغيرُك يهدِمُ؟

شَبَّه الشاعر حال مَن يبدأ بالإصلاح، ثم يأتي غيره فيُبطل ما عمله الأول اعتداداً بنفسه أو كراهةَ أن يُنسب الإصلاح لغيره، بحال البنيان يَنهض به أحدُهم حتى إذا كاد أن يتمَّ جاء غيره ليهدمه، بجامع عدم الوصول إلى الغاية في كلٍّ. ثم استُعير التركيب الدالُّ على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

---

(1) رُمَّ الجرح: التأمَ وعولج.

الاستعارة التمثيلية وضرب الأمثال:

اشتهرت الاستعارة التمثيلية في الأمثال السائرة، لأن الأمثال قيلت في زمان وحال وقصة معينة، فيستعيرها الإنسان ليمتثلها لحدثٍ وقع له شبيهٍ بما حدث لصاحب المثل، فيستعير المثل ليماثَلَ به ما جرى معه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

ولا بدَّ حين استخدام المثل السائر من أن يطابق حدثُه الحدث الذي يمتثله المتحدث. وقد يكون المثل نثراً كما قد يكون شعراً.

نماذج محلولة للاستعارة في الأمثال السائرة

1- **«لأمرٍ ما جدَعَ قصيرٌ أنفَه»**.

قيل هذا المثل في قَصير بن سعد اللخمي وزير جذيمة الأبرش ملك المناذرة. وكان جذيمة قد قتل أبا الزباء ملكة تدمر والجزيرة، فتبرع قصير ليعرف طويَّة الزباء وأسرار قصرها، فجدعَ أنفه وجاء لاجئاً إليها. فكشف سرَّها وعرف مخبأها.

يُضرب المثل لمن يحتال على حصول أمرٍ خفي عنه، فيتسَتَّر تحت أمرٍ ظاهر كي يبلغ مراده. فيقولون: إن مَثَلَه كمثل مَن جدع أنفه.

2- **«الصيفَ ضيَّعْتِ اللبنَ»**.

أولُ من قاله عمرو بن عمرٍو لزوجته دُخْتَنوس؛ فقد طلبت طلاقها منه لأنها تحب ابن عمها وكان فقيراً. فجاءته بعد حينٍ من طلاقها تطلب طعاماً، فقال لها المثل، أي إنك كنتِ في نعمة في الصيف حين كان الطعام نادراً. ولم يعطها شيئاً.

يُضرب المثل لمن فرَّط في تحصيل أمرٍ في زمان ما كان يحصل عليه بسهولة. ثم عاد ليطلبه في زمان يستحيل عليه الوصول إليه. فيقال في إجراء الاستعارة: شُبِّهت حال من فرَّط في أمرٍ زمنَ إمكانِ تحصيله، بحال الزوجة التي طُلقت من الزوج الثري، ثم رجعت إليه تطلب منه اللبنَ شتاءً (أيام السخاء) بجامع التفريط في كلٍّ. واستعيرَ الكلامُ الموضوعُ للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

3- «قَطعتْ جَهيزةُ قولَ كلِّ خطيبٍ».

أصل المثل أن قوماً اجتمعوا للتشاور في الصلح بين حَيَّين من العرب، قَتل رجلٌ من أحدهما رجلاً من الحي الآخر. وبينما كانوا يتشاورون جاءتهم فتاة تُدعى «جَهيزة» وهي أَمَةٌ عند القوم، فأخبرتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل وقتلوه، فقال أحدهم: «قَطعت جهيزةُ قولَ كلِّ خطيب»، فذهب قوله مثلاً.

يُضرب المثل لمن يأتي بالقول الفصل الذي ليس بعده حديث؛ فإن استشهد به أحدهم لهذا قيل: إنه أجرى استعارة تمثيلية.

4- **إذا قالت حَذامِ فصدِّقوها ... فإن القولَ ما قالت حذامِ**

البيت للشاعر لُجيم بن صعب و«حذامِ» زوجته، كانت ذات رأي سديد.

يضرب المثل في تصديق ما تَسمع إذا كان القائل معروفاً بسداد الرأي.

تدريبات شعرية من الأمثال

اقرأ ما يلي وافرِضْ حالاً تناسب المثل، وأجرِ الاستعارة التمثيلية بينهما:

1- **قُلْ ما بدا لكَ من زورٍ ومن كذبٍ ... حِلمي أَصَمُّ وما أذْني بصَمّاءِ**

2- **ولَرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ... ذَرْعاً، وعندَ الله منها المخرَجُ**

3- **ومَن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ ... يجدْ مُرّاً به الماءَ الزُّلالا**

4- **ملأى السنابلِ تَنْحني بتواضعٍ ... والفارغاتُ رؤوسُهنَّ شوامخُ**

5- **قال جميل بثينة:**

أرى كلَّ عودٍ نابتاً في أرومةٍ ... أبى منبتُ العيدانِ أن يتغَيَّرا

6- **قال الحطيئة:**

دعِ المكارمَ لا ترحَلْ لِبُغْيتها ... واقعُدْ فإنكَ أنتَ الطاعمُ الكاسي

تدريبات من الأمثال

1- «إذا جاء القَدَرُ عميَ البصرُ».

2- «استراحَ مَن لا عقلَ له».

3- «أنت تنفخُ في رماد».

4- «أنت تضربُ في حديدٍ بارد».

5- «إنَّ الحديدَ بالحديد يُفلح»[1].

6- «لكل جوادٍ كبوة».

7- «لا يضرُّ السحابَ نُباحُ الكلاب».

8- «أحلى من الشَّهد».

ملاحظة:

اعلم أن الاستعارة التمثيلية تحتاج إلى ثقافة، ومعرفة قصة المثل حتى تُحسن الاستشهاد به. ولا يجوز في المثل أن يغيَّر الضمير ولا المخاطب كالمثل: «الصيفَ ضيعتِ اللبن» فيجب أن تبقى تاؤه مكسورة في كل استشهاد، ولو كنت تخاطب مذكراً.

(1) يفلح: يتقطع.

المبحث الثالث: الكناية وأنواعها



تعريف الكناية: لفظ يُطلقه الإنسان ويريد به غيرَه، وقد يريد المعنى الحقيقي أيضاً. والكناية مصدر للفعل كَنوتُ وكنيتُ بكذا، إذا لم تردِ التصريح بالمقصود الحقيقي. والكناية اصطلاحاً: لفظ أريدَ به غيرُ معناه الذي وُضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته.

كقولك: «الناطقون بالضاد». معناه الحقيقي كل من ينطق حرف الضاد في الألف باء. لكنك عدلتَ عن هذا وعنيتَ العرب، فهذا كناية.

وقولك: «دار السلام» فهي تحتمل معنيين: الأول كل مكان آمن يعمُّ فيه السلام، والثاني هو بغداد. فأنت تركت المعنى الأول ولحقت بالمعنى الثاني، على سبيل الكناية.

وقولك: «صخرٌ طويلُ النِّجاد»، والنجاد: حمائل السيف. فالكلام يحتمل أن تكون حمائل سيفِ صخر طويلة حقاً، لكنك لا تريد هذا المعنى، بل تريد أنه طويل القامة، ممّا جعل حمائله تطول، وهذا القول كناية عن طول صخر وبالتالي عن شجاعته.

ولا تكون الكناية إلا إذا كان اللفظ ذا معنيين: قريب غير المراد، وبعيد هو المراد. ومثلُ ذلك أيضاً:

«فلانةٌ نظيفةُ المطبخ» كناية عن بخلها.

«فلان كثير الرّماد» كناية عن كرمه الزائد.

والخلاصة: أننا نعمد إلى معنىً من المعاني، فلا نعبر عنه باللفظ الصريح الذي يدل عليه، إنما نُعبر عنه بلازم من لوازمه الذي يختصُّ به ولا يفارقه إلى غيره.

أمثلــة

1- قالت الخنساء في أخيها صخر:

حَمّــالُ ألويــةٍ، هَبّــاطُ أوديــةٍ شَــهّاد أنديــةٍ، للجيــشِ جَــرّارُ

ففي البيت أربع كنايات هي:

- حمال ألوية: كناية عن أنه بطل يقود قومه في الحروب.
- هباط أودية: كناية عن أنه شجاع لا يعتصم بالجبال تخوُّفاً.
- شهاد أندية: ذو مكانة مرموقة بين قومه.
- للجيش جرّار: قائد مقدام غير هياب.

2- «فلان كبيرُ السنّ».

يبدو من الظاهر أنه ذو سن كبيرة، أو أسنانه كبيرة. وهم يريدون أن عمره طويل، لانقشاع اللثَة، فتبدو كأن سنه كبرت. فقولهم: «فلان كبير السن» كناية عن طول العمر وبلوغه سنَّ الشيخوخة.

نماذج محلولة

1- قال البحتري في وصف ذئب قتله بالنّبل:

فأتبعتُها أخرى فأضللتُ نصلها بحيثُ يكونُ اللبُّ والرعبُ والحقدُ

قوله: «بحيث يكون اللبُّ.. » كناية عن القلب. فهو لم يُرِد موضعاً توجد فيه هذه الأمور، بل أراد موطنها من الجسم. كما تقول: «موطنُ الخوف» فأنت لا تريد مكاناً مخوفاً، وإن كان هذا محتملاً، لكنك عنيتَ القلب، الذي فيه الخوف.

2- قال أبو نواس يصف الخمرة:

ولما شربناها ودبَّ دبيبُها إلى موطن الأسرارِ قلتُ لها: قفي

الكناية في هذا البيت شبيهة بالكناية في البيت السابق؛ فقوله: «موطن الأسرار» يحتمل معنيين: الأول المكان الذي تخزَّن فيه الأسرار، وهو محتمل لكن الشاعر لا يريده، بل أراد المعنى البعيد ألا وهو «القلب»، وهو كناية.

3- قال حسان بن ثابت:

يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابُهم   لا يسألون عن السَّوادِ المُقْبِلِ[1]

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم   شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأوَّلِ[2]

في عَجُز البيت الأول كناية عن كرمهم مهما كان عدد الضيوف. وفي البيت الثاني ثلاث كنايات:

- بيض الوجوه: كناية عن كرمهم.
- كريمة أحسابهم: كناية عن شرفهم وأصلهم الرفيع.
- شمّ الأنوف: كناية عن عزّتهم وحميّتهم.

4- قال إبراهيم اليازجي:

للهِ صبرُكمُ لو أنَّ صبرَكُمُ   في مُلتقى الخيلِ، حين الخيلُ تضطربُ

في البيت كنايتان: الأولى في قوله: «ملتقى الخيل» كناية عن ساحة الحرب. والثانية في قوله: «حين الخيلُ تضطربُ» كناية عن عنف المعركة في ساحة الوغى.

5- قال خير الدين الزركلي:

اللهُ للحِدْثانِ كيف تكيدُ   بردى يغيضُ وقاسيونُ يميدُ[3]

في البيت كنايتان: الأولى في قوله: «بردى يغيض» عبَّر بها الشاعر عن هول المصاب. والثانية في قوله: «قاسيون يميد» أيضاً كناية عن هول المصاب وعظمه.

---

(1) السواد المقبل: الطرّاق الوافدون.

(2) شم الأنوف: أعزة وذوو حمية.

(3) يغيض: يغور. يميد: يهتز. حدثان الدهر: نوائبه.

أنواع الكناية

تنقسم الكناية باعتبار المَكنِيّ عنه ثلاثة أقسام: كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، وكناية عن نسبة:

1- **كناية عن صفة:** هي الكناية التي يُطلب بها صفةٌ هي ما كان المَكْني عنه فيها صفةً ملازمة لموصوف مذكور في الكلام، نحو قولهم: «فلانةٌ بعيدةُ مَهوى القُرط». هو كناية عن طول رقبة المحبوبة. ومهوى القرط هو المسافة بين شحمة الأذن والكتف. وبدلاً من أن يقول العربي: فلانة طويلةُ العنق أتانا بصورة تفيد اتصاف المرأة بهذه الصفة الحسنة.

ومثله قولُ الخنساء في أخيها:

طويـلُ النجـاد، رفيـعُ العمـاد   كـثيرُ الرمـاد إذا مـا شَـتا

ففي البيت ثلاث كنايات عن صفة، هي:

- طويل النجاد: كناية عن طوله وشجاعته.
- رفيع العماد: كناية عن رفعته بين قومه.
- كثير الرماد: كناية عن كثرة ما يحرق من حطب دليلاً على كرمه.

فهي لم تُرد المعنى القريب، بل عمدت إلى وصفه بصفات لازمة تدل على مكانته بالكناية عن صفة.

2- **كناية عن موصوف:** يكون المكنيُّ بها موصوفاً، فيكون اسمَ ذات واحداً مثل «موطن الأسرار»، وهذا الاسم لا يوصف به، ولم يذكره الشاعر صراحة. ففي بيت البحتري السابق الذكر:

فأتبعتُها أخرى فأضللتُ نصلها   بحيثُ يكونُ اللبُّ والرعبُ والحقدُ

المكنيّ عنه هو القلب وهو اسم لا يوصف به، ولم يذكره الشاعر صراحةً، بل قال: أضعتُ النصل الثاني مكانَ اجتماع اللب والرعب والحقد، وهو القلب. فالكناية عن موصوف وهو القلب.

وقول الشاعر:

قومٌ ترى أرواحَهم يوم الوغى مشغوفةً بمواطنِ الكتمانِ

فالمكنيّ عنه هو القلب في قوله: «مواطن الكتمان»، فهو اسم لا يوصف به، ولم يذكر الشاعر الموصوف (القلب) صراحة، بل ذكره إشارة، فهو كناية عن موصوف.

3- **كناية عن نسبة:** وهي الكناية التي يُراد بها نسبةُ أمرٍ إلى آخر، ويكون المكنيّ عنه طرفينِ أحدُهما موصوف والآخر صفة. وتكون النسبة إليه إثباتاً أو نفياً، ملازماً للمعنى المفهوم من الكلام، كقول الشاعر:

إنَّ السماحةَ والمروءة والنَّدى في قُبَّةٍ ضُربت على ابن الحَشْرَجِ

فقد جعل الشاعر الأشياء الثلاثة في الشطر الأول في مكانه المختصِّ به ويستلزم إثباتَها له، فالكناية عن نسبة.

وكقول المتنبي:

إنَّ في ثوبك الذي المجدُ فيهِ لضياءً يُزري بكلِّ ضياءِ

فقد نسب الشاعر المجدَ إلى ثوب كافور، ولم ينسبه إليه مباشرة، فالكناية عن نسبة.

وكقول أبي العتاهية مادحاً:

ضَربتْ سُرادقَها المهابةُ فوقَها فإذا بدا بادتْ به الأعداءُ

فالمكنيّ عنه هو الممدوح والمهابة (الاثنان معاً)، والممدوح موصوف، والمهابة صفة. لكن الشاعر لم ينسب المهابةَ إلى الممدوح مباشرة. فالكناية عن نسبة في البيت وهي المهابة.

بلاغة الاستعارة والكناية:

تأتي بلاغة الاستعارة من ناحية اللفظ في أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ممّا يدفعك إلى تخيُّل صورة جديدة تُنسيك التشبيه الذي بُنيت عليه. ومن هنا جاءت الاستعارة أبلغ من التشبيه.

في حين أن الكناية تُمَكِّنُكَ من التعبير عن أمور كثيرة، يُتحاشى الإفصاحُ عنها احتراماً للسامع أو إيهاماً عليه أو تنزيهاً عمّا تَنبو عن سماعه. وكلاهما من ألطف أساليب البلاغة في أداء صورة بيانية تدفعك إلى التفكير بجمالها.

تدريبات عامة على الكناية

حدِّد فيما يلي الكناية، واذكر نوعها الذي عناه النصّ:

أ- من القرآن الكريم

1- ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: 12].

2- ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 18][1].

3- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5].

ب- من الشعر

4- قال دُريد بن الصِّمَّة راثياً أخاه عبدَ الله:

تَنادَوا فقالوا: أردتِ الخيلُ فارساً ... فقلتُ: أعبدُ الله ذلكمُ الرَّدي؟[2]

فإن يكُ عبدُ الله خلَّى مكانَهُ ... فما كان وَقّافاً ولا طائشَ اليدِ

5- قال الكميت في مدح بني هاشم:

أناسٌ بهم عزَّتْ قريشٌ فأصبحوا ... وفيهم خِباءُ المكرُماتِ المطنَّبُ[3]

6- قال عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تحبُّها؟ قلتُ: بَهراً ... عددَ النجوم والحصى والترابِ

---

(1) ينشأ في الحلية: يربّى في النعمة. الخصام: الجدال. غير مبين: غير قادر على الإبانة عما في ضميره.

(2) الردي: الهالك. خلى مكانه: مضى لسبيله، أي مات. الوقّاف: الجبان.

(3) الخباء: الخيمة. المطنب: المربوط بالحبل.

7- قال جرير:

أعَــدَّ الله للــشعراءِ مــني ... صـواعقَ يُخْـضعون لها الرِّقابا

8- قال امرؤ القيس:

وقـد أغتـدي والطـيرُ في وُكُناتِها ... بِمُنْجَـرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هيكَلِ[1]

9- قال الأخطل:

الخائضُ الغمرةَ الميمونُ طائرُهُ ... خليفةُ اللهِ يُستَسقى به المطرُ[2]

10-قال خير الدين الزركلي يصف تهاونَ أهل الشام:

لانتْ عريكـةُ قاطنيـهِ ومـا دَرَوا ... أنَّ الـضعيفَ معـذَّبٌ منكـودُ

خدعوكِ يا أمَّ الحضارة، فارتمتْ ... تجـني عليـك فيـالقٌ وجنـودُ

أُقْـصيتُ عنك ولـو ملكت أَعِنَّتي ... لم تنبـسط بـيني وبينـكِ بيْـدُ

11- قال أحمد شوقي في رثاء عمر المختار:

خُيِّرتَ فاخترتَ المبيتَ على الطَّوى ... لم تَـبْنِ جاهـاً أو تلـمَّ ثـراءَ[3]

لكنْ أخـو خيلٍ حَمى صَهَواتِها ... وأدارَ في أعرافِهـا الهيجـاءَ[4]

12- قال يزيد بن الحكم:

أصبحَ في قيدِك السماحةُ والـ ... ـمجدُ، وفضلُ الصلاحِ، والحسبُ

---

(1) الوكنات: أوكار الطيور، واحدها وُكنة. المنجرد: صفة حسنة للجواد القصير الشعر. الهيكل: الضخم. الأوابد: الوحوش، واحدها آبدة.

(2) الغمرة: الشدَّة. الميمون طائره: السعيد المحظوظ.

(3) الطوى: الجوع.

(4) الصهوات: ظهور الخيل. الأعراف: ما نبت من شعر على جباه الخيل. الهيجاء: الحرب.

الفصل الرابع

علم البديع

تعريف البديع:

البديع لغةً: المختَرَع الموجَد على غير مثال سابق، فهو اسم مفعول فعيل بمعنى مفعول. وقد يأتي مبالغة من اسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: 117] أي مُبدعها. من قولهم: بدعَ الشيءَ وأبدعه، أي اخترعه لا على مثال.

وأول من صنَّفَ فيه ابنُ المعتز (ت 274هـ). ثم اقتفى أثرَه في عصره قدامةُ بن جعفر، فأبو هلال العسكري، وابنُ رشيق القَيرواني، وصفي الدين الحِلِّي، وغيرهم. وزاد المتأخرون عليه كثيراً من الفنون[1].

وعلمُ البديع علم تُبحث فيه وجوهٌ تفيد الحسنَ في الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى المقام ووضوح الدَّلالة على المرام. ومرتبته في البلاغة بعد مرتبتَي علمي المعاني والبيان. ويفيد في إظهار رونق الكلام حتى يلجَ الأذنَ بغير إذن، ويتعلق بالقلب من غير كدّ.

وإن وجوه التحسين الزائد إما راجعة إلى تحسين المعنى أصالةً، وإن كان لا يخلو من تحسين اللفظ، وإما راجعة إلى تحسين اللفظ، فالأولى تَسمية معنوية، والأخرى تَسمية لفظية. فعلم البديع لا يتعدى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي.

فعلم البديع يتكون من لونين:

1- **محسنات لفظية**: أوصلَها بعضهم إلى حوالي عشرين محسناً، سندرس منها: الجناس، والسجع، والتصريع، ولزوم ما لا يلزم، والاقتباس.

2- **محسنات معنوية**: وتضم أكثر من أربعين محسناً، سندرس منها: التورية، الطباق، المقابلة، مراعاة النظير، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح.

---

(1) انظر تاريخ آداب اللغة العربية لمصطفى صادق الرافعي، وكتابنا «الاتجاهات الشعرية في العصر العثماني».

المبحث الأول: المحسنات اللفظية



1- الجناس:

هو أن يتشابه لفظان في النطق ويختلفا في المعنى. ويقال له: التجنيس، والتجانُس، والمجانسة. وهو زينة لفظية بديعة تجذب السامع إلى ما يقصده المتكلم. غير أن كثرته في الكلام معيبة، وقلته رغيبة.

والجناس نوعان أساسيان:

أ- جناس تام: وهو ما اتفق فيه لفظان في أمور أربعة، هي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها. بمعنى أن يكون اللفظان متطابقين تماماً حروفاً وضبطاً.

كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: 55]. فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالساعة الثانية المدّة المحددة زمانياً. فتقول: في الآية جناس تام بين ساعة وساعة.

أو كقول الشاعر يرثي ابنه يحيى:

وسميتُه يحيى ليحيا، فلم يكن ... إلى ردِّ أمرِ الله فيه سبيلُ

فيحيى اسم علم، ويحيا فعل مضارع فبينهما جناس تام. أما الألف فلا تغيِّر من تمامية الجناس.

وكقول أبي العلاء:

لم يبقَ غيرُك إنساناً يَلوذُ بهِ ... فلا برحتْ لعين الدهر إنسانا

فـ «إنساناً» الأولى بمعنى شخص، و«إنساناً» الثانية بؤبؤ العين. فبين اللفظين جناس تام.

ومثل قولهم: «ارعَ الجار ولو جار». فبين الكلمتين «جار» جناس تام، وإن كان الأول اسماً والثاني فعلاً.

وكقول أبي الفتح البُستي:

فهمتُ كتابَكَ يا سيدي فهمتُ، ولا عَجَبٌ أن أهيما

ففي البيت جناس تام بين «فهمت» من الفهم، وبين «همتُ» من الهيام، والفاء حرف عطف.

ب- جناس ناقص: وهو ما نقص أو اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور السابقة الذكر (نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها).

أمثلة على الجناس الناقص

1- تغيّر شكل الكلمة، نحو: بَرّ وبِرّ. فالأولى لليابسة، والثانية لعمل الخير، ومَرَّ ومُرّ.

وكقول ابن الفارض:

هَلاّ نَهاك نُهاك عن لوم امرئٍ لم يُلْفَ غير مُنَعَّمٍ بشقاءِ[1]

الجناس الناقص في «نَهاك» الأولى بمعنى منعك، والثانية «نُهاك» بمعنى عقلك، إذ اختلفت حركة النون بين الفتح والضم.

وكقول خليل مطران:

يا لَلْغروبِ وما به من عَبرةٍ للمستهامِ وعِبرَةٍ للرائي!

بين الكلمتين جناس ناقص لاختلاف حركة العين في الأولى ومعناها الدمعة بالفتح، وحركة العين بالثانية ومعناها العظة بالكسر.

2- تغير حرف في الكلمتين مع اختلاف المعنى، مثل: أشار وأشاد، أغار وأنار، بور ونور.

---

(1) يلفى: يوجد.

وقول عمر أبو ريشة:

كم نَبَتْ أسيافُنا في ملعب وكبَتْ أجيادُنا في ملعب

وكقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: 9-10].

ففي الآية جناس ناقص لاختلاف القاف والنون، بين «تقهر» و«تنهر».

وقوله تعالى: ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد: 15-16].

ففي الآية جناس ناقص بين القاف والتاء، بين «مقربة» و«متربة».

وقول الحطيئة:

مطاعينُ في الهَيْجا، مطاعيمُ في الدُّجى بَنى لهم آباؤهم وبنى الجَدُّ[1]

ففي البيت جناس ناقص لاختلاف النون والميم، بين «مطاعين» و«مطاعيم».

3- نقص حرف بين كلمتين مع اختلاف المعنى، مثل: شاد وأشاد، شذّ وشذر.

كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: 29-30][2].

ففي الآية جناس ناقص بنقص حرف هو الميم، بين «الساق» و«المساق».

أو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ [الفجر: 6-7][3].

ففي الآية جناس ناقص بنقص حرف هو الميم، بين «عاد» و«عماد».

أو قول الشاعر:

وإن كانت النُّعمى عليهم جَزَوا بها وإن أنعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا

ففي البيت جناسان ناقصان بالحروف، بين «النعمى وأنعموا»، و«كدّوا وكدّروا».

---

(1) مطاعين: فرسان يطعنون الأعداء. الهيجاء: الحرب. مطاعيم: يطعمون.

(2) التفَّت: التقت أو التصقت. المساق: سَوق العباد للجزاء.

(3) عاد: قوم هود على اسم أبيهم. إرم: اسم جدهم. ذات العماد: المحكمة الشديدة بالعمد. وصارت كلها اسم المدينة.

تدريبات على الجناس

حدِّد مما يلي الجناس التام من الجناس الناقص، وسبب النقص:

أ- من القرآن الكريم

1- ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: 94].

2- ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: 75].

3- ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: 83].

4- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1].

5- ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5].

ب- من الشعر

1- قال البحتري في وصف دمشق:

العيشُ في ليل داريّا إذا بَردا ... والخمرُ تمزجُها بالماء من بَرَدى

2- قال الشاعر:

أبياتُ شعري كالقُصو ... رِ ولا قصورَ بها يعوقُ

3- قال أبو تمام:

يمدُّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ ... تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ[1]

4- قال البحتري:

هل لِما فاتَ مِن تلاقٍ تَلافي ... أم لشاكٍ من الصَّبابةِ شافي؟

5- قال الحريري:

إذا ملكٌ لم يكن ذا هِبَهْ ... فدعْهُ فدولته ذاهِبَهْ

---

(1) سيف قاضب: قاطع. قاض: قاتل.

قال أحمد العناياتي (ت 1014هـ):

6- زادَ خطي وقلَّ حظي، فمن لي نقلُ نَقْطٍ من فوق خاء لطاء؟
وبشعري الغالي ترخَّصَ سِعري وبطبٍّ الفنون متُّ بدائي

واعلم أن الجناس عند كثير من النقاد غير محبوب ولا مرغوب، لأنه يضطر الشاعرَ إلى التعقيد من أجل الوصول إلى لفظ جناس. ويُقبل منه ما جاء عفو الخاطر وعلى الطبع من غير تصنُّع.

2- السجْع:

هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر. والسجْع إذاً خاص بالنثر، ويعادله «القافية» في الشعر و«الفاصلة» في القرآن. وأفضله ما جاء عفوَ الخاطر من غير عمد، وما كانت جمله متوازنة.

واشتهر العرب بالسجع منذ الجاهلية، وهو ما يقال له: «سجْع الكهان». كقول زَبْراء الكاهنة تحذر بني رِئام من أعدائهم:

«واللُّوحِ الخافقِ[1]، والليل الغاسق[2]، والصباح الشارق، والنجم الطارق[3]، والمُزْنِ الوادق[4]، إنَّ شجر الوادي ليأدو خَتْلاً[5]، ويحرُقُ أنياباً عُصْلاً[6]، وإنَّ صخرَ الطَّود لَيُنْذِرُ ثُكلاً[7]، ولا تجدون عنه مَعْلاً»[8].

---

(1) اللوح: الهواء ما بين الأرض والسماء. خفقت الريح: صوَّتت بهبوبها.

(2) الغاسق: المظلم.

(3) الطارق: الذي يأتي ليلاً، واسم نجم يدعى كوكب الصباح.

(4) المزن: السحاب. الوادق: الماطر.

(5) يأدو: يختلّ، يخدع. الختل: الخداع.

(6) العصل: المعوجّة.

(7) الطود: الجبل.

(8) المعل: الملجأ والملاذ.

ويلاحظ أن السجّاع يعمدون إلى السجع للإيهام والإبهام. لكنه ليس كذلك في غيره؛ فهو في الأمثال والحكم محبَّب ومقبول، كقولهم:

- «التَّرحة تُعقب الفرحة».[1]
- «تركُ الجواب جواب».
- «التجلُّد خيرٌ من التبلُّد».

والفاصلة في القرآن من أجل الإيقاع الموسيقي والتأثير في النفس، ولا سيما في السور المكية، كقوله تعالى من مطلع سورة الفجر:

﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾[2]. ومن جوامع الكلم عن النبي ﷺ ما وقع فيه سجع للتأثير في السامع:

- «عُمّالكم أعمالكم وكما تكونون يُولَّى عليكم».
- «العلماءُ ورثةُ الأنبياء».
- «المؤمنُ قصَّر نهارَه فصام، وطال ليلَه فقام».
- «زُرْ غِبّاً تزدَدْ حُبّاً».[3]

ومن أقوال الصحابة والتابعين:

- قال علي: «استغنِ عمَّن شئتَ تكنْ نظيرَهُ، واحتجْ إلى من شئتَ تكن أسيرَهُ، وأحسِنْ إلى من شئتَ تكن أميرَهُ».
- قال معاوية: «نحن الزمانُ مَن رفعناهُ ارتفع ومَن وضعناه اتَّضع».
- قال عمرو بن العاص: «من كثُرَ أصدقاؤه كثر غُرَماؤه»[4].

---

(1) الترحة: الحزن.

(2) ليال عشر: العشر الأول من ذي الحجة. الشفع: يوم النحر. الوتر: يوم عرفة.

(3) الغب: الزيارة بين الفينة والفينة.

(4) الغرماء: المطالبون.

- قال زياد ابن أبيه: «من سعادة المرءِ أن يطول عمرُه، ويرى في عدوّه ما يسرُّه».

وخير السجْع ما كان متوازيَ الفقرات، كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: 13-14] [1]. وقوله: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾ [المرسلات: 1-2] [2].

وكثر السجْع في العصر العباسي الثاني ولا سيما في المقامات، كقول الحريري من المقامة البغدادية:

«.. نَدَوْتُ بضَواحي الزَّوراء[3]، مع مشيخةٍ من الشعراء، لا يعلقُ لهم مُبارٍ بغبار، ولا يجري معهم مُمارٍ في مضمار[4]. فأفَضنا في حديثٍ يفضح الأزهار، إلى أن نَصَفْنا النهار..».

ثم تهالك الأدباء على السجْع حتى سَفَّ، وغطَّوا به المعاني السطحية، فغدا السجْع من الطبع من غير معنى مفيد. وازداد أدباء العصر العثماني وقُبيل عصر النهضة على هذا اللون من المحسنات اللغوية لجفاف قريحتهم بالمعاني المبتكرة.

فما جاء من السجع عفو الخاطر قُبل، وما جاء صنعة وعمداً رُذل.

3- الاقتباس والتضمين:

الاقتباس: أن يضمَّن الكلامُ شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف من دون الإشارة إلى ذلك. ويقع الاقتباس في الشعر والنثر. ويجوز أن يغيَّر في الأثر المقتبس قليلاً بحسب حاجة النص. كقول الحريري صاحب المقامات: «﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [يوسف: 45] وأميز صحيحَ القول من عليه».

---

(1) مرفوعة: مرتفعة. أكواب موضوعة: موضوعة أمامهم للشرب.

(2) المرسلات عرفاً: قسم برياح العذاب المتتابعة كعرف الفرس.

(3) ندوت: أقمت في النادي وهو المجلس. الزوراء: اسم دجلة بغداد.

(4) يعلق: يلصق. مبار: معارض. ممار: مجادل. المضمار: ميدان السباق.

ويَستخدم بعض الأدباء الاقتباس لإظهار معرفتهم وعلمهم، وقد ينجحون في اقتباسهم وقد يُخفقون. من ذلك:

1- قول ابن سناء الملك:

رحلوا فلستُ مُسائلاً عن دارِهم أنا «باخعٌ نفسي على آثارهم»[1]

ففي العُجز اقتباس من قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ [الكهف:6] مع تغيير طفيف في الضمير.

2- وقول عبد الله بن عمر الطرابلسي:

عُتِّقَتْ من «ألستُ» في الدنِّ قِدْماً قبلَ: يا ديرُ كنتَ معْ شمّاسك[2]

وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: 172]. كناية من الشاعر عن أقدم الأزمنة.

3- وقول منصور الشاعر:

ظُنَّ بالناس جميلاً واتبعِ الخيراتِ تسنمُ

واجتنبْ ظناً قبيحاً «إنَّ بعضَ الظنِّ إثمُ»

في العجز الأخير اقتباس كامل من قوله تعالى: ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: 12].

4- وقول عبد المؤمن الأنصاري:

«لا تَغُرَّنَّك من الظَّلَمَة كثرةُ الجيوش والأنصار ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: 42].

ففي كلامه اقتباس من القرآن الكريم.

---

(1) بخع نفسه: قتلها ظلماً.

(2) الدن: زق الخمر. الشماس: رتبة متواضعة لكاهن في الكنيسة.

أمّا التضمين: فهو أن يضمِّنَ الشاعر كلامه بيتاً أو بعض بيت من شعر غيره. فالخلاف بين الاقتباس والتضمين، أن الأول اقتباس من القرآن أو من الحديث، بينما التضمين اقتباس من الشعر أو النثر المشهورين. ويضع الشاعر ما ضمَّنه من كلام غيره ضمن هلالين صغيرين حتى لا يُتَّهم بالسرقة.

كقول الصاحب بن عبّاد:

إذا ضاقَ صدري وخفتُ العِدا   تمثَّلْتُ بيتاً بحالي يليقُ:
«فبااللهِ أبلغُ ما أرتجي   وبااللهِ أدفعُ ما لا أطيقُ»

ويجب أن يكون البيت المضمَّن من البحر والروي نفسه.

وقد يضمنون شطراً، كقول الحريري يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع:

على أني سأنشِدُ عند بيعي   «أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا»

وكقول محمد بن إبراهيم الحلبي يضمن شطراً لبشار:

كنا سمعنا بأوصافٍ كمُلَتْ بها   فسرَّنا ما سمعناهُ وأحيانا
من قبلِ رؤيتكم نلنا محبَّتكُمْ:   «والأذنُ تعشقُ قبل العين أحيانا»

التصريع:

هو في علم العروض أن تكون قافية الشطر الثاني ورويُّه على قافية الشطر الأول ورويّه، وعدُّوه من محسنات الصنعة اللفظية. ويكثر التصريع في البيت الأول من القصيدة (بيت المطلع)، ويُستحسن كثيراً كمطلع لامية العجم للطُّغَرائي:

أصالةُ الرأي صانَتْني عن الخَطَلِ   وحِليةُ الفضل زانَتْني لدى العطَلِ

وقول إبراهيم اليازجي في مطلع قصيدته ضد الاستبداد:

تنبَّهوا واستفيقوا أيها العربُ   فقد طمى الخطبُ حتى غاصتِ الرُّكبُ

وقد يقع التصريع وسط القصيدة، ويُقبل هذا من الشاعر إذا جاء عفو الخاطر، لكنه عيبٌ إذا تعمده. وعلى أي حال فإنْ جاء في وسط القصيدة ولزم الروي أن ينوَّن نُوِّن، كقول عمر أبو ريشة بعد بضعة أبيات:

كم نَبَتْ أسيافَنا في ملعبٍ وكبتْ أجيادُنا في ملعب

لزوم ما لا يلزم:

أطلق هذا المصطلح على منهج أبي العلاء في نظمه لديوان اللزوميات. وهو أن يلتزم الشاعر بأكثر مما هو مفروض عليه في القافية. فهو أن يجيء الشاعر قبل حرف الروي بحرف أو أكثر في أكثر من بيت ليس بلازم التقفية. وقد يلتزمه في القصيدة كلها، وهذا تصنُّع عسير يؤثر في المعنى لانشغال الشاعر بصنعته.

قال المعري:

قال المنجمُ والطبيبُ كلاهما: لا تُحشَرُ الأجسامُ. قلت: إليكما

إنْ صحَّ قولُكُما فلستُ بخاسرٍ أو صحَّ قولي فالخسارُ عليكما

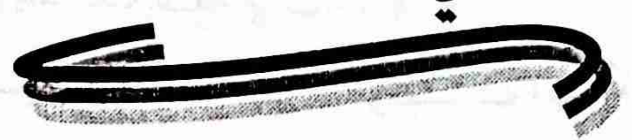
وكقول الشاعر:

يا محرِّقاً بالنار وجهَ محبِّه مهلاً فإنَّ مدامعي تُطفيهِ

أحرِقْ بها جسدي وكلَّ جوارحي واحرِصْ على قلبي فإنك فيهِ

وقد يردُ لزوم ما لا يلزم في النثر في فاصلتين أو أكثر، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

المبحث الثاني: المحسنات المعنويَّة



إذا كانت المحسنات اللفظية في تحسين الكلام باستخدام اللفظ، فإن المحسنات المعنوية هي في تحسين الكلام باستخدام المعنى عن طريق بلاغي بديعي. وهي كما ذكرنا أنواع عديدة نقتصر في دراستنا على ست محسنات معنوية منها:

1- التورية:

التورية لغةً: مصدرُ ورَّيت الخبر توريةً، إذا سترتَه وأظهرتَ غيره. واصطلاحاً: هي الإتيانُ بلفظ له معنيان، أحدهما قريب غيرُ مقصود، ودلالة اللفظ عليه واضحة. والثاني بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفيّة، فيتوهَّم السامع أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه، ولا يكشفها إلا الفطِنُ. ولهذا سميت التورية إيهاماً وتخييلاً.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:60] [1].

ففي قوله تعالى: «جرحتم» معنيان؛ الأول هو المعنى القريب للسامع من الجراحة. لكن المقصود هو المعنى البعيد والذي هو ما ارتكبتم من ذنوب وآثام.

ومثله قول الشاعر إسماعيل بن عبد الحق:

قالت: حبيبي قلْ لي: يا صاحِ من أيِّ قومِ؟
أرومُ هجرك إنْ لم تقلْ لنا. قلت: رومي

(1) جرحتم بالنهار: كسبتم فيه بجوارحكم من الإثم.

فقد أوهمنا الشاعر بالفعل «أروم» بمعنى أقصد. والكناية في قوله: «رومي» أي اقصدي بالمعنى القريب. لكن الشاعر طلب المعنى البعيد، وهو أنه من أهل الروم والنسبة «روميّ».

ومن طرائف التورية قول أبي الفتح بن عبد السلام في مدح القاضي «معروف» إذ أهداه حُلَّة، فقال فيه:

مخدومُنا قاضي قُضاةِ مدينتي صَفَدٍ، أحقُّ الناس بالتفضيلِ

أهدى لنحويْ من مَخيطِ ثيابهِ جُملاً، فأغناني عن التفصيلِ

فكلمة «تفصيل» تورية، معناها القريب قطعة القماش الجديد، لكن الشاعر عنى المعنى البعيد وهو الشرح.

وكقول سراج الدين الورّاق (ت 695هـ):

أصونُ أديمَ وجهي عن أناسٍ لقاءُ الموتِ عندَهُمُ الأديبُ[1]

وربُّ الشعر عندهمُ بغيضٌ ولو وافى به لهمُ «حبيبُ»

فلفظ «حبيب» له معنيان؛ الأول قريب وهو المحبوب المعشوق ولا يريده الشاعر، والآخر بعيد هو اسم علم أراد به حبيب بن أوس أبا تمام الشاعر.

2- الطباق:

هو الجمع بين لفظين متضادَّين في المعنى داخل الكلام. وقد يكون اللفظان:

1- اسمين، نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3] وفي الآية طباقان (أي مقابلة كما سيأتي).

2- فعلين، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: 13] أو قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: 43].

---

(1) الأديم: الجلد.

3- حرفين، كقوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: 228].

4- مختلفين، نحو قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ [الأنعام: 122].

تعليق على الشواهد:

1- جاء في الآية كلمتان متضادَّتان في المعنى، هما: الأول (الأقدم)، والآخر (الحديث). وكلمتان متضادَّتان أخريان هما: الباطن والظاهر، وهو الطباق.

2- جاء في الآية الأولى فعلان متضادان الأول «يموت» والثاني «يحيا» فبينهما طباق. وكذا طباق بين فعلين متضادين في المعنى هما «أضحك وأبكى».

3- جاء في الآية الجار والمجرور «لهن» وضده الجار والمجرور «عليهن»، فبينهما طباق.

4- جاء في الآية «ميتاً» وهو اسم، وهو ضد «أحييناه» في المعنى. فكان بينهما طباق وإن كانا مختلفين بين الاسمية والفعلية.

أنواع الطباق:

والطباق نوعان:

أ- **طباق الإيجاب**: وهو ما لم يختلف فيه الضدّان إيجاباً وسلباً، بمعنى أنه الجمع بين الشيء ونقيضه، ولا خلافَ بين الكلمتين المتضادَّتين بأن تكون الواحدة فعلاً والأخرى اسماً. كقوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: 18]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾.

ب- **طباق السلب**: وهو ما اختلف فيه الضدّان إيجاباً وسلباً. أي هو الجمع بين اللفظ ومنفيّه بأداة نفي، مثل: ضحك ولم يضحك.

وكقوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: 108]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 9].

فالطباق في الآيتين وقع سلباً بحرف النفي «لا».

نماذج عامة على الطباق

1- قال حاتم الطائي:

أماويَّ إنَّ المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكرُ

2- قال عروة بن الورد:

أقِلِّي عليَّ اللومَ يا بنتَ منذرٍ ونامي وإن لم تَشتهي النومَ فاسهري

3- قال الشاعر في هرم:

ولو رأى هَرِمٌ معشارَ نائلهِ لقيلَ في هرمٍ: قد جُنَّ أو هرِما

4- قال جميل بثينة:

يموت الهوى مني إذا ما لقيتُها ويحيا إذا ما فارقْتُها فيعودُ

5- قال امرؤ القيس:

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبحٍ، وما الإصباحُ منك بأمثلِ

6- قالت الخنساء:

ألا يا عينِ فانْهمري بغَزْرِ وفيضي فيضةً من غير نَزْرِ [1]

7- قال حسان في هجاء أبي سفيان والدفاع عن النبي ﷺ:

أتهجوهُ ولستَ له بكفءٍ فشَرُّكما لخيرِكما الفداءُ

8- قال تعالى: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: 73].

9- قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون: 3].

10- قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: 37] [2].

---

(1) نزر: قليل.

(2) عِزين: جماعات متفرقين.

ملاحظة:

إن إيقاع الطباق في الكلام جميل وموسيقي، ما لم يكثر أو يُصطنع البحث عنه في الكلام، فإنَّ كثرته مرفوضة لأن الشاعر ينشغل بالبحث عن اللفظ وما يقابله على حساب المعنى الذي يريده.

3- المقابلة:

وهو أن يؤتَى بلفظين أو أكثر مع ما يقابلهما، أو بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتَى بما يقابل ذلك على الترتيب، بمعنى اجتماع أكثر من طباق في الجملة الواحدة.

كقول الشاعر:

وناصحٍ بمَرَاقي الخيرِ مؤتمنٍ وفاضحٍ لمهاوي الشرِّ منتَقَدِ

فقد تقابل أربعةٌ بأربعة: ناصح وفاضح، مراقي ومهاوي، الخير والشر، مؤتمن ومنتقد. ففي البيت مقابلة.

وقول امرئ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ، مُقبلٍ مُدبرٍ معاً كجلمودِ صخرٍ حطَّهُ السيلُ من علِ

فبين «مكر مفر» طباق، و«مقبل مدبر» طباق. ففي البيت مقابلة.

وقول جميل بثينة:

يموت الهوى مني إذا ما لقيتُها ويحيا إذا ما فارقْتُها فيعودُ

فقوله: «يموت ويحيا» طباق، و«لقيتها وفارقتها» طباق، فاجتمع في البيت مقابلة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: 80-81].

جاء في الآية أربعة معانٍ، كل اثنتين متقابلتان.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: 5-10].

أمعن النظر في هذه الآيات الست، تجد أن معاني الثلاث الأول يقابلها المعاني في الثلاث الثانية. ففي الآيات مقابلة بلاغية توضح المعاني التي يتعظ بها المؤمن.

تدريبات على المقابلة

استخرج مما يلي المعاني والألفاظ وما يقابلها:

1- قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف: 157].

2- قال تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد: 23].

3- خاطب رسول الله ﷺ الأنصار فقال: «إنكم لتكثرونَ عند الفزع، وتَقِلُّون عند الطمع».

4- قال خالد بن صفوانَ يصف رجلاً: «ليس له صديق في السر، ولا عدوٌّ في العلانية».

5- قال أبو تمام:

يا أمَّةً كان قبحُ الجَوْرِ يُسْخِطُها ... دهراً، فأصبح حُسنُ العدلِ يُرْضيها

6- قال النابغة الجعدي:

فتًى تمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقَه ... على أنَّ فيه ما يسوءُ الأعاديا

7- قال المتنبي:

أزورُهم وسوادُ الليل يشفعُ لي ... وأنثني وبياضُ الصبح يُغْري بي

4- مراعاة النظير:

هي الجمع بين أمور متناسبة لا على جهة التضاد، كذكرك في جملة واحدة: القلم، والورق، والحبر. أو جمعك كلمات توحي لك بأخرى عن طريق التماثل، كأن تقول:

هاجم الصهاينة غزة هاشم الباسلة فأوقعت بين الناس قتلى وجرحى، من الشباب والشيوخ والأطفال.

فبمجرد ذكرك الصهاينة ستتلاحق عليك: القتلى والجرحى، وبالتالي سيكون هناك من القتلى أطفال وشيوخ وشباب يدافعون عن الوطن. هذه المفردات المتناظرة والموحية لك بِنَديداتها تدعى «مراعاة نظير» يذكرها المتكلم فيتذكرها السامع.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ [البقرة:16].

فبمجرد ذكر الفعل «اشتروا» سيترامى إلى مخيلتك الربح والتجارة. ففي الآية مراعاة نظير في الشراء والربح والتجارة. كما أن الضلالة تُذكرك بالهدى.

فقد تكون مراعاة النظير في مفردتين، كما قد تكون بأكثر من ذلك. وليس شرطاً أن تكون المفردات متضادة، لكن معنى الأولى يقودك إلى نظيرها أو نظرائها.

وكقول الشاعر:

كأنَّ الثريّا عُلّقت في جَبينها ... وفي نحرِها الشِّعرى وفي خدِّها القمرْ

فبين: الثريا، والشعرى، والقمر، مراعاة نظير.

وقول الآخر:

والطلُّ في سِلك الغصونِ كلؤلؤٍ ... رطبٍ يصافحُه النسيمُ فيسقطُ

والطيرُ يقرأُ والغديرُ صحيفةٌ ... والريحُ تكتبُ والغمامُ ينقّطُ

ففي البيت مراعاتا نظير؛ فالأولى في: الطلّ، الغصون، النسيم، الريح، الغمام. والثانية في: يقرأ، صحيفة، تكتب، ينقط.

5- تأكيدُ المدح بما يشبه الذمّ:

وهو ضربان، والأول أبلغ من الثاني:

الأول: أن يُستثنى من صفة ذمٍّ منفيّة عن الشيء صفةُ مدحٍ بتقدير دخولها فيها. كقول النابغة الذبياني:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائب

أي إن كان تكسُّر سيوفهم من مصارعة الجيوش عيباً، فهذا هو عيبُهم ليس غير. وواضح أن هذا ليس عيباً. فأوهمَ الشاعر أنه يذمهم، في حين أنه مدحهم خير مديح.

ومثله قول ابن الرومي:

ليس به عيبٌ سوى أنه لا تقعُ العينُ على شبهه

إن محبوب الشاعر جميل جداً، وعيبه الوحيد ألاّ نظير له. فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم.

الثاني: أن يُثبَتَ لشيء صفةُ مدح، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء أو أداة فرض، تليها صفة مدح أخرى.

كقول الشاعر:

ولا عيبَ في معروفهم غيرَ أنه يبيِّنُ عجزَ الشاكرينَ عن الشكرِ

ومثال على أداة الفرض قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: 21].

وقول المعري في سِقْط الزَّند:

يذيبُ الرعبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغمدُ يُمسكه لسالا[1]

6- تأكيد الذمّ بما يشبه المدح:

وهو كذلك ضربان:

الأول: أن يُستثنى، من صفة مدحٍ منفيةٍ عن الشيء، صفةُ ذم. كقول الشاعر:

(1) العضب: السيف القوي.

خــلا مــن الفــضل غــيرَ أنــي أراهُ في الحمـــقِ لا يُجـــارى

فالبيت في الذم والهجاء، ثم جاء بالاستثناء إيهاماً بأنه سيمدحه في جانب معين، غير أنه زاد في هجائه؛ فمهجُوه خالٍ من أي فضيلة، ويزيد عليه أنه شديد الحمق.

وقولهم: «لا فضلَ للقوم إلا أنهم لا يعرفون للجار حقَّه».

وقولهم: «الجاهلُ عدوُّ نفسه، إلا أنه صديقُ السفهاء».

الثاني: أن يُثبتَ لشيء صفةُ ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء أو أداة استدراك تليها صفةُ ذم أخرى، كقول بعضهم: «فلانٌ حسودٌ إلا أنه نمّام». فصفة الذم حاصلة في قوله: «حسود» وزاد عليها بأنه نمام.

وكقول الشاعر:

لئــيمُ الطبـــاع سِـــوى أنـــه جبـــانٌ يهـــونُ عليـــه الهـــوانُ

ملاحظة:

إن تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه يتألف من جملتين يعترضهما:

أ- استثناء، مثل: إلا، غير، سوى.

ب- أداة فرض، مثل: لو، لولا.

ج- أداة استدراك، مثل: لكنْ.

وهما من المحسنات البديعية التي تدل على براعة الشاعر أو الكاتب في التلاعب اللفظي.

تدريبات عامة



بين يديك عزيزي الطالب ثلاثةُ نصوص للتدريب؛ حاول أن تستخرج منها كل ما درسته في علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، بهدف غرس السليقة البلاغية في نفسك (وهو ما يسمى الإعراب البياني).

أ- من القرآن الكريم

قال تعالى من أول سورة الممتحنة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة: 1-5][1].

---

(١) أولياء: أعواناً تُوادّونهم وتُناصحونهم. أن تؤمنوا: كراهة إيمانكم، أو لإيمانكم. يثقفوكم: يظفروا بكم. برآء: أبرياء. إليك أنبنا: إليك رجعنا تائبين.

ب- نص شعري من العصر العباسي

قال الشريف الرضي من حجازياته:

1- يا ظبيةَ البانِ تَرعى في خمائلهِ ... لِيَهْنِكِ اليومَ أنَّ القلبَ مرعاكِ[1]

2- الماءُ عندكِ مبذول لشاربهِ ... وليس يَرويكِ إلا مَدْمعي الباكي

3- هبَّتْ لنا من رياحِ الغَوْر رائحةٌ ... بعدَ الرُّقادِ عَرَفناها بِريّاكِ[2]

4- ثم انثنينا إذا ما هزَّنا طربٌ ... على الرِّحالِ تَعَلَّلْنا بذكراكِ[3]

5- سهمٌ أصابَ وراميهِ بذي سَلَمٍ ... مَن بالعراقِ لقد أبعدْتِ مرماكِ[4]

6- وعدٌ لعينيكِ عندي ما وفَيْتِ بهِ ... يا قُرْبَ ما كذَّبَتْ عينَيَّ عيناكِ

7- حكَتْ لحاظُكِ ما في الريمِ من مُلَحٍ ... يومَ اللقاءِ، وكانَ الفضلُ للحاكي[5]

8- كأنَّ طرفَكِ يومَ الجِزْعِ يخبرُنا ... فما أمرُكِ في قلبي وأحلاكِ[6]

9- عندي رسائلُ شوقٍ لستُ أذكرُها ... لولا الرقيبُ لقد بلَّغْتُها فاكِ

10- هامتْ بك العينُ لم تُتْبِعِ سِواكِ هَوًى ... مَن علَّمَ البَيْنَ أن القلب يهواكِ؟[7]

ج- نص من الشعر الحديث

قال الشاعر القروي يشارك أبطال الثورة السورية في جبل العرب ضد الفرنسيين:

---

(1) البان: شجر لين يؤخذ من حبه دهن طيب؛ يشبَّه به القدّ. الخمائل: الأشجار الملتفَّة. (تشبيه تمثيلي).

(2) الغَور: البلاد المنخفضة عند جبال الحجاز وتسمى تهامة.

(3) انثنينا: رجعنا. الرحال: ج الرحل وهو سرج البعير. تعللنا: تسلينا.

(4) ذو سلم: موضع بالحجاز. أبعدت مرماك: رميتِ بعيداً لقوتك.

(5) حكت: شابهت. اللحاظ: العيون. الريم: الظبي الخالص البياض. الملح: بياض يخالطه سواد.

(6) الجزع: موضع قرب الطائف. فقد لقيها مرتين.

(7) هامت: عشقت. والعين هنا مجاز مرسل أراد بها صاحبها. البين: البعد.

1-	بـدتْ ولهـى ممزَّقـةَ القِنـاعِ	فقلـتُ لهـا: فـديْتُك لا تُراعـي[1]
2-	فـدونَ حمـاكِ أبطـالُ العـوالي	مـؤزَّرةً بأبطـالِ الـيراعِ[2]
3-	رمـاحٌ كالأفـاعي مُـشْرَعاتٌ	وأقـلامٌ كأنيـابِ الأفـاعي[3]
4-	أطِلِّـي واشـهدي مـنهم هجومـاً	تَـرَيْ وَثْبَ القـلاعِ على القـلاعِ
5-	وهـل عربيَّـةٌ هـذا أخوهـا	تُـراعُ إذا دعـا للحـربِ داعِ؟
6-	فرنـسة، لـيس في حـورانَ لحـمٌ	يَـسُرُّ بنيـكِ يـا أمَّ الـضِّباعِ
7-	وهـل لاقَيـتِ في حـورانَ إلا	مآسِدُ خِلْتِها جهـلاً مراعـي؟[4]
8-	طرقْـتِ ضِـياعَها غـدراً فـشِمْنا	ضَياعَ الأمنِ في تلك الضِّياعِ[5]

---

(1) بدت: ظهرت. ولهى: اسم امرأة. القناع: الحجاب. لا تراعي: لا تخافي.

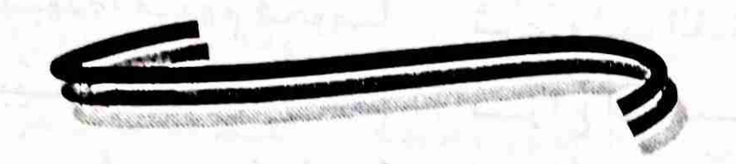
(2) الحمى: الوطن. العوالي: الرماح الطويلة. مؤزرة: مؤازرة. اليراع: القلم.

(3) مشرعات: مجهَّزة للضرب، مسدَّدات.

(4) مآسد: ج مأسدة وهي عرين الأسد. مراعي: سهول.

(5) شمنا: رأينا.

المصطلحات البلاغية



علوم البلاغة بحرٌ واسع، ومصطلحاته كثيرة جداً لمّا تُجمعْ كاملة. ويجد القارئ الكريم في الصفحات القادمة جانباً من هذه المصطلحات، ممّا لم يردْ ذكره في الكتاب، وقد يمرُّ به مصطلح في دراسته ويريد معرفة مضمونه.

ولقد حاولنا – ما وسعنا – أن نذكر المصطلحات من وراء دروس البلاغة، ممّا ذكره الجرجاني والهاشمي والجارم وغيرهم.. لكنَّ ضيق مجال الكتاب، دفعنا إلى تخيُّر مصطلحات لم تُذكر أو ذُكرت عَرضاً.

ورتَّبنا المصطلحات ترتيباً هجائياً دقيقاً لنعين القارئ على الوصول إلى بغيته. وشرحنا المصطلح، وذكرنا الشاهد الذي يزيد شرحنا وضوحاً، فلعل القارئ والمُطالع يزداد استفادةً، وهو هدفنا.

الإبهام:

لونٌ من ألوان الكناية، يأتي الكاتب فيه بكلام يحتمل معنيين متضادَّين، دون أي قرينة ترجِّح أحدهما على الآخر، ولا يمكن فهم المعنى إلا بشرح من الأديب أو الناقد. وقد يتعمد الأديب الإبهام تعمداً لقصد معنىً يحتملُ الوجهين خوفاً من التصريح، أو بقصد المداعبة. ولهذا سمَّوه التَّعمية أيضاً.

ومن ذلك قول الشاعر بشار بن برد في خياط اسمه عمرٌو، وهو أعور. فقال فيه، ويذكر الشاعر في البيت الثاني أنه مدح أو هجاء، تعمداً في الإبهام:

خاطَ لي عمروٌ قُبا ليتَ عينيهِ سَوا
قلتُ شعراً ليس يُدْرى أمديحٌ أم هجا؟

فهل قصد الشاعر الدعاء لعمرٍو، بأن تصحَّ عينه المريضة، أو الدعاءَ عليه بأن تلحق الصحيحةُ المريضة، فتعمى عيناه؟

إجراء الاستعارة:

هو تحليل الاستعارة إلى عناصرها الأساسية التي تتألف منها. وهذا الأمر يقتضي تعيين المشبَّه (المستعار له)، والمشبَّه به (المستعار منه)، وعلاقة المشابهة، ونوع الاستعارة، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، نحو: «ضحكت الأشجارُ». حيث شُبهت الأشجار بالإنسان بجامع البياض (في أسنان الإنسان وأزهار الأشجار)، ثم حُذف المشبَّه به، ورُمز إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظة «ضحكت». والاستعارة هنا مكنية لأن المشبه به هو المحذوف.

أركان الاستعارة:

أركان الاستعارة ثلاثة: المستعار منه (المشبه به)، والمستعار له (المشبه)، ووجه الاستعارة (وجه الشبه)، ولا يستغنى عنها في الاستعارة.

أركان التشبيه:

أركان التشبيه أربعة، وهي: المشبه، والمشبه به (ويسميان طرفي التشبيه)، وأداة التشبيه، ووجه الشبه. وبوجودها أو وجود بعضها يحدَّد نوع التشبيه.

الاستعارة الأصلية:

هي الاستعارة التي تجري في الأسماء الجامدة، قد تكون تصريحية أو مكنية، نحو قول المعري:

فتى عشقَتْه البابليةُ حقبةً فلم يَشْفِها منه برشْفٍ ولا لثْمِ

فالمشبه هو «البابلية» وهي اسم الخمر، وهي اسم جامد. وسُمّيت أصلية لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخرَ معتبَر أولاً.

الاستعارة التَّبعية:

هي الاستعارة التي تجري في الأفعال، والمشتقات، والحروف، والأسماء المبهمة، نحو قول القَطَاميّ:

نَقْريهمُ لَهْذَميّاتٍ نَقُدُّ بها ... ما كان خاطَ عليهم كلُّ زَرّادِ[1]

فالاستعارة في قوله: «نقريهم»، حيث شُبهت اللهذميات بالقِرى (وهو الكرم) بجامع الإعطاء للآخر. ثم اشتق من المشبَّه الفعلُ «نقريهم». وسميت تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى، لأنها في المشتقات تابعة للمصادر، وفي معاني الحروف تابعة لمتعلّق معانيها.

الاستعارة التخييلية:

هي الاستعارة التي يكون فيها المستعار له (المشبَّه) غير محقَّق لا حساً ولا عقلاً. نحو: «أنشبتِ المنيَّةُ أظفارها».

الاستعارة التَّمليحية:

هي ما استُعمل في ضده أو نقيضه، نحو الآية: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: 21]، حيث استُعيرت البشارة التي هي الإخبار بالأنباء المفرحة للإنذار الذي هو ضدُّها، بإدخاله في جنسها على سبيل الاستهزاء.

الاستعارة المجرَّدة:

هي الاستعارة التي قُرنت بملائم المستعار له (المشبَّه)، نحو: «رأيتُ بحراً على فرسٍ يعطي». وسميت مجردة لتجريدها من بعض المبالغة لبُعْدِ المشبه حينئذ من المشبه به بعضَ بُعْدٍ، وذلك بِبُعد دعوى الاتحاد الذي هو مَبنى الاستعارة.

---

(1) نقريهم: نكرمهم ونُضيفهم. اللهذميات: السيوف. نقدُّ: نقطع. الزرّاد: صانع الزرد.

وهي التي ذُكر معها ما يلائم المشبه، بعد استيفاء القرينة لفظيةً أو حاليةً. ولهذا تُسمى قرينة التصريحية تجريداً، كقولهم: «كان فلان أكتبَ الناس إذا شرب قلمُه من دواته أو غنَّى فوق قرطاسه».

الاستعارة المرشَّحة:

هي الاستعارة التي ذُكر فيها ما يلائم المشبه به بعد استيفاء القرينة، نحو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ [البقرة: 16]، حيث استعير الشراءُ للاختيار، ثم فرَّع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة.

الاستعارة المطلقة:

هي الاستعارة التي خلت من مُلائمات المشبه والمشبه به، أو هي ما ذُكر معها ما يلائم المشبه والمشبه به معاً. ومن أمثلة النوع الأول قول المتنبي مخاطباً سيف الدولة:

يا بدرُ، يا بحرُ، يا غمامةُ، يا ليثَ الشَّرى، يا حِمامُ، يا رجلُ

فقد شبه الشاعر الممدوح بالبدر، والبحر، والغمامة، وليث الشرى، والحمام، ولم يذكر ملائمات المشبه والمشبه به. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي النداء.

ومن أمثلة النوع الثاني قولُ كثيِّر عزَّة:

رَمَتْني بسهمٍ ريشُه الكحلُ لم يَضِرْ ظواهرَ جلدي وهْوَ للقلبِ جارحُ

فقد شبه الشاعر جفن حبيبته بالسهم بجامع الإصابة بالضرر والأذى، ثم استعار اللفظ الدالَّ على المشبه به (وهو السهم) للمشبه (وهو الجفن) على سبيل الاستعارة التصريحية. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي الكحل. وقد اقترن بهذه الاستعارة ملائمٌ للمشبه به وهو «الريش»، وملائم آخر للمشبه وهو «الكحل».

الاستعانة:

هي أن يُضمّن الشاعرُ قصيدته شطراً أو بيتاً أو أكثر لسواه، لإتمام المعنى المقصود. وهو اسم آخر للتضمين.

الاستفهام البلاغي:

الاستفهام: طلبُ العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبلُ، وله أدواته المعروفه. أما الاستفهام البلاغي فهو خروج عن معنى الاستفهام الأصلي لمعانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام كالنفي، والإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتعظيم، والتحقير، والاستبطاء، والتعجب، والتَّسوية، والتمني، والتشويق. مثال على الاستفهام البلاغي في النفي، قولُ البحتري:

هلِ الدهرُ إلا غمرةٌ وانجلاؤها وَشيكاً، وإلا ضِيقةٌ وانفراجها؟

ومثال على الاستبطاء قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: **214**].

الاستفهام التقريري:

هو الاستفهام الذي يُراد منه ثبوتُ الشيء المسؤول عنه، أي طلب الاعتراف بوقوعه، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ [الشرح: 1-2]، أي فعلنا.

الاستقصاء:

هو تناول الأديب معنًى، ثم يستقصيه، أي يعالجه ويشرحه حتى لا يترك فيه شيئاً إلا عالجه، كقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾. فلو اقتصر الله تعالى على قوله: «جنة» لكان الخبر كافياً، ولكنه استقصى، فقال: «من نخيل وأعناب»، ثم زاد: «تجري من تحتها الأنهار»، ثم أضاف تعالى: «له فيها من كلِّ الثمرات» فهذا استقصاء في المعنى.

وتتمة الآية: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾. [البقرة: 266] كذلك هنا استقصاء بعد قوله: «وأصابه الكبرُ».

الإشارة:

هي إيماء المتكلم إلى معانٍ شتى بلفظ وجيز، كقوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: 44].

الاشتراك:

هو في علم البديع أن يذكر المتكلمُ لفظةً مشتركة بين معنيين، فيتبادر إلى ذهن السامع أنه يقصد معنًى منهما، فيبادر المتكلم إلى تصحيح هذا الاعتقاد، وإيضاح المعنى المقصود، ومنه قولُ كثير عزة:

وأنتِ التي حَبَّبتِ كلَّ قصيرةٍ ... إليَّ، ولم تعلمْ بذلك القصائرُ
عَنَيتُ قصيراتِ الحجالِ، ولم أُرِدْ ... قُصارى الخطا شرُّ النساءِ البحاترُ

وهو غير «التوهيم» فانظره.

الاطِّراد:

هو نوع من الصنعة البديعية التي تدلُّ على براعة الشاعر، بأن يذكر الأسماء في البيت من غير كلفة ولا حشو. وهو أن يورد الشاعر اسم ممدوحه وأسماء آبائه مرتبةً بحسب الولادة والبُنُوَّة في بيت شعري واحد من غير تكلف أو تعسُّف، كالماء الجاري. كقول دُريد بن الصمَّة:

قَتلنا بعبدِ اللهِ خيرَ لِداتهِ ... ذُؤابَ بنَ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قاربِ[1]

(1) اللدة: من ولد معك. ذؤاب: من غطفان قتله دريد بثأر أخيه عبد الله كما في الأصمعيات: 111، والأغاني: 10/ 13.

ولما سمع عبد الملك بنُ مروان قوله قال كالمتعجب: لولا القافية لبلغَ به آدم! ومثله قول الشاعر:

أقيسَ بنَ مسعودِ بنِ قيسِ بنِ خالدٍ وأنـت امـرؤٌ ترجـو شـبابَكَ وائـلُ

الإعراب البياني:

هو إظهار ما في الكلام من علوم البيان والمعاني والبديع وتحليله.

الالتفات:

هو، في علم المعاني، الانتقالُ من ضمير إلى ضمير آخر في أثناء الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: 22]. فقد كان الكلام في أول الآية بصيغة المخاطب «كنتم»، ثم تحوَّل إلى الإخبار «جرين بهم».

الإلغاز:

هو، في علم البديع، التعبيرُ عن الشيء بعبارات يدلُّ ظاهرها على غيره وباطنها عليه، ويسمى المعمَّى. ومنه قول ابن منير الطرابلسي في «الضرس»:

وصـاحبٍ لا أمَـلُّ الـدهرَ صـحبتَه يَشقى لنفعي ويَسعى سعيَ مجتهدِ

لم ألقَـه مـذ تعارفنـا، فمـذ نظـرتْ عـيني إليـه، افترقنـا فُرقـةَ الأبدِ

الإيهام:

مصطلح في علم البديع يدل على إتيان لفظٍ ذي معنيين أحدُهما أبعد من الآخر، والأقربُ هو الإيهام. وهو نوعان:

1 - **إيهام التضاد:**

هو الإتيان بلفظين يوهمان من جهة اللفظ أنهما متضادان، مع أنهما ليسا كذلك. كقول الشاعر:

يُبـدي وشـاحاً أبيـضاً مـن شَـيبهِ والجـوُّ قـد لـبسَ الوشـاحَ الأغبرا

فالإيهام واقع في كلمة «أغبر»؛ إذ يُتوهَّم أنها نقيض «أبيض».

2- إيهام التناسُب:

هو نوع من مراعاة النظير، وهو أن يؤتى بلفظٍ له معنيان: أحدهما مناسب لمعاني ألفاظ تقدَّمته، غير أن المقصود به معنىً مختلف، كقوله تعالى: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: 5-6]. فالنجم بمعنى الكوكب مناسب للشمس والقمر. لكن المقصود به هو النبات الذي ينجُمُ من الأرض لا ساقَ له كالبقول. فذكر النجم بعد الشمس والقمر يوحي بأن المقصود به الكوكب.

تَجاهل العارف:

هو في علم البديع سؤالُ المتكلم عمّا يعلمه حقيقةً تجاهلاً لنكتة بلاغية، وكما يقول الجرجاني: «هو سَوْقُ المعلوم مساقَ غيره لنكتة». وذلك لأغراض منها:

1- **التوبيخ**: كقول الفارعة بنت طريف:

أيا شجرَ الخابورِ ما لك مورقاً؟ كأنك لم تجزعْ على ابنِ طريفِ!

2- **المبالغة**: كقول البحتري:

ألمعُ برقٍ سرى أم ضوءُ مصباحِ؟ أمِ ابتسامَتُها بالمنظر الضَّاحي؟

3- **التعجب**: نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الطور: 15]

إلى غير ذلك من الأغراض البديعية كالتقرير، والتعريض..

التجنيس:

هو الجناس نفسه في علم البديع، أو إتيان الجناس في الجملة.

التَّدبيج:

فن بديعي، يستخدم الشاعر فيه الألوان استعارةً، أو كناية، أو تورية، ليدلَّ على المعنى المقصود، كقول الحلِّي:

مـن أبـيضٍ يَقَـقٍ وأصـفرَ فـاقـعٍ ... أو أزرقٍ صـافٍ وأحمـرَ قـانِ

التذييل:

في علم المعاني هو تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 81]. فقوله: «إن الباطل كان زهوقاً» توكيد لما سبق وتذييل. والتذييل نوع من الإطناب.

التَّرصيع:

هو السجْع الذي يأتي في جملتين أو أكثر، مثلَ ما يقابله من الجملة الثانية في الوزن والتوافُق في عدد الكلمات مع سجْعها، نحو: «هو يطبع الأسجاع بظواهر لفظِهِ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه». ويكون الترصيع البديعي في الشعر كما يكون في النثر، كقول أبي نواس شعراً:

وأفعالُنـا للـراغبينَ كرامـةٌ ... وأموالنـا للطـالبينَ نِهـابُ

حيث جيءَ بـ «أفعالنا» مساوية لـ «أموالنا» في الوزن والسجع. كما جيء بـ «الراغبين» مساوية لـ «الطالبين». والترصيع كثير في القرآن نحو: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: 25-26][1].

تشبيه التسوية:

هو أن يتعدد المشبه دون المشبه به، أي أن يأخذ المتكلم صفة من صفاته، وصفة من صفات غيره، ويشبههما بشيء واحد، كقول الوطواط:

صُـدغُ الحبيـبِ وحـالي ... كلاهمـا كالليـالي

وثغـرُه في صـفاءٍ ... وأدمعـي كـاللآلي

وسمي بذلك للتسوية فيه بين المشبَّهات.

---

(1) إيابهم: رجوعهم بعد الموت بالبعث.

تشبيه الجمع:

هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه، كقول الشاعر:

كأنما يبسمُ عن لؤلؤٍ منضَّدٍ، أو بَرَدٍ، أو أقاحِ

ففي قوله ثلاثة مشبهات به؛ فقد شبّه أسنان الحبيب بحب اللؤلؤ، أو بالبرد، أو بالأقاحي.

التقسيم:

هو في علم البديع أن يُذكر متعدِّد، ثم يضاف إلى كلٍّ من أفراده ما له على جهة التعيين، نحو: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 4-6][1].

التَّهجين:

هو أن يَصحب كلامٌ كلاماً آخر يُزري بالأول، ولا يغطي حسنُ الأول قبح الآخر، كقول المتنبي في سيف الدولة، وقد عيبَ عليه:

إذا كان بعضُ الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بُوقاتٌ لها وطبولُ

التوجيه:

هو إيرادُ كلام يحتمل وجهين مختلفين؛ أحدهما ظاهر والآخر خفي، من غير أن يترجَّح أحدُ المعنيين على الآخر، نحو قول الشاعر:

فقالت: رُحْ بربِّك من أمامي فقلتُ لها: بربِّك أنت «روحي»

فلفظة «روحي» تحتمل معنيين؛ قريب بمعنى اذهبي، وبعيد هو نسمة الحياة.

---

(1) القارعة: القيامة. الطاغية: الصَّيحة المجاوزة للحدّ في الشدة. ريح صرصر: شديدة السَّموم. عاتية: شديدة.

التَّوهيم:

هو أن يأتيَ المتكلم بكلمة تُوهم بأخرى، والمراد غير ذلك، كقول المتنبي:

صُنّا قوائمهَا عنهمْ فما وقعتْ مواقعَ اللؤم في الأيدي ولا الكزَمْ

فلفظة «الكزم» توهم بلفظة «الكرم»، في حين أنها بالزاي، ومعناها القصير الأصابع. والتوهيم يختلف عن «الاشتراك» في أن هذا يكون في لفظة مشتركة، والتوهيم يكون بها وبغيرها.

الجامع:

هو أن يجمع المتكلمُ بين شيئين أو أكثر في حكم واحد، وهو أحد أركان الاستعارة، نحو: «ملاكٌ يسأل أمَّه أن تطعمه» أي طفل بريء كالملاك. والجامع بين الطفل والملاك هو «البراءة». ويسمى «الجامع» في التشبيه «وجه الشبه».

الجَمْع:

الجمع، في علم البديع، أن تُشرك مجموعة ألفاظ في حكم واحد، نحو: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46]. ونحو قول الشاعر:

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَه مفسدة للأخلاقِ أيُّ مفسَدَه

فقد جمع «الشباب» و«الفراغ» و«الجدة» في حكم إفساد المرء.

الجمع مع التقسيم:

هو أن يجمع المتكلمُ بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد، ثم يقسِّمُ ما جَمع، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: 42].

أو يقسِّم أولاً ثم يجمع، كقول حسان بن ثابت:

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ أو حاولوا النفعَ في أشياعِهم نفَعوا

سـجيَّةٌ تلـك فـيهم غـيرُ مُحْدَثـةٍ إنَّ الخلائـقَ، فـاعلمْ، شـرُّها البِدَعُ

جناس القَلب:

هو الذي يشتملُ كلُّ واحدٍ من ركنيهِ على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقصان، ويخالف أحدهما الآخرَ بالترتيب. وقد يكون تامَّ القلب كقول ابن الأحنف:

حسامُكَ فيه للأحبابِ فتحٌ ورُمحُك فيهِ للأعداءِ حتفُ

أو يكون ناقص القلب، نحو: «رحمَ الله امرأً أمسك ما بينَ فكَّيْه، وأطلقَ ما بينَ كفَّيْه».

السجع الصامت:

هو توافق فقرتين في نهاية كل جملة يلزمها وقف، كقوله عليه السلام: «رحمَ اللهُ عبداً قال خيراً فغنِمْ، أو سكتَ فسلمْ».

سجع الكُهّان:

كان في الجاهلية كُهانٌ يدَّعون أنهم يتطلَّعون على الغيب، ويعرفون ما يأتي به الغد. ويزعمون أن الجنَّ هم الذين يوصلون إليهم المعلومات، ويسمي الكاهن الجنيَّ الذي ينقل إليه الأخبار «الرِّئيّ». وكان العرب يلجؤون إليهم في معرفة أمورهم، فيجيبونهم سجعاً غامض المعنى والتركيب، وقصدهم من ذلك احتمال تأويل كلامهم بحسب رغبة السامع. ويُكثرون من الأقسام والأيمان بالكواكب والنجوم إيهاماً بالطالع، أو بالسُّحب والرياح إيهاماً بوصول الأخبار.

ومن المشهورين من الكهان: «شِقُّ بن الصَّعب»، و«المأمورُ الحارثي»، و«خُنافر الحميري». يقول الجاحظ: «وأكهَنُ العرب وأسجعُهم سَلِمة بن أبي حَيَّة، وهو الذي يقال له عُزَّى سَلِمة». ومن قوله: «والأرضِ والسماء، والعُقاب والصَّقْعاء، واقعةً ببقعاء. لقد نفرَ المجدُ بني العُشَراء للمجد والسَّناء».

السجع المطَرَّف:

هو ما اتفقت فيه الفاصلتان في التَّقفية، واختلفتا في الوزن، كالرَّمَم والرميم، ونحو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ: 6-7].

الصنعة اللفظية:

وتعني مجموع المحسنات في علم البديع كالجناس، والسجع، والطباق، والترصيع، ولزوم ما لا يلزم.. ويقال للأسلوب إذا خرج عن طبعه إنه ذو صنعة لفظية، ولا سيما إذا تجرَّد الأديب عن عاطفته، فيعمد إلى تغطية المعنى الهزيل ببريق من الألفاظ المصنوعة. والعرب في عصورهم الأولى أُوتوا طبعاً في الكتابة كابن المقفع والجاحظ. لكن الصنعة اللفظية فشَتْ حين أقبلَ أصحاب المقامات على استخدام أفانين البديع.

وورث المتأخرون تركةَ الصنعة التي أسّسها الحريري والقاضي الفاضل، فركبوا متن الألفاظ ليغطوا المعاني السطحية.

الصورة البديعية:

هي الصورة الأدبية المُصاغة بواسطة صياغات علم البديع عن طريق المحسنات اللفظية كالجناس والاقتباس والسجع، والمحسنات المعنوية كالتورية والطباق، والمقابلة، وحسن التعليل، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وعكسه...

الصورة البيانية:

هي الصورة الأدبية التي يُعتمد في إخراجها على علم البيان كالتشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية، وسواها من الوسائط.. وبالصورة البيانية يستطيع الأديب أداء المعنى الواحد بأساليبَ شتى بحسب ذوق الأديب، أو بحسب مقتضى الحال.

الطيّ والنشر:

نوع من الصنعة البديعية، وهو أن يُذكر متعدِّد، ثم يُذكر ما لكلّ من أفراده سائغاً من غير تعيين، اعتماداً على تصرف السامع في تمييز ما لكلّ واحد منها، وردّه إلى ما هو له. وهو نوعان:

1- إما أن يكون النشر على ترتيب الطيّ، كقول بهاء الدين العاملي:

ولفظُها وثغرُها والردْفُ سحرٌ حلالٌ، اقحوانٌ، حقفُ(1)

فلفظها السحر الحلال، وثغرها الأقحوان، وردفها حقف الرمل، بالتتابع.

2- وإما أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطيّ، كقول الشاعر:

ولحظُه ومحيّاه وقامتُهُ بدرُ الدجى، وقضيبُ البانِ والراحُ

فبدر الدجى راجع إلى محياه، وقضيب البان راجع إلى قامته، والراح راجع إلى لحظه، من غير تتابع. والطيّ والنشر يسمّى اللفّ والنشر.

العَكس:

هو في علم البديع ردُّ آخر الكلام إلى أوله، بمعنى أن المتكلم يعكس كلامه، فيجعل في الجزء الأخير ما جعل في الجزء الأول، نحو قولهم: «كلامُ الملوك ملوكُ الكلام»، ونحو قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [الروم: 19].

العلاقة:

هي الصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. وقد تكون العلاقة مشابهة كما هي الحال في الاستعارة، وقد تكون غير مشابهة كما في المجاز المرسل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: 82] أي أهل القرية. فالعلاقة بين القرية وأهلها محلية لا تشبيهية.

القرينة:

هي ما دلَّ على المقصود ويمنع من إرادة المعنى الوَضْعي في الجملة. وهي الأمرُ الذي يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غيرَ ما وُضع له، فتصرف الذهنَ عن المعنى الوضعي إلى المعنى المجازي.

---

(1) الحقف: ما اعوجَّ من الرمل واستطال.

والقرينة إما لفظية وإما حالية. فاللفظية هي التي يُلفظ بها في التركيب، وهي الدليل المقاليّ، أي ما يعود إلى القول والكلام، نحو: «هل صبرَ على المكاره؟ صبراً جميلاً» أي صبر صبراً جميلاً.

والقرينة الحالية هي التي تُفهم من حال المتكلم أو من الواقع، وتسمى القرينة المعنوية؛ تُفهم من غير استعانة، نحو «حجاً مبروراً» أي حججتَ حجاً مبروراً. وكل من المجاز والكناية في حاجة إلى قرينة، ولكنها في المجاز مانعة، وفي الكناية غير مانعة.

قصرُ القلب:

إذا قال المتكلم: «ما زيد إلا معلم»، فإذا كان السامع يعتقد أن زيداً مزارع لا معلم، يكون ما سمعه قلبَ ما كان يظنه.

اللفّ والنشر:

هو الطيّ والنشر، فانظره.

المعاظلة:

من عيوب الأسلوب، وهو مُداخلة بعض الكلام في بعض حتى لا يُفهم إلا بكدِّ الخاطر وتكرار السماع أو النظر. ومن المعاظلة قول الفرزدق:

إلى ملكٍ ما أمُّه من مُحاربٍ أبوه، ولا كانت كليبٌ تُصاهِرُهْ

وقوله:

وما مثلُهُ في الناس إلا مملَّكاً أبو أمِّه حيٌّ أبوهُ يقاربُهْ

والمقصود: وما مثلُه في الناس حيّ يقاربُه إلا أمُّه وأبوه؛ لأن الممدوح كان خال الخليفة.

المحتويات



الفصل الثاني: علم المعاني

الفصل الثالث : علم البيان

الفصل الرابع: علم البديع

خير الكلام ما قلّ ودلّ

92 - شارع صام بوعافية المقري - وهران

هاتف : 00213 61 20.52.02

00 213 70 98.63.38

تلفاكس : 00 213 41 46.16.89

00 213 21 23.42.31

E-mail : dar_el_izaa@hotmil.com

dar_el_izaa@yahoo.fr

